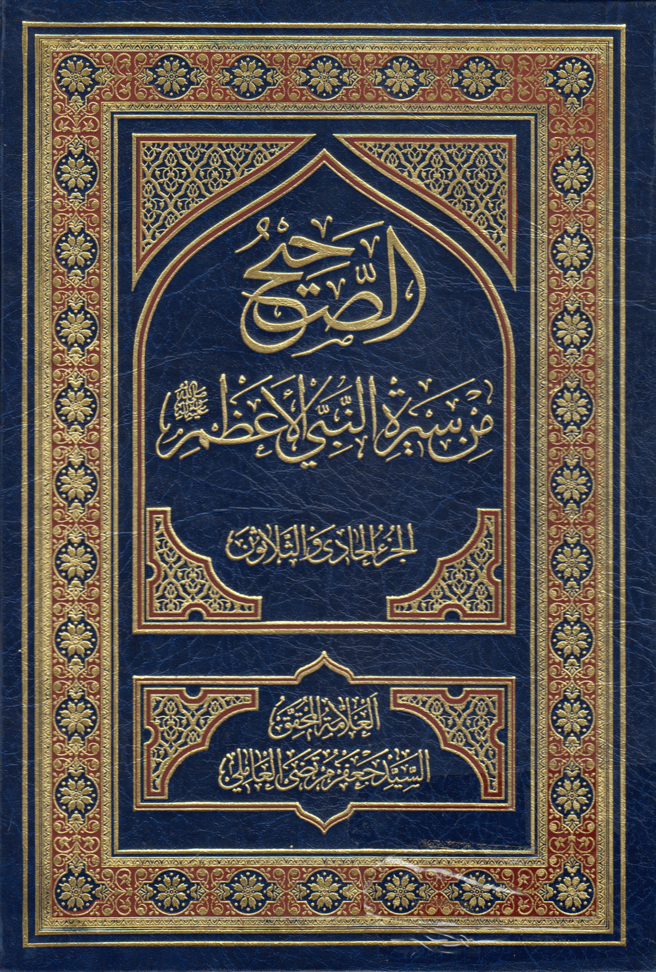

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء الحادي والثلاثون
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ

(الجزء الواحد والثلاثون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر : دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه : دارالحديث

الطبعة : الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هش

عدد المطبوع : ١٠٠٠ دورة





قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٥٤٥ ٠ ٧٧٤ ـ ٥٢٣ ٠ ٧٧٤ ٠٢٥١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ /ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

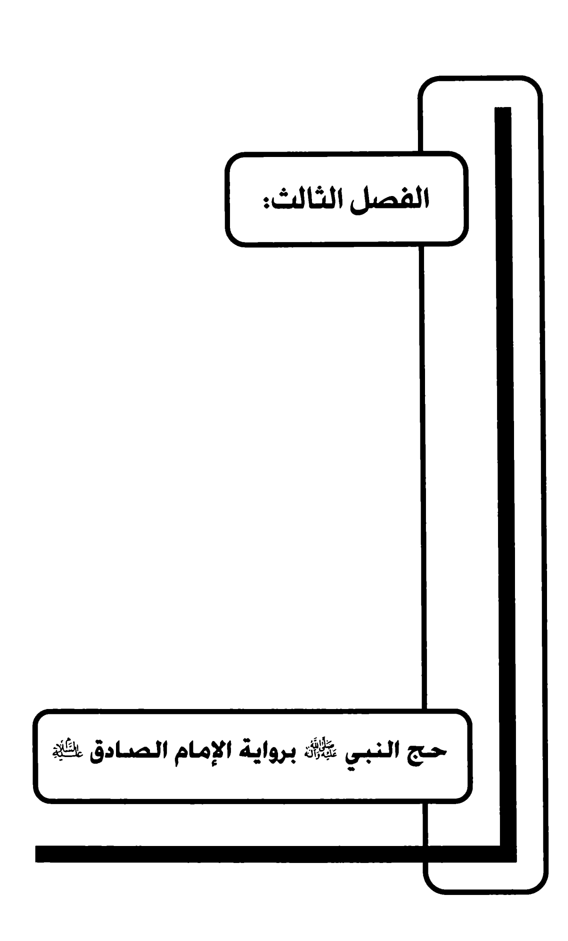
http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 203 - 8





الفصل الثالث:

حج النبي ﷺ برواية الإمام الصادق عليه السلام

الفصل الثالث

دخول مكة والمسجد الحرام:

ثم نهض رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أن نزل بذي طوى، وهي المعروفة اليوم بآبار الزاهر، فبات بها ليلة الأحد، لأربع خلون من ذي الحجة، وصلى بها الصبح، ثم اغتسل من يومه، ونهض إلى مكة من أعلاها من الثنية العليا، التي تشرف على الحجون.

وكان في العمرة يدخل من أسفلها، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها.

ثم سار حتى دخل المسجد ضحى.

وعن ابن عمر قال: دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ودخلنا معه من باب عبد مناف، وهو الذي تسميه الناس: «باب بني شيبة»[1].

وخرج من باب بني مخزوم (إلى الصفا).

فلما نظر إلى البيت، واستقبله ورفع يديه وكبر، وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفاً، وتعظيماً، وتكريماً، ومهابةً، وزد من عظَّمه، ممن حجه أو اعتمره، تكريماً وتشريفاً،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦١و٤٦٢ عن الطبراني، وراجع: المعجم الأوسط للطبراني ج٣ ص٢٣٨.

وتعظيماً وبراً»[١].

ونقول:

إن المروي بسند صحيح عن صادق أهل البيت «عليهم السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله»: «فلما دخل مكة دخل من أعلاها من العقبة، وخرج حين خرج من ذي طوى»[٢].

وفي نص آخر: «دخل من أعلى مكة، من عقبة المدنيين، وخرج من أسفل مكة، من ذي طوى»[٣].

حج النبي برواية أهل البيت عليهم السلام:

وحيث إنه قد وردت عن أهل بيت النبي «عليهم السلام» روايات صحيحة السند تصف لنا حج رسول الله «صلى الله عليه وآله».. نرى أن عرضها للقارئ الكريم ضروري جداً، ليأخذ الحقيقة من أهل الحقيقة، فإن أهل البيت أدرى بما فيه..

وقد رأينا تقديم ذكرها على التفاصيل التي يذكرها أتباع غير أهل البيت، لكي تكون رواياتهم «عليهم السلام» هي المعيار والميزان للصحيح

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٢ وفي هامشه عن: البيهقي ج٥ ص٧٣.

(٢) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٥٠ والبحار ج٢١ ص ٢٩٦ و٣٩٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٤و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٨ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق ٣ ص٥٧٩.

(٣) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٨ والبحار ج٢١ ص٣٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٥.

من الفاسد، والحقيقي من المزيف..

وبما أن هذه الروايات قد تعددت، فقد رأينا أن نأتي بخلاصة جامعة لما تضمنته من جزئيات وخصوصيات، مقتصرين منها على ما أورده الكليني «قدس الله نفسه الزكية» في باب «حج النبي «صلى الله عليه وآله»..» وخصوصاً الروايات التي جاءت مطولة ومفصلة، فنقول:

في صحيحة معاوية بن عمار عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: أنزل الله عز وجل عليه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1]، فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحج في عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة، وأهل العوالي والأعراب، واجتمعوا لحج رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه، أو يصنع شيئاً فيصنعونه[2].

وفي صحيح عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحج، فكتب إلي[3]: من بلغه كتابه ممن دخل في الإسلام: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد الحج، يؤذنهم

---

(١) الآية ٧٧ من سورة الحج.

(٢) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٥ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص٣١٦ والفصول المهمة ج١ ص٦٤٩ والبحار ج٢١ ص٣٩٠ والتفسير الصافي ج٣ ص٣٧٤ وتفسير نور الثقلين ج١ ص١٤٦ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٣٨٦.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصحيح «إلى» بالمقصورة، وقد وقع فيها تصحيف، فلاحظ.

بذلك، ليحج من أطاق الحج[1].

وفي صحيح معاوية بن عمار: فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أربع بقين من ذي القعدة، فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس، فاغتسل ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة، فصلى فيه الظهر، وعزم بالحج مفرداً، وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول، فصف له سماطان، فلبى بالحج مفرداً، وساق الهدي ستاً وستين، أو أربعاً وستين[2] حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة[3].

وفي صحيح الحلبي عن علي «عليه السلام»: خرج في أربع بقين من ذي القعدة حتى أتى الشجرة، فصلى بها، ثم قاد راحلته حتى أتى البيداء، فأحرم منها، وأهل بالحج، وساق مائة بدنة، وأحرم الناس كلهم بالحج لا ينوون عمرة، ولا يدرون ما المتعة[4].

---

(١) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٩ والحدائق الناضرة ج١٥ ص٥٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٤ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٨ والبحار ج٢١ ص٣٩٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٩ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٨٢ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٦٣.

(٢) الترديد من الراوي.

(٣) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٥ والبحار ج٢١ ص٣٩٠ و جامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٤٥٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٨٧ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٣٨٧.

(٤) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٨و٢٤٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥٥١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٢ و (ط دار الإسلامية) ج٨ =

وفي صحيح ابن سنان: فأقبل الناس، فلما نزل الشجرة أمر الناس بنتف الإبط، وحلق العانة، والغسل، والتجرد في إزار ورداء، أو إزار وعمامة، يضعها على عاتقه لمن لم يكن له رداء.

وذكر أنه حيث لبى قال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يكثر من ذي المعارج، وكان يلبي كلما لقي راكباً، أو علا أكمة، أو هبط وادياً، وفي آخر الليل، وفي إدبار الصلوات.

فلما دخل مكة دخل من أعلاها من العقبة، وخرج حين خرج من ذي طوى.

فلما انتهى إلى باب المسجد استقبل الكعبة.

وذكر ابن سنان: أنه باب شيبة، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على أبيه إبراهيم، ثم أتى الحجر فاستلمه، فلما طاف بالبيت (وطاف الناس معه) صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم «عليه السلام».

ودخل زمزم فشرب منها، ثم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء وسقم»، فجعل يقول ذلك وهو مستقبل الكعبة.

ثم قال لأصحابه: ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر، فاستلمه[1].

= ص١٥٧ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٧٦ والبحار ج٢١ ص٣٩٥ وج٩٦ ص٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٦ وج١٠ ص٤٥٥ و ٤٩٩.

(١) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٩و٢٥٠ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥٧٩ والحدائق الناضرة ج١٥ ص٥٨ ومستند الشيعة ج١١ ص١٧٥ وج١١ =

وفي صحيح معاوية بن عمار: فطاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم «عليه السلام»، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه، وقد كان استلمه في أول طوافه، ثم قال: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ**﴾، فابدأ بما بدأ الله تعالى.

وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا..**﴾[1].

ثم أتى الصفا فصعد عليه، واستقبل الركن اليماني، فحمد الله وأثنى عليه، ودعا مقدار ما يقرء سورة البقرة مترسلاً.

ثم انحدر إلى المروة، فوقف عليها كما وقف على الصفا، ثم انحدر وعاد إلى الصفا فوقف عليها، ثم انحدر إلى المروة حتى فرغ من سعيه[2].

وفي صحيح الحلبي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: وهو شيء أمر الله عز وجل به، فأحل الناس، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو

= ص٢٩٠ ودعائم الإسلام ج١ ص٢٩٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٤ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٨ والبحار ج٢١ ص٣٩٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٩ و ٤٩٩ وج١١ ص١٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص١٧ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٦٣.

(١) الآية ١٥٨ من سورة البقرة.

(٢) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٥ و ٢٤٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٦٣٢ وج١ ق٣ ص٦٤٤ وكشف اللثام (ط.ق) ج١ ص٣٤١ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٣١٦ ومستند الشيعة ج١٢ ص١٥٩.

كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم»[١].

ولم يكن يستطيع أن يحل من أجل الهدي الذي كان معه، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[٢].

وفي صحيح معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وكذا في صحيح الحلبي باختصار: فلما فرغ من سعيه وهو على المروة، أقبل على الناس بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا جبرئيل، وأومأ بيده إلى خلفه، يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكني سقت الهدي، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحل حتى يبلغ الهدي محله.

قال: فقال له رجل من القوم: لنخرجن حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر؟

وفي بعض الروايات: «وذكرنا تقطر»؟ أي من ماء المني[٣].

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً.

فقال له سراقة بن مالك بن جعشم الكناني: يا رسول الله، علمنا ديننا كأنا خلقنا اليوم، فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل؟

---

(١) الكافي ج٤ ص٢٤٩ وعلل الشرائع ج٢ ص٤١٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٢ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٧ والبحار ج٢١ ص٣٩٥ وج٩٦ ص٨٩ وتفسير نور الثقلين ج١ ص١٨٥ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٤٦٦.

(٢) الآية ١٩٦ من سورة البقرة.

(٣) راجع المصادر في الهوامش السابقة.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بل هو للأبد، إلى يوم القيامة، ثم شبك أصابعه وقال: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»[1].

قال: وقدم علي «عليه السلام» من اليمن على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو بمكة، فدخل على فاطمة «سلام الله عليها» وهي قد أحلت، فوجد ريحاً طيبةً، ووجد عليها ثياباً مصبوغة، فقال: ما هذا يا فاطمة؟

فقالت: أمرنا بهذا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فخرج علي «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مستفتياً، فقال: يا رسول الله، إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا أمرت الناس بذلك، فأنت يا علي بما أهللت»؟

قال: يا رسول الله، إهلالاً كإهلال النبي.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قرّ على إحرامك مثلي، وأنت شريكي في هديي».

قال: ونزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة بالبطحاء هو وأصحابه، ولم ينزل الدور، فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا

---

(١) مرآة العقول ج١٧ ص١١٣ وجواهر الكلام ج١٨ ص٣ والكافي ج٤ ص٢٤٦ و ومنتهى المطلب (ط.ق) ج٢ ص٨٨٦ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٣١٦ ومستند الشيعة ج١١ ص٢١٧ وجامع المدارك ج٢ ص٥٦٨ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢١٥ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥١ والبحار ج٢١ ص٣٩١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٢ وفقه القرآن للراوندي ج١ ص٢٦٦ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٣.

ويهلوا بالحج، وهو قول الله عز وجل، الذي أنزل على نبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ (أبيكم) إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

فخرج النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه مهلين بالحج حتى أتى منى، فصلى الظهر والعصر، والمغرب والعشاء الآخرة، والفجر.

ثم غدا والناس معه، وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جمع، ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقريش ترجو أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ..﴾[2]، يعني إبراهيم وإسماعيل، وإسحاق في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم.

فلما رأت قريش أن قبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد مضت، كأنه دخل في أنفسهم شيء، للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم، حتى انتهى إلى نمرة، وهي بطن عرنة بحيال الأراك، فضربت قبته، وضرب الناس أخبيتهم عندها.

فلما زالت الشمس خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعه قريش وقد اغتسل، وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد، فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم، ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين.

ثم مضى إلى الموقف فوقف به، فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها، فنحاها، ففعلوا مثل ذلك، فقال: «أيها الناس، ليس

(١) الآية ٩٥ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٩٥ من سورة آل عمران.

موضع أخفاف ناقتي بالموقف، ولكن هذا كله»، وأومأ بيده إلى الموقف، فتفرق الناس، وفعل مثل ذلك بالمزدلفة.

فوقف الناس حتى وقع القرص ـ قرص الشمس ـ ثم أفاض، وأمر الناس بالدعة حتى انتهى إلى المزدلفة، وهو المشعر الحرام، فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين.

ثم أقام حتى صلى فيها الفجر، وعجل ضعفاء بني هاشم بليل، وأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس.

فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى منى، فرمى جمرة العقبة[1].

وفي صحيح إسماعل بن همام، عن الإمام الحسن «عليه السلام» قال: أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين غدا من منى في طريق ضب (جبل عند مسجد الخيف)، ورجع ما بين المأزمين. وكان إذا سلك طريقاً لم يرجع فيه[2].

وكان الهدي الذي جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعة وستين أو ستة وستين.

وجاء علي «عليه السلام» بأربعة وثلاثين أو ستة وثلاثين، فنحر رسول

---

(١) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٥ ـ ٢٤٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٠ ـ ٣٥٤.

(٢) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٣٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٤٥٨ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص٣٣٦ والبحار ج٢١ ص٣٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٤٦٣ وسنن النبي «عليه السلام» للسيد الطباطبائي ص٦٢ ومنتقى الجمان ج٣ ص٣٤٦.

الله «صلى الله عليه وآله» ستة وستين، ونحر علي «صلى الله عليه وآله» أربعة وثلاثين بدنة.

وفي الرواية الأخرى: نحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاثاً وستين نحرها بيده، ثم أخذ من كل بدنة بضعة فجعلها في قدر الخ.. [(١)].

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم، ثم تطرح في برمة، ثم تطبخ، فأكل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، وحسيا من مرقها[(٢)].

زاد في صحيح الحلبي قوله: «قد أكلنا منها الآن جميعاً، والمتعة خير من القارن السائق، وخير من الحاج المفرد»[(٣)].

---

(١) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥٥١ وعلل الشرائع ج٢ ص٤١٣ والبحار ج٩٦ ص٨٩.

(٢) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٦ ـ ٢٤٨ ومجمع الفائدة ج٧ ص٢٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٦٧٠ وج١ ق٣ ص٦٧٠ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٣١٨ وجواهر الكلام ج١٩ ص١٥٩ وجامع المدارك ج٢ ص٤٦٢ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢١٧ وج١٤ ص١٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٣ وج١٠ ص١٤٤ والبحار ج٢١ ص٣٩٣ و ٣٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٤ وج١٢ ص١٠١ وج١٢ ص١٠٤ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٥ وج٣ ص٣٧٣ وج٣ ص٤٠١ وراجع المغني لابن قدامة ج١١ ص١٠٩ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٥٧٩ وج٣ ص٥٨٢ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص١١١ وتفسير البغوي ج٣ ص٢٨٤.

(٣) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٩ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥٥١ =

وفي صحيح معاوية بن عمار: ولم يعطيا الجزارين جلودها، ولا جلالها، ولا قلائدها، وتصدق به، وحلق، وزار البيت ورجع إلى منى، وأقام بها حتى كان اليوم الثالث من آخر أيام التشريق.

ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى إلى الأبطح، فقالت له عايشة: يا رسول الله، ترجع نساؤك بحجة وعمرة معاً، وأرجع بحجة؟

فأقام بالأبطح، وبعث معها عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم.

فأهلت بعمرة، ثم جاءت، وطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام إبراهيم «عليه السلام»، وسعت بين الصفا والمروة، ثم أتت النبي «صلى الله عليه وآله»، فارتحل من يومه، ولم يدخل المسجد الحرام، ولم يطف بالبيت.

ودخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين، وخرج من أسفل مكة من ذي طوى[1].

وفي صحيح معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: الذي كان على بُدن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ناجية بن جندب الخزاعي

= والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢٢٣ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٨ والبحار ج٢١ ص٣٩٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٤٣ و ٣٥٧ وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج٢ ص٨٤ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٢.

(١) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٤٨ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٣١٩ وجامع المدارك ج٢ ص٤٩١ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٧ والبحار ج٢١ ص٣٨٩ و ٣٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٥ وج١١ ص٢٧١ و ٢٧٢ وج١٢ ص٢٠٧ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٤٢ ومنتقى الجمان ج٣ ص٢٥٤.

الأسلمي، والذي حلق رأس النبي «صلى الله عليه وآله» في حجته معمر بن عبد الله بن حرانة بن نصر بن عوف بن عويج بن عدي بن كعب.

قال: ولما كان في حجة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يحلقه، قالت قريش: أي معمر! أُذُنُ رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يدك، وفي يدك الموسى؟!

فقال معمر: والله، إني لأعده من الله فضلاً عظيماً علي.

قال: وكان معمر هو الذي يرحل لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله: «يا معمر، إن الرحل الليلة لمسترخى».

فقال معمر: بأبي أنت وأمي، لقد شددته كما كنت أشده، ولكن بعض من حسدني مكاني منك يا رسول الله أراد أن تستبدل بي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما كنت لأفعل»[1].

ونقول:

إن النصوص المتقدمة وإن كانت مأخوذة من روايات صحيحة السند، ولكنها تحتاج أيضاً إلى بعض التوضيح والبيان، فنقول:

إضافة فقرة وتصحيف أخرى:

جاء في رواية الصدوق للخبر الأخير عن الإمام الصادق «عليه السلام» فقرة أخرى لم يوردها الكليني، وهي قوله: «والذي حلق رأسه

---

(١) الكافي (الفروع) ج٤ ص٢٥٠ و ٢٥١ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٣٣٩ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٨ والبحار ج٢١ ص٤٠٠ وجامع الرواة ج٢ ص٢٥٣ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٩ ص ٢٨٨.

«عليه السلام» يوم الحديبية خراش بن امية الخزاعي».

وفيه أيضاً: «كان معمر بن عبد الله يرجل شعره «عليه السلام»..».

قال المجلسي «رحمه الله»: لعل الأصل يرحل بعيره، فصحفوه بقولهم: يرجل شعره، لعله لكونه يناسب الحلق.

لا فضل لقرشي على غيره إلا بالتقوى:

قال البيضاوي ـ على ما نقله عنه المجلسي ـ: «وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾[1]. أي من عرفة، لا من المزدلفة، والخطاب مع قريش لما كانوا يقفون بالجمع، وساير الناس بعرفه، ويرون ذلك ترفعاً عليهم، فأمروا بأن يساووهم.

إلى أن قال: والمعنى أن الإفاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه»[2].

وبذلك يكون الله تعالى، ورسوله قد بينا بصورة عملية أن لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

أحرم ﷺ من المسجد:

تقدم في صحيح الحلبي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قاد راحلته حتى أتى البيداء، فأحرم منها.

قال العلامة المجلسي: «لعل المراد بالإحرام هنا عقد الإحرام بالتلبية،

---

(١) الآية ٩٥ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: مرآة العقول ج١٧ ص١١٤ وتفسير البيضاوي (ط دار الفكر) ج١ ص٤٨٧ وتفسير أبي السعود ج١ ص٢٠٩.

أو إظهار الإحرام وإعلامه، لئلا ينافي الأخبار المستفيضة الدالة على أنه «صلى الله عليه وآله» أحرم من مسجد الشجرة»[1].

ساق مائة بدنة:

وذكرت صحيحة الحلبي أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» ساق مائة بدنة.

والمراد ـ كما ذكره العلامة المجلسي أيضاً ـ: أنه «صلى الله عليه وآله» ساق مائة، لكن ساق بضعاً وستين لنفسه، والباقي لأمير المؤمنين «عليه السلام»، لعلمه بأنه «عليه السلام» يحرم كإحرامه، ويهل كإهلاله الخ..[2].

أو المراد: أنه «صلى الله عليه وآله» هو وعلي «عليه السلام» قد ساقا مائة بدنة، فنسب ما جاء به علي «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لأنه أخوه، ولأنه أهلّ بما أهلَّ به رسول الله «صلى الله عليه وآله» واشتركا في مجموع المائة.

يتمنى القرشيون قتل رسول الله ﷺ:

قال الفيض الكاشاني «رحمه الله» تعليقاً على الرواية الأخيرة: «كأن قريشاً كنوا بما قالوا عن قدرة معمر على قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتمنوا أن لو كانوا مكانه، فقتلوه. وربما يوجد في بعض نسخ الكافي: «أذى» بدل «أذن».

---

(١) راجع: مرآة العقول ج١٧ ص١١٦.

(٢) راجع: مرآة العقول ج١٧ ص١١٦.

والمعنى حينئذ: أن ما يوجب الأذى من شعر الرأس وشعثه منه «صلى الله عليه وآله» في يدك، كأنه تعيير منهم إياه بهذا الفعل في حسبه ونسبه، وهذا أوفق للجواب من الأول»[1].

حج النبي ﷺ قران!! أم تمتع؟!:

لقد كان حج النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع حج قران لا حج تمتع ولا إفراد.. وقد تحير أتباع غير أهل البيت «عليهم السلام» في هذا الأمر، واختلفوا فيه..

ونحن نذكر ما قالوه مستفيدين من عبارة الصالحي الشامي أكثر من غيره، ثم نناقش أو نبين بعض ما قالوه وفق ما يتيسر لنا، فنقول:

قالوا: وساق هديه مع نفسه، و دعا ببدنته، وفي رواية: بناقته فأشعرها في صفحة سنامها من الشق الأيمن، ثم سلت الدم عنها، وقلدها نعلين، وتولى إشعار بقية الهدي وتقليده غيره، وكان معه «صلى الله عليه وآله» هدي كثير.

قال ابن سعد: وكان على هديه ناجية بن جندب الأسلمي، وكان جميع الهدي الذي ساقه من المدينة[2].

«فلما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصبح أخذ في الإحرام، فاغتسل غسلاً ثانياً، غير الغسل الأول، وغسل رأسه بخطمي وأُشنان،

---

(١) راجع: مرآة العقول ج١٧ ص١١٩ وهامش كتاب الكافي ج٤ ص٢٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥١ و ٤٥٢ وراجع: الطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٤.

ودهن رأسه بشيء من زيت غير كثير»[١].

وعن ابن عمر قال: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدّهن بالزيت ـ وهو محرم ـ غير المقتت»[٢].

وفي حديث أبي أيوب عند الشيخين: أنه «صلى الله عليه وآله» في غسله حزك رأسه (أي ضغطه) بيديه جميعاً، فأقبل بهما وأدبر، وطيبته بذريرة وطيب فيه مسك[٣]، وبالغالية الجيدة ـ كما رواه الدارقطني، والبيهقي ـ في بدنه ورأسه حتى كان وَبِيص المسك يرى من مفارقه، ولحيته الشريفة «صلى الله عليه وآله»[٤]. ثم استدامه، ولم يغسله.

وعن عائشة قالت: كأني أنظر إلى وَبِيص الطيب في مفرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أيام وهو محرم[٥].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٢ عن أحمد، والبزار، والطبراني، والدراقطني عن عائشة، وفي هامشه عن: مسند أحمد ج٦ ص٧٨ والبزار كما في الكشف ج٢ ص١١ (١٠٨٥) والدارقطني ج٢ ص٢٢٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٢ عن الترمذي، وابن ماجة وفي هامشه عن: الترمذي ج٣ ص٢٩٤ (٩٦٢) وابن ماجة ج٢ ص١٠٣٠ (٣٠٨٣) وضعفه البوصيري في الزوائد، وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٢٥ و ٥٩ وعمدة القاري ج٩ ص١٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٤٣٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٢ عن البخاري، ومسلم وفي هامشه عن: البخاري ج١٠ ص٣٨٤ (٥٩٣٠) ومسلم ج٢ ص١٤٧ (٣٥/ ١١٨٩) والدارقطني ج٢ ص٢٢٢ والبيهقي ج٥ ص٣٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٢ وفي هامشه عن: البيهقي ج٥ ص٣٤.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٢ و ٤٥٣ عن الحميدي، وأحمد، وأشار في =

وقالوا أيضاً:

ولما كان بسرف قال «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: «من لم يكن معه هدي فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه هدي فلا».

قال ابن القيم: وهذا رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الميقات، فلما كان بمكة، أمر أمراً حتماً من لم يكن معه هدي أن يجعلها عمرة، ويحل من إحرامه، ومن معه هدي أن يقيم على إحرامه، ولم ينسخ ذلك شيء البتة.

وقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر من الصحابة، وأحاديثهم صحاح، وسرد أسماءهم[1].

ولم يحل هو «صلى الله عليه وآله» من أجل هديه، فحل الناس كلهم إلا النبي «صلى الله عليه وآله» ومن كان معه هدي، ومنهم أبو بكر وعمر،

= هامشه إلى: مسند أحمد ج٦ ص١٢٤ (و ١٠٩ و ١٢٨ و ١٣٠ و ١٧٥ و ١٨٦ و ٢١٢ و ٢٤٥ و ٢٥٠ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و٢٨٠) وهو عند البخاري ج٣ ص٤٦٣ (١٥٣٨) ومسلم (٣٩/ ١١٩) وراجع: المجموع للنووي وج٧ ص٢١٥ وإعانة الطالبين ج٢ ص٣٥٠ ومغني المحتاج ج١ ص٤٧٩ والبحر الرائق ج٢ ص٥٦٢ والمحلى لابن حزم ج٧ ص٨٦ وتلخيص الحبير ج١ ص١٩٣ ونيل الأوطار ج٥ ص ٣٣ و ٧٦ وفقه السنة ج١ ص٦٥٥ وصحيح البخاري ج١ ص٧٢ وصحيح مسلم ج٤ ص١١وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٧٧ وسنن النسائي ج٥ ص١٤٠ و ١٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٣٤ و ٣٥ وعمدة القاري ج٣ ص٢٢١ مسند أبي داود الطيالسي ص١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ ومسند ابن الجعد ص٤٧ وغير ذلك من مصارد فراجع.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦١ وراجع: زاد المعاد ج١ ص٢٤٦.

وطلحة والزبير، وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي، ولجعلتها عمرة».

وهناك سأله سراقة بن مالك بن جشم، وهو في أسفل الوادي، لما أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة والإحلال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم للأبد؟

فشبك رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصابعه واحدة في الأخرى، فقال: «لا»، ثلاث مرات.

ثم قال: «دخلت العمرة في الحج ـ مرتين أو ثلاثاً ـ إلى الأبد»، فحل الناس كلهم إلا النبي «صلى الله عليه وآله» ومن كان معه هدي[1].

وأمر «صلى الله عليه وآله» من لم يسق الهدي بفسخ الحج إلى العمرة، رواه عنه خلائق من الصحابة.

وقد اختلفوا في ذلك، فقال مالك، والشافعي: كان ذلك من خصائص الصحابة، ثم نسخ جواز الفسخ كغيرهم، وتمسكوا بما رواه مسلم، عن أبي ذر: لم يكن فسخ الحج إلى العمرة إلا إلى أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله»[2].

وأما أحمد فرد ذلك، وجوّز الفسخ لغير الصحابة.

وهناك دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثاً، وللمقصرين مرة.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٦ و ٤٦٧.

(٢) البداية والنهاية ج٥ ص١٨٤ وج٥ ص١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٧.

فأما نساؤه فأحللن، وكن قارنات إلا عائشة، فإنها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضتها، وفاطمة حلت، لأنها لم يكن معها هدي، وعلي لم يحل من أجل هديه.

وأمر من أهل بإهلال كإهلاله «صلى الله عليه وآله» أن يقيم على إحرامه، إن كان معه هدي، وأن يحل من لم يكن معه هدي[1].

حج تمتع أو قران أو إفراد؟!:

قال الصالحي الشامي:

اختلف في ذلك على أربعة أقوال:

الأول: الإفراد بالحج.

روى الشافعي وأحمد، والشيخان، والنسائي عن عائشة.

وأحمد، ومسلم، وابن ماجة، والبيهقي عن جابر بن عبد الله.

وأحمد، ومسلم، والبزار، عن عبد الله بن عمر.

ومسلم، والدارقطني، والبيهقي، عن ابن عباس: «أنه - «صلى الله عليه وآله» أهل بالحج مفرداً»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٧ عن الطبراني برجال ثقات، وراجع: عيون الأثر ج٢ ص٣٤٤ ومسند أحمد ج٦ ص٢٧٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٥ وقال في هامشه: حديث عائشة عند الشافعي في المسند ج٦ ص١٠٤ والبخاري ج٣ ص٤٩٢ (١٥٦٢) ومسلم ج٢ ص٨٧٥ (١٢٢/ ١٢١١) ومالك ج١ ص٣٣٥ (٣٧) والنسائي ج٥ ص١١٢ وأخرجه ابن ماجة ج٢ ص٩٨٨ (٢٩٦٦) وحديث جابر أخرجه مسلم (٢/ ٨٨١) =

الثاني: القران.

روى أحمد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة والبيهقي عن عمر بن الخطاب.

وأحمد عن عثمان.

وأحمد والبخاري، وابن حبان، عن علي.

وأحمد، والنسائي، والشيخان، والبزار، والبيهقي، عن أنس.

والترمذي، وابن ماجة، والبزار، والدارقطني، والبيهقي، عن جابر بن عبد الله.

وأحمد، وابن ماجة، عن أبي طلحة، زيد بن سهل الأنصاري.

وأحمد، عن سراقة بن مالك.

ومالك، وأحمد، والترمذي وصححه، والنسائي عن سعد بن أبي وقاص.

والطبراني، عن عبد الله بن أبي أوفى.

وأحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، عن ابن عباس.

وأحمد ومسلم، والنسائي، والدارقطني، عن الهرماس بن زياد.

وأبو يعلى، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وأحمد، والشيخان، عن ابن عمرو.

= حديث (١٣٦/١٢١٣). وراجع: المجموع للنووي ج٧ ص١٥٣ ونيل الأوطار ج٥ ص٤٤ وصحيح مسلم ج٤ ص٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٤ وشرح مسلم للنووي ج٨ ص٢١٦ وفتح الباري ج٣ ص٣٤٢ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٣٤٥ وتاريخ بغداد ج١٠ ص٢٩٧ والبداية والنهاية ج٥ ص١٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٤٠.

وأحمد، عن عمران بن حصين.

والدارقطني، عن أبي قتادة.

والترمذي ـ وحسنه ـ عن جابر بن عبد الله.

وأحمد، عن حفصة.

والشيخان، والبيهقي، عن عائشة: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان قارناً»[1].

الثالث: التمتع.

عن ابن عمر قال: تمتع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع بالعمرة، إلى الحج، وأهدى، فساق الهدي من ذي الحليفة، وبدأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأهل بالعمرة، ثم أهل بالحج. الحديث[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٥ و ٤٥٦ وقال في هامشه: من حديث عمر: أحمد في المسند ج١ ص١٧٤ والبخاري من حديث عبد الله بن عمر ج٣ ص٦٤٠ (١٦٩١). ومن حديث عثمان: أحمد في المسند ج١ ص٥٧. ومن حديث علي: أحمد ج١ ص٥٧. ومن حديث جابر: الترمذي ج٣ ص١٧٠ وابن ماجة ج٢ ص٩٩٠. ومن حديث أبي طلحة: أحمد ج٤ ص٢٨. ومن حديث سراقة: أخرجه أحمد ج٤ ص٧٥. ومن حديث سعد: أحمد ج١ ص١٧٤ والنسائي ج٥ ص١١٨. ومن حديث ابن أبي أوفى البزار كما في الكشف ج٢ ص٢٧. ومن حديث ابن عباس أبو داود ج٢ ص١٥٩. ومن حديث الهرماس: أحمد ج٣ ص٤٨٥ ومن حديث عمران بن حصين: أحمد ج٤ ص٤٢٧. ومن حديث أبي قتادة: الدارقطني ج٢ ص٢٦١. ومن حديث حفصة: أحمد ج٦ ص٢٨٥. ومن حديث عائشة: البخاري ج٣ ص٦٣٠ حديث (١٦٩٢).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٦ عن والبخاري، ومسلم، وأبي داود، =

وعن عائشة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تمتعه بالعمرة إلى الحج: وتمتع الناس معه[1].

وعن ابن عباس قال: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هذه

= والنسائي، وقال في هامشه: هو عند أبي داود (١٨٠٥) والنسائي ج٥ ص١٧٩ وراجع: المجموع للنووي ج٧ ص١٥٤ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٥٦٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٥٨٠ والمحلى لابن حزم ج٧ ص١٦٢ وتلخيص الحبير ج٧ ص١١٣ و ١٦٥ ونيل الأوطار ج٥ ص٤٢ ومسند أحمد ج٢ ص١٣٩ وصحيح البخاري ج٢ ص١٨١ وصحيح مسلم ج٤ ص٤٩ وسنن أبي داود ج١ ص٤٠٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٧ وشرح مسلم للنووي ج٨ ص٢٠٨ وعمدة القاري ج١٠ ص٣١ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٤٨ وشرح معاني الآثار ج٢ ص١٤٢ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج٢ ص١٦ ونصب الراية للزيلعي ج٣ ص١٩٩ و ٢١٤ و ٢١٨ و ٢١٩ تفسير البغوي ج١ ص١٦٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٤١ و الدر المنثور ج١ ص٢١٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٣٦٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٦ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، وفي هامشه عن: البخاري ج٣ ص٦٣٠ (١٦٩٢) وراجع: المجموع للنووي ج٧ ص١٥٥ و ١٥٧ وتلخيص الحبير ج٧ ص١٦٥ ومسند أحمد ج٢ ص١٤٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٨ و ٢٠ وفتح الباري ج٣ ص٤٣٣ وعمدة القاري ج١٠ ص٣٤ وشرح معاني الآثار ج٢ ص١٤٢ و ١٩٩ ونصب الراية للزيلعي ج٣ ص٢١٨ والبداية والنهاية ج٥ ص١٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٤٣.

عمرة استمتعنا بها، فمن لم يكن عنده الهدي فليحل الحِلَّ كلَّه، فإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة»[1].

وعن حفصة أنها قالت: يا رسول الله، ما شأن الناس حلُّوا بعمرة؟ ولم تحلل أنت من عمرتك؟

قال: «إني لبدت رأسي، وقلدت هديي، فلا أحل حتى أنحر»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٦ عن مسلم، وفي هامشه قال: أخرجه مسلم في الحج (٣٠٣) وأبو داود (١٧٩٠) وابن أبي شيبة ج٤ ص١٠٢ والدارمي ج٢ ص٥١ وأحمد ج١ ص٢٣٦ وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص١٤٤ و ١٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٤٩ ومسند أحمد ج١ ص٢٣٦ و ٣٤١ وسنن الدارمي ج٢ ص٥١ وسنن أبي داود ج١ ص٤٠٢ وسنن النسائي ج٥ ص١٨١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٨ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٤٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٥٤٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٦٨ و نصب الراية للزيلعي ج٣ ص٢٠٥ والدراية لابن حجر ج٢ ص٣٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٦ عن البخاري، وفي هامشه قال: أخرجه البخاري ج٣ ص٦٣٥ (١٦٩٧) و كتاب الأم للإمام الشافعي ج ٧ ص ٢٢٦ والمجموع لمحيي الدين النووي ج٧ ص١٨٠ و ٢٢١ وموطأ مالك ج١ ص٣٩٤ والجوهر النقي للماردیني ج٥ ص١٤ والبحر الرائق ج٢ ص٦٣٨ وج٣ ص٧ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٢٣٥ و ٣٠٣ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٢٣٥ و ٢٤٨ و ٤١٠ وكشاف القناع للبهوتي ج٢ ص٥٦٨ والمحلى لابن حزم ج٧ ص١٠٢ ونيل الأوطار للشوكاني ج٥ ص١٣٠ واختلاف الحديث للشافعي ص٥٦٨ والمسند للشافعي ص١٩٦ ومسند أحمد ج٦ ص٢٨٤ و ٢٨٥ وصحيح البخاري ج٢ ص١٥٢ و ١٨٢ و ١٨٨ وج٥ =

وعن ابن عباس قال: «تمتع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وأول من نهى عنه معاوية»[1].

= ص١٢٥ وج٧ ص٥٩ وصحيح مسلم ج٤ ص٥٠ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠١٣ وسنن أبي داود ج١ ص٤٠٦ سنن النسائي ج٥ ص١٣٦ و ١٧٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٢ و ١٣و ١٣٤ وشرح مسلم للنووي ج٨ ص٢١١ و ٢١٢ و ٢٣٢ وفتح الباري ج٣ ص٤٥١ وج١٠ ص٣٠٤ وعمدة القاري ج٩ ص٢٠١ وج١٠ ص٣٨ و ٦٦ وج١٨ ص٣٧ وج٢٢ ص٥٥ وعون المعبود للعظيم آبادي ج٥ ص١٦٨ السنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٣٧ و ٣٦١ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٤٧٧ و ٤٨١ وشرح معاني الآثار ج٢ ص١٤٤ و ١٩٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ١٩٠ و ١٩١ و ٢١١ و٢١٥ ومسند الشاميين للطبراني ج١ ص٤١٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٣ ص٥١٤ و ٥١٧ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٣٠١ و ٣٠٣ و ٣٦٤ والتمهيد لابن عبد البر ج٨ ص٢٠٨ وج١٥ ص٢٩٧ و ٣٠٢ و ٣٠٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١٨١ و ١٨٣ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٣٩ وأضواء البيان الشنقيطي ج٤ ص٣٦٧ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ وج٥ ص١٤٩ و ١٥١ و ١٧١ و ١٧٣ والبداية والنهاية ج٥ ص١٥٥ وإمتاع الأسماع ج٩ ص٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٢٧ و ٢٤٣ و ٢٧١ و ٢٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٥٦.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧ عن أحمد، والترمذي، وفي هامشه عن: أحمد ج١ ص٣١٣ والترمذي ج٣ ص٨٥ (٨٢٢)، وراجع: شرح الأخبار ج٢ ص٥٣٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٢٤ وسنن الترمذي ج٢ ص١٦٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٣٣٩ وكنز العمال ج٥ ص١٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص١٢٢.

وعن ابن عباس، عن معاوية قال: «قصرت عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمشقص»، زاد مسلم، فقلت: «لا أعلم هذه إلا حجة عليك»[1].

وعن عطاء، عن معاوية قال: «أخذت من أطراف شعر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمشقص كان معي، بعد ما طاف بالبيت، وبالصفا والمروة، في أيام العشر»[2].

قال قيس بن سعد الراوي، عن عطاء: «والناس ينكرون هذا على معاوية»[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧ عن البخاري، ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٣ ص٦٥٦ (١٧٣٠) ومسلم في الحج باب (٢٠٩) وأبو داود (١٨٠٢) والنسائي ج٥ ص٢٤٤ وراجع: المجموع للنووي ج٨ ص١٩٦ ومسند أحمد ج٤ ص٩٦ و ٩٨ وصحيح البخاري ج٢ ص١٨٩ وصحيح مسلم ج٤ ص٥٨ وسنن أبي داود ج١ ص٤٠٥ وسنن النسائي ج٥ ص٢٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٠٢ وشرح مسلم للنووي ج٨ ص٢٣١ وفتح الباري ج٣ ص٤٥٠ و ٤٥٢ وعمدة القاري ج١٠ ص٦٦ و ٦٧ ومسند الحميدي ج٢ ص٢٧٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤١٦ والمعجم الكبير ج١٩ ص٣٠٩ ونصب الراية ج٣ ص٢١٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٣٦٩ و ٣٧١ وج٥ ص١٨٣ وعلل الدارقطني ج٧ ص٥١ و ٥٢ والإصابة ج٦ ص١٢٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٢ و السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦٩٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧ وفي هامشه عن: النسائي ج٥ ص١٩٧ وراجع: سنن النسائي ج٥ ص٢٤٥ و السنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤١٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧ ونيل الأوطار ج٥ ص١٣١وسنن النسائي ج٥ ص٢٤٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤١٦.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: «اعتمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل أن يحج»[١].

الرابع: الإطلاق.

عن عائشة قالت: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا نذكر حجاً ولا عمرة، وفي لفظ: «نلبي لا نذكر حجاً ولا عمرة»، وفي لفظ: «خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا نرى إلا الحج. حتى إذا دنونا من مكة، أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» من لم يكن معه هدي إذا طاف بين الصفا والمروة، أن يحل»[٢].

وفي نص آخر: «خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة لا يسمي حجاً ولا عمرة، ينتظر القضاء، فنزل عليه القضاء بين الصفا

---

(١) كتاب موطأ لمالك ج١ ص٣٤٣ ومسند أحمد ج٢ ص٤٧ وج٤ ٢٩٧ وصحيح البخاري ج٢ ١٩٨ وسنن أبي داود ج١ ص٤٤٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ٣٥٤ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٧٩ وفتح الباري ج٣ ص٤٧٧ وعمدة القاري ج١٠ ص١١٠ وعون المعبود ج٥ ص٣١٩ ومسند الشاميين للطبراني ج٤ ص١٣٦ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٩٠ و ٩١ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٠ ص١٣ وج٢٤ ص٤١١ والكافي لابن عبد البر ص١٣٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧ عن البخاري، ومسلم، وفي هامشه عن: البخاري ج٣ ص٤٩٢ (١٥٦١) وراجع: البحار ج٣٠ ص٦١٠ وسنن النسائي ج٥ ص٢٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٥ و عمدة القاري ج١٠ ص٤٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٢٧ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٣٠٢ و أضواء البيان للشنقيطي ج٥ ص١٤٩.

والمروة، فأمر أصحابه من كان منهم أهلَّ ولم يكن معه هدي أن يجعلها عمرة..»[1] الحديث.

فهذه أربعة أقوال: الإفراد، والقران، والتمتع، والإطلاق، ورجحا أنه «صلى الله عليه وآله» كان قارناً، ورجحه المحب الطبري، والحافظ، وغيرهم.

قال: أهلَّ في مصلاه، ثم ركب ناقته، فأهل أيضاً، ثم أهلَّ لما استقلت به على البيداء، وكان يُهِلُّ بالحج والعمرة تارة، وبالعمرة تارة، وبالحج تارة، لأن العمرة جزء منه، فمن ثم قيل: قرن. وقيل: تمتع، وقيل: أفرد، وكل ذلك وقع بعد صلاة الظهر، خلافاً لابن حزم، وصاحب الاطلاع.

قال النووي، والحافظ: وطريق الجمع بين الأحاديث، وهو الصحيح: أنه «صلى الله عليه وآله» كان أولاً مفرداً بالحج، ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك، وأدخلها على الحج فصار: قارناً، فمن روى الإفراد هو الأصل، ومن روى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧ عن الشافعي، وقال في هامشه: عن مسند الشافعي ج١ ص٣٧٢ (٩٦٠). وراجع: تذكرة الفقهاء (ط.ج) ج٧ ص٢٣٣ ومنتهى المطلب (ط.ق) الحلي ٢ ص٦٧٥ وكشف اللثام (ط.ج) ج٥ ص٢٥٦ و (ط.ق) ج١ ص٣١٣ وجواهر الكلام ج١٨ ص٢٠٣ وكتاب الأم للشافعي ج٢ ص١٣٩ والمجموع للنووي ج٧ ص١٦٦ وتلخيص الحبير ج٧ ص١١١ واختلاف الحديث للشافعي ص٥٦٧ و ٥٦٨ وكتاب المسند للشافعي ص١١١ و ١٩٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٣٩ وج٥ ص٦ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٣ ص٤٨٨ و ٥١٣ و ٥١٦ و ٥٥٦ والبداية والنهاية ج٥ ص١٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٨٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١١.

القران اعتمد آخر الأمر، ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي، وهو الانتفاع والإرتفاق[1].

ترجيحات لحج القران:

وذكروا ترجيحات لقول من رأى أنه «صلى الله عليه وآله» كان قارناً:

وذلك من وجوه، كما قال في زاد الميعاد.

الأول: أنهم أكثر.

الثاني: أن طريق الإخبار بذلك تنوعت.

الثالث: أن فيهم من أخبر عن سماعه لفظه «صلى الله عليه وآله» صريحاً، وفيهم من أخبر عن نفسه بأنه فعل ذلك، ومنهم من أخبر عن أمر ربه بذلك، ولم يجئ شيء من ذلك في الإفراد.

الرابع: تصديق روايات من روى أنه اعتمر أربعاً، وأوضح ذلك ابن كثير بأنهم اتفقوا على أنه «صلى الله عليه وآله» اعتمر عام حجة الوداع، فلم يتحلل بين النسكين، ولا أنشأ إحراماً آخر للحج، ولا اعتمر بعد الحج، فلزم القران، قال: وهذا مما يفسر الجواب عنه انتهى[2].

الخامس: أنها صريحة لا تحتمل التأويل، بخلاف روايات الإفراد، كما سيأتي.

السادس: أنها متضمنة زيادة سكت عنها من روى الإفراد، أو نفاها،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٧و٤٥٨ وتنوير الحوالك ص٣١٧ وشرح مسلم للنووي ج٨ ص١٣٥ والديباج على مسلم ج٣ ص٣٠٠.

(٢) البداية والنهاية ج٥ ص١٥٧ و ١٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٧٥.

والذاكر والزائد مقدم على الساكت، والمثبت مقدم على النافي.

السابع: روى الإفراد أربعة: عائشة، وابن عمر، وجابر، وابن عباس، وغيرهم رووا القران، فإن صرنا إلى تساقط رواياتهم سلمت رواية من عداهم للقران عن معارض، وإن صرنا إلى الترجيح وجب الأخذ برواية من لم تضطرب الرواية عنه ولا اختلفت، كعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأنس، والبراء، وعمران بن حصين، وأبي طلحة، وسراقة بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن أبي أوفى، وهرماس بن زياد.

الثامن: أنه النسك الذي أُمِرَ به من ربه، كما تقدم فلم يكن ليعدل عنه.

التاسع: أنه النسك الذي أمر به كل من ساق الهدي، فلم يكن ليأمرهم به إذا ساقوا الهدي، ثم يسوق هو الهدي ويخالفه.

العاشر: أنه النسك الذي أمر به له ولأهل بيته، واختاره لهم، ولم يكن يختار لهم إلا ما اختار لنفسه.

الحادي عشر: قوله: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»، يقتضي أنها صارت جزءاً منه أو كالجزء الداخل فيه بحيث لا يفصل بينه وبينه، وإنما يكون كالداخل في الشيء معه.

الثاني عشر: قول عمر: للصبي بن معبد ـ وقد أهل بحج وعمرة ـ فأنكر عليه زيد بن صوحان، وسلمان بن ربيعة، فقال له عمر: هديت لسنة نبيك «صلى الله عليه وآله» وهذا يوافق رواية عمر: أنه الوحي جاء من الله بالإهلال بهما جميعاً، فدلَّ على أن القران سنة التي فعلها، وامتثل أمر الله تعالى بها.

قال ابن كثير: والجمع بين رواية من روى أنه أفرد الحج، وبين رواية

من روى القران، أنه أفرد أفعال الحج، ودخلت فيه العمرة نيةً وفعلاً وقولاً، واكتفى بطواف الحج وسعيه عنه وعنها، كما في مذهب الجمهور في القارن خلافاً لأبي حنيفة.

وأما من روى التمتع وصح عنه أنه روى القران، فالتمتع في كلام السلف أعم من التمتع الخاص، والأوائل يطلقونه على الإعتمار في أشهر الحج، وإن لم يكن معه حج.

قال سعد بن أبي وقاص: تمتعنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما يريد بهذا إحدى العمرتين المتقدمتين: إما الحديبية، وإما القضاء، فأما عمرة الجعرانة، فإنها كانت بعد الفتح، وحجة الوداع بعد ذلك سنة عشر.

وأما حديث ابن عمر وعائشة السابقان، فقد رويا التمتع، فهو مشكل على الأقوال، أما قول الإفراد ففي هذا إثبات عمرة إما قبل الحج أو معه، وأما على قول التمتع الخاص، فإنه ذكر أنه لم يحل من إحرامه بعدما طاف بالصفا والمروة، وليس هذا شأن المتمتع[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١٥٧و ١٥٨ و السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٧٦وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٦ و ٤٨٧ عنه.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

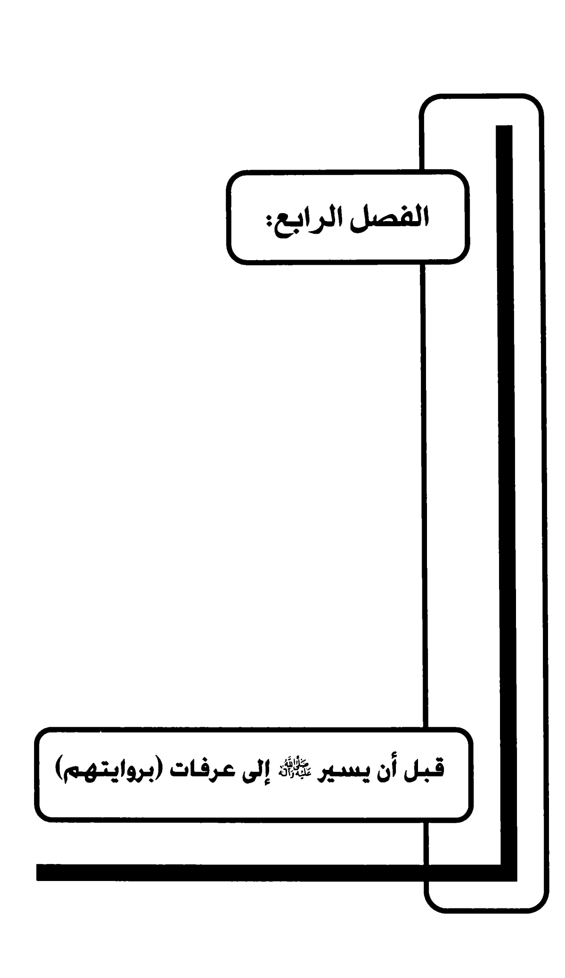
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible]
[illegible]



الفصل الرابع:

قبل أن يسير ﷺ إلى عرفات (بروايتهم)

الفصل الرابع:

([illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible])

طواف النبي ﷺ واستلام الركن والحجر:

وكان طوافه «صلى الله عليه وآله» بالبيت في حجة الوداع ماشياً، فقد روي عن جابر بن عبد الله أنه قال: «دخلنا مكة عند ارتفاع الضحى، فأتى النبي «صلى الله عليه وآله» باب المسجد، فأناخ راحلته، ثم دخل المسجد، فبدأ بالحجر فاستلمه، وفاضت عيناه بالبكاء، ثم رمل ثلاثاً، ومشى أربعاً حتى فرغ، قبَّل الحجر، ووضع يديه عليه، ومسح بهما وجهه»[1].

هل طاف ماشياً؟!:

ولكن وفي مقابل ما ذكرناه آنفاً هناك نصوص تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قد طاف راكباً لا ماشياً، فقد روي عن عائشة أنها قالت: «طاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على بعيره، يستلم الركن، كراهة أن يضرب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٢ عن البيهقي، وابن كثير، وفي هامشه عن: البيهقي ج٥ ص٧٤ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٧٤ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢١٢ و ٢٢٩ والدرر لابن عبد البر ص٢٦١ والبداية والنهاية ج٥ ص١٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣١٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١٤.

عنه الناس»[١].

وعن ابن عباس قال: «قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة يشتكي، فطاف على راحلته، وكلما أتى الركن استلم بمحجن، فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين[٢].

وعن ابن عباس وأبي الطفيل وجابر وغيرهم: «طاف في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن»[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٢ عن مسلم والمجموع للنووي ج٨ ص٢٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٢ عن أبي داود، وفي هامشه عن: أبي داود ج٢ ص١٧٧ (١٨٨١).

(٣) راجع: المجموع للنووي ج٨ ص٢٦ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج٢ ص١٤٦ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٤١٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج١ ص٤٢٢ وج٣ ص٣٩٤ والمحلى لابن حزم ج٧ ص١٨٠ ونيل الأوطار للشوكاني ج٥ ص١١٤ وصحيح البخاري ج٢ ص١٦٢ وصحيح مسلم ج٤ ص٦٧ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٢ عن البيهقي ج٥ ص١٠٠ وسنن أبي داود ج١ ص٤١٩ وسنن النسائي ج٢ ص٤٧ وج٥ ص٢٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٩٩ و شرح مسلم للنووي ج٩ ص١٨ وعمدة القاري ج٩ ص٢٥٢ وج٢٠ ص١٥٦ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٦٢ وج٢ ص٤٠١ والمنتقى من السنن المسندة ص١٢١ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٤ ص٨٦ و نصب الراية ج٣ ص١١٨ و ١١٩ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص١٤ وتغليق التعليق ج٣ ص٧٠ وكنز العمال ج٥ ص١٧٩ وأضواء البيان للشنقيطي ٤ ص٤٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص٩٧ وج٣١ ص٥١ وتهذيب الكمال للمزي ج١٩ ص٧٠.

زاد في نص آخر قوله: «ويقبل المحجن»[1].

قال: طاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجته بالبيت على ناقته الجدعاء، وعبد الله بن أم مكتوم آخذ بخطامها يرتجز

وقد أجابوا عن هذه الأحاديث: بأنه «صلى الله عليه وآله» كما يقول ابن كثير: كان له في حجة الوداع ثلاثة أطواف، هذا الأول.

والثاني: طواف الإفاضة، وهو طواف الفرض وكان يوم النحر.

والثالث: طواف الوداع.

فلعل ركوبه «صلى الله عليه وآله» كان في أحد الأخيرين، أو في كليهما.

فأما الأول: وهو طواف القدوم فكان ماشياً فيه، وقد نص على هذا الشافعي.

والدليل على ذلك: ما رواه البيهقي بإسناد جيد، عن جابر قال: «دخلنا مكة عند ارتفاع الضحى، فأتى النبي «صلى الله عليه وآله» باب المسجد فأناخ راحلته، ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه، وفاضت عيناه بالبكاء، ثم رمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، حتى فرغ، فلما فرغ قبَّل الحجر، ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه»[2].

---

(١) التبرك للأحمدي ص٣٨٤ عن المصادر التالية: صحيح مسلم ج٢ ص٨٩٣ و ٩٢٤ و ٩٢٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢٤٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٩٤ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٨٣ ومسند الإمام الشافعي (هامش كتاب الأم) ج٦ ص١٤٩/٢٧٢ والبداية والنهاية ج٦ ص١٢ وسنن أبي داود ج٢ ص١٧٦ والمصنف للصنعاني ج١٥ ص٤١ بسندين.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٢و٤٦٣ عن البيهقي، والمستدرك للحاكم ج١ =

قال ابن القيم: وحديث ابن عباس إن كان محفوظاً فهي في إحدى عمره، وإلا فقد صح عنه: الرمل في الثلاثة الأول من طواف القدوم، إلا أن يقول كما قال ابن حزم في السعي: إنه رمل على بعيره، فقد رمل لكن ليس في شيء من الأحاديث أنه كان راكباً في طواف القدوم. فلما حاذى «صلى الله عليه وآله» الحجر الأول استلمه، ولم يزاحم عليه قلت: وقال لعمر: «يا عمر، إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر، تؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله وهلل وكبر»[1].

وثبت عنه: أنه استلم الركن اليماني، ولم يثبت عنه أنه قبّله، ولا قبل يده حين استلامه.

وقول ابن عباس: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبل الركن

= ص٤٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٧٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١٥ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢١٣ والبداية والنهاية ج٥ ص١٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣١٧.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٣ وفي هامشه عن: أحمد ج١ ص٢٨، وسبل السلام ج٢ ص٢٠٦ ونيل الأوطار ج٥ ص١١٤ ومسند أحمد ج١ ص٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٨٠ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٣ ص٢٤١ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٢٨ وعون المعبود ج٥ ص٢٣٤ وشرح معاني الآثار ج٢ ص١٧٨ ونصب الراية ج٣ ص١١٥ و ١١٧والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص١٣ وكنز العمال ج٥ ص٥٨ والبداية والنهاية ج٥ ص١٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣١٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١٦.

اليماني، ويضع خده عليه[1].

قال ابن القيم: «المراد بالركن اليماني ها هنا الحجر الأسود، فإنه يسمى الركن اليماني مع الركن الآخر يقال لهما: اليمانيان.

ويقال له مع الركن الذي يلي الحجر من ناحية الباب: العراقيان.

ويقال للركنين اللذين يليان الحجر: الشاميان.

ويقال للركن اليماني، والذي يلي الحجر من ظهر الكعبة: الغربيان.

ولكن ثبت عنه: أنه قبّل الحجر الأسود، وثبت عنه أنه استلمه بيده، فوضع يده عليه ثم قبلها.

وثبت عنه: أنه استلمه بمحجنه، فهذه ثلاث صفات.

وروي عنه: أنه وضع شفته عليه طويلاً يبكي»[2].

وعن عمر بن الخطاب: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل الركن، ثم سجد عليه، ثم قبله، ثم سجد عليه، ثلاث مرات، ولم يمس من الركنين إلا اليمانيين فقط[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٤ عن الدراقطني، والوفاء لابن الجوزي ج٢ ص٥٢٦ وتاريخ الخميس ج١ ص١٢٦ وراجع: نيل الأوطار ج٥ ص١١٥ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٢١٥ وسنن الدارقطني ج٢ ص٢٥٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج٢ ص٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٤ عن ابن القيم.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٤ عن الطيالسي والبيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص٥٢١ والبيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص٥٢١.

وعن جعفر بن عبد الله قال: رأيت محمد بن عباد بن جعفر قبل الحجر وسجد عليه، ثم قال: رأيت خالك ابن عباس يقبله ويسجد عليه، وقال ابن عباس: رأيت عمر بن الخطاب قبله وسجد عليه، ثم قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فعل هكذا، ففعلت[1].

وعن ابن عباس: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسجد على الحجر[2].

ونص آخر يقول: استقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحجر، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً[3].

---

(١) راجع: التبرك للأحمدي ص٣٨٣ عن المصادر التالية: السنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٧٤ وسنن الدارمي ج٢ ص٥٣ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٥٥ والنسائي ج٥ ص٢٢٧ والبداية والنهاية ج٥ ص١٥٤ ومنحة المعبود ج١ ص٢١٥ والبيان لآية الله الخوئي قسم التعليقات ص٥٥٨ المرقم ١٣ وراجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧ والبيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص٥٢١.

(٢) السنن الكبرى ج٥ ص٧٥ وراجع: المجموع للنووي ج٨ ص٣٣.

(٣) سنن ابن ماجة ج٢ ص٩٨٢ ومستدرك الحاكم ج١ ص٤٥٤ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٣٨٤ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٣٨٤ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٨٢ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٥٤ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٢٤ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢١٢ والعهود المحمدية للشعراني ص٢٢٤ وفيض القدير ج٦ ص٤٥٦ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٣٣٤ والدر المنثور ج١ ص١٣٥ وكتاب المجروحين لابن حبان ج٢ ص٢٧٢ و تهذيب الكمال ج٢٦ ص٢٤٢ وميزان الاعتدال للذهبي ج٣ ص٦٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٧٣ و لسان العرب ج١٢ ص٢٩٨.

وعن نافع قال: رأيت ابن عمر استلم الحجر بيده وقبل يده، وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفعله[1].

وكان جابر وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس يفعلون ذلك أيضاً[2].

وثمة مصادر أخرى ذكرت استلام أركان البيت، وتقبيل الحجر عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعن الصحابة، وعن أئمة أهل البيت «عليهم السلام»[3].

---

(١) السنن الكبرى ج٥ ص٧٥ ومسند أحمد ج٢ ص١٠٨ وعن صحيح مسلم ج٢ ص٩٢٤ وعن فتح الباري ج٣ ص٣٧٨ و ٣٨٠ و ٣٨١.

(٢) راجع: التبرك للأحمدي ص٣٨٤ عن المصادر التالية: السنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٧٥ وكتاب الأم للشافعي ج٢ ص١٤٦ وفتح الباري ج٣ ص٣٧٨ والترمذي ج٣ ص٢١٥ ومسند أحمد ج١ ص٣٣٨ وفيه: «أنه ـ يعني ابن عباس ـ كان عند الحجر وعنده محجن يضرب به الحجر فيقبله».

(٣) راجع: كتاب التبرك للأحمدي ص٣٨٥ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج٥ ص١٥٣ ـ ١٥٥ والوفاء لابن الجوزي ج٢ ص٥٢٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج١ ص١٥٣ والوسائل ج٩ ص٤٠٢ ـ ٤١٣ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٤٨و١٤٩ ومستدرك الحاكم ج١ ص٤٥٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٢٦ ومسلم ج٢ ص٩٢٤ وما بعدها، وسنن ابن ماجة ج٢ ص٩٨٧ ـ ٩٨٣ والبخاري ج٢ ص١٨٣ وما بعدها، وفتح الباري عن شرحه للأحاديث، ومسند الشافعي (هامش كتاب الأم) ج٦ ص١٤٦ والترغيب والترهيب ج٢ ص١٥٢ وكتاب الأم للشافعي ج٢ ص١٤٥ وما بعدها، والنسائي ج٥ ص٢٦٦ و ٤٣١ و ٢٦٢ و ٢٣٣ و ٢٢٨ والترمذي ج٣ ص٢٩٢ و ٢١٤ وما =

قالوا: وروى الشيخان، عن ابن عباس قال: طاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجنه.

قال ابن القيم: وهذا الطواف ليس بطواف الوداع، فإنه كان ليلاً، وليس بطواف القدوم، لوجهين:

أحدهما: أنه قد صح عنه: أن الرمل في طواف القدوم. ولم يقل أحد قط رملت به راحلته، وإنما قالوا رمل نفسه.

والثاني: قول عمرو بن الشريد: أفضت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فما مست قدماه الأرض حتى أتى جمعاً، وهذا ظاهره: أنه من حين أفاض معه، ما مست قدماه الأرض إلى أن رجع[1].

فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام، فقرأ: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً**﴾[2]. فصلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت[3].

ونقول:

إننا نسجل حول النصوص المتقدمة بعض الإيضاحات، أو التحفظات على النحو التالي:

= بعدها، وأبي داود ج٢ ص١٧٥ و ١٧٦ و ١٨١ والدارمي ج٢ ص٤٢ و ٤٦ ومسند أحمد ج١ ص٢١٣ و ٢١٧ و ٢٣٧ و ٢٦٧ و ٢٩١ وج٣ ص٤٣٠ والبيان للسيد الخوئي ص٥٥٨ وكنز العمال ج٥ ص٩١ و ٩٥ والغدير ج٦ ص١٠٣ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٧١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٠.

(٢) الآية ٨١ من سورة مريم.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٤.

السعي والطواف راكباً:

وقد تقدم: أن النبي«صلى الله عليه وآله» قد طاف راكباً.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: طاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ناقته العضباء، وجعل يستلم الأركان بمحجنه، ويقبل المحجن[1].

وعن الإمام الباقر، عن أبيه «عليهما السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» طاف على راحلته، واستلم الحجر بمحجنه، وسعى عليها بين الصفا والمروة[2].

وفي نص آخر: أنه كان يقبل الحجر بالمحجن[3].

---

(١) الكافي ج٤ص٤٣٠ وراجع: مجمع الفائدة ج٧ ص١٠٠ والحدائق الناضرة ج١٦ ص١٢٩ ومستند الشيعة ج١٢ ص٨٣ والكافي ج٤ ص٤٢٩ والوسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٤٤١ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٩٢ والبحار ج٢١ ص٤٠٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٣١٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٩٧ وج٦ ص٥٩٦ وج٨ ص٣٩٤ ومنتقى الجمان ج٣ ص٣١٣.

(٢) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٤٤٢ وج١٣ ص٤٩٧ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٩٢ و ٥٣٣ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٤٠٢ والحدائق الناضرة ١٦ ص١٢٩ و ٢٧٠ ومستند الشيعة ج١٢ ص٧٠ وجواهر الكلام ج١٩ ص٢٨٩ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٤٢٠ و ٤٥٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٣١٥ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٧٦.

(٣) وسائل الشيعة ج٩ ص٤٩٢ عن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٤٠٢ والحدائق الناضرة ج١٦ ص١٢٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٣٠٧.

سؤال.. وجوابه:

غير أن من الواضح: أن الأفضل هو الطواف والسعي ماشياً.

فعن أبي عبد الله «عليه السلام»: سألته عن الرجل يسعى بين الصفا والمروة راكباً؟!

قال: لا بأس، والمشي أفضل[1].

ونحن نعلم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: ابن سمية (أو عمار) ما عرض عليه أمران قط إلا اختار الأرشد منهما (أو أرشدهما)[2] فإن كان هذا حال عمار فكيف بالنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!.

فركوبه «صلى الله عليه وآله» على الناقة مع كون المشي أفضل لا بد له من سبب موجب.

وقد وجدنا بعض النصوص المتقدمة عن ابن عباس تصرح: بأن السبب في ذلك هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قدم مكة يشتكي.

ورواية عائشة المتقدمة تقول: إنه طاف راكباً كراهة أن يُضرب عنه الناس.

غير أننا نعلم: أن المقصود إن كان هو إضراب الناس عن استلام الركن لو لم يستلمه بالمحجن، فيكفي لتلافي هذه السلبية أن يصدر لهم أمره

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٤٩٦ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٥٣٢ عن التهذيب ج٥ ص١٥٥ والكافي ج٤ ص٤٣٧ وراجع: المقنعة ص٧١ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٤١٦ ومستند الشيعة ج١٢ ص١٧١.

(٢) راجع المصادر في الهوامش المتقدمة.

باستلامه، وأن يبادر هو إلى استلامه حين يطوف ماشياً بعد ذلك..

وإن كان المقصود هو أن الناس حين يطوفون مشاةً يزدحمون على النبي «صلى الله عليه وآله»، فيضربون ليتفرقوا عنه، فالجواب هو: أن أحداً لم يكن ليتجرأ على ضرب أحد بمحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يكفي أن يأمر الناس بأمره ليلتزموا به، خصوصاً إذا كان ذلك بمحضره..

فقول ابن عباس: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يشتكي هو الأولى والأقرب، إن لم نقل: إنه الأصح والأصوب.

متى طاف راكباً؟!:

وملاحظة النصوص المختلفة تعطي: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يطف راكباً، بل طاف ماشياً واستلم الحجر، وسجد عليه، ومسحه بيده ومسح بها وجهه إلى آخر ما تقدم ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون قد طاف راكباً كما ورد في عمرة القضاء، وربما تكرر ذلك منه، في عمرة له في بعض طوافاته الأخرى التي طافها في حجة الوداع، ومنها: طواف الحج وطواف النساء، وربما العديد من الطوافات المستحبة.. حيث كان مرضه يمنعه من الطواف ماشياً.

إنك حجر لا تضر ولا تنفع:

وقد رووا: أن عمر بن الخطاب استند في تقبيله الحجر الأسود إلى فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقالوا: لما دخل عمر المطاف قام عند الحجر، فقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبلك ما قبلتك.

فقال له علي «عليه السلام»: بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع.

قال: ولم؟!

قلت: ذاك بكتاب الله.

قال: وأين من كتاب الله؟!

قلت: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ..﴾[1] الآية. وكتب ذلك في رق.. فألقمه ذلك الرق، وجعله في هذا الموضع.

فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[2].

وكلام عمر عن أنه يعلم أنه حجر لا يضر ولا ينفع، ولو لم ير رسول

---

(١) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٢) راجع: الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ج٩ ص١٣٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص١٠٠ وكنز العمال ج٥ ص١٧٧ والتبرك ص٣٨٢ عن المصادر التالية: السيرة الحلبية ج١ ص١٨٨ والوسائل ج٩ ص٤٠٦ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٤٨ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٥٧ وتلخيص الذهبي (بهامش المستدرك)، والبحار ج٩٩ ص٢١٦ وما بعدها، وص٢٢٨ وفتح الباري ج٣ ص٣٧٠ والدر المنثور ج٣ ص١٤٤ عن فضائل مكة، والمطولات، والحاكم، والبيهقي، وشعب الإيمان، وابن الجوزي في سيرة عمر ص١٠٦ والأزرقي في تاريخ مكة، وإرشاد الساري للقسطلاني ج٣ ص١٩٥ وعمدة القاري ج٤ ص٦٠٦ والجامع الكبير للسيوطي كما في ترتيبه ج٣ ص٣٥ وابن أبي الحديد ج٣ ص١٢٢ والفتوحات الإسلامية لدحلان ج٢ ص٤٨٦ وشرح السيوطي للنسائي (في هامشه) ج٥ ص٢٢٨ وكنز العمال ج٥ ص٩٣ والغدير ج٦ ص١٠٣ عن الحاكم، وعن مصادر جمة.

الله «صلى الله عليه وآله» يقبله لما قبله مذكور في مصادر كثيرة فراجع[1].

ولعل هذا الموقف العُمري، بالإضافة إلى أمره بقطع الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها، وكان المسلمون يقصدونها للتبرك بها والصلاة عندها، وتوعد من يعود للصلاة عندها بالقتل[2]، هما الأصل في النزعة التي ظهرت في المسلمين، والتي تقضي بالمنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين.

لماذا هذا الموقف من عمر؟!:

والذي نظنه: أن عمر بن الخطاب أراد أن يظهر شدة رفضه لعبادة الأصنام بهذهِ الطريقة وأنه يمتاز عن غيره بهذا التشدد في كل ما يشير إلى

---

(١) التبرك للعلامة الأحمدي «رحمه الله» ص٣٨٢و٣٨١ عن المصادر التالية: السنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٧٤ وصحيح مسلم ج٢ ص٩٢٥ و ٩٢٦ والنسائي ج٥ ص٢٢٧ والترمذي ج٣ ص٢١٤ ومسند أحمد ج١ ص١٦ و ٢١ و ٢٦ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٩ و ٤٦ و ٥١ و ٥٣ و ٥٤ والبخاري ج٢ ص١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٦ والبداية والنهاية ج٥ ص١٥٣ و ١٥٤ بأسانيد متعددة، وفتح الباري ج٣ ص٣٦٩ بأسانيد متعددة عن عابس وغيره، وكنز العمال ج٥ ص٩١ و ٩٢ والموطأ ج١ ص٣٣٤ وأبي داود ج٢ ص١٧٥ وابن ماجة ج٢ ص٩٨١ والدارمي ج٢ ص٥٣ ومنحة المعبود ج١ ص٢١٥ و ٢١٦.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص١٠١ وج١ ص١٧٨ وراجع: الطبقات الكبرى ج٢ ص١٠٠ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الحوزي ص١١٥ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٢٠ والدر المنثور ج٦ ص٧٣ وفتح القدير ج٥ ص٥٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٠ وعن فتح الباري ج٧ ص٤٤٨ وعن إرشاد الساري ج٩ ص٢٣١ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٢٦٩.

تقديس الأحجار، حتى لو كان هو الحجر الأسود. فهو مغرق في التوحيد، حتى إنه ليتجاوز فيه ويفوق رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه.

عمر يخطّئ رسول الله ﷺ:

ولكن إغراق عمر في التوحيد والإنقطاع إلى الله، يتضمن التعريض بغيره، والإتهام لهم بمن فيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بأنهم مقصرون في هذا الأمر، بل إن شائبة عبادة الأحجار والأوثان لا تزال تظهر فيهم..

نعم.. لقد تضمن كلام عمر عن الحجر الأسود، وأنه لا يضر ولا ينفع تسفيهاً لفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإفراغاً له من محتواه، بل فيه اتهام للنبي «صلى الله عليه وآله» في دينه، وفي صحة توحيده، فإنه ومن معه لا يقدسون حجراً هو الحجر الأسود وحسب، بل يرونه معبوداً ولذلك قال له عمر: إني لأعلم أنك حجر ـ المشعر بأن غيره لا يراه حجراً.. لأنه يرى له من القدر ما يرفعه عن مستوى الحجرية، ويجعله وثناً يعبد.

بل إن قوله: إنه يعلم أنه حجر لا يضر ولا ينفع، ولولا التأسي برسول الله «صلى الله عليه وآله» لما قبله. يثير سؤالاً عن حكمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسلامة عقله، وصحة تصرفاته، إذ لا جدوى من تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله» لحجر لا يضر ولا ينفع.

على أنه إما قبَّله بأمر من الله، أو من عند نفسه، فإن كان بأمر من الله، فهل يأمر الله تعالى بشيء عبثي؟! وإن كان من عند نفسه فذلك يمثل طعناً في رسول الله «صلى الله عليه وآله». كما هو واضح..

التبرك في أجلى مظاهره:

إن تقبيل المحجن وتقبيل اليد بعد استلام الحجر أو الركن بهما، وكذلك وضع اليد على الحجر، ثم مسح الوجه بها، لهو من أجلى مظاهر التبرك، وأقواها دلالةً، إذ هو لا يتبرك بملامسة الشيء المبارك، بل يتبرك بما لامسه أيضاً، ولو كان محجناً.

سجود النبي ﷺ على الحجر:

ويذكّرنا سجود النبي «صلى الله عليه وآله» على الحجر بما يرمى به الشيعة من قبَل أهل السنة، حين يرونهم يسجدون على التربة الحسينية ويقبلونها، فيتهمونهم بأنهم يعبدون الحجر.

وليت شعري هل يتهم هؤلاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً بأنه يعبد الحجر، لأنه يسجد على الحجر الأسود ويقبله؟!.

وهل يمكن أن يقال: إن أهل السنة قد أخذوا هذه التهمة من عمر بن الخطاب حين لمّح في كلامه إلى أن الذين يقبلون الحجر، ويسجدون عليه إنما يقبلون حجراً لا يضر ولا ينفع، فهو بمثابة الوثن الذي يعبد؟!

فإن كان النبي «صلى الله عليه وآله» والصحابة لا يعبدون الحجر الأسود حين يسجدون عليه ويقبلونه، فلماذا يعتبرون الشيعة عبّاد أحجار، ولماذا لا يقلعون عن اتهامهم في دينهم، وعن مضايقتهم، وتوجيه أنواع الأذى والتجريح إليهم؟!.

الصلاة خلف مقام إبراهيم:

وقد صلى النبي «صلى الله عليه وآله» خلف مقام إبراهيم، وقد قال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[1]، ومقام إبراهيم هو الموضع الذي في الأصل حجر أو صخرة كان يقف عليها إبراهيم وإسماعيل لما بنيا البيت، وكان ملصقاً بالكعبة أعزها الله تعالى، ولكن العرب بعد إبراهيم وإسماعيل أخرجوه إلى مكانه اليوم.

ولما بعث الله محمداً «صلى الله عليه وآله»، وفتح الله له ألصقه بالبيت كما كان على عهد أبويه إبراهيم وإسماعيل..

فلما ولي عمر أخره إلى موضعه اليوم، وكان على عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، وأبي بكر ملصقاً بالبيت[2].

فما هذا الولع في العودة إلى رسوم الجاهلية، كما هي الحال هنا وفي رجوعهم في التاريخ الهجري إلى جعل شهر محرم هو أول السنة، كما كان في الجاهلية، بدلاً من شهر ربيع الأول، وكما في المنع من العمرة في أشهر الحج كما كانوا في الجاهلية.. وكما في منعهم من زواج المتعة، الذي لم يكن في الجاهلية.. و.. و..

---

(١) الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

(٢) راجع: النص والإجتهاد ص٢٧٨ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٨٤ وتاريخ الخلفاء ص١٣٧ والوسائل ج٩ ص٤٧٩ وعن شرح النهج للمعتزلي ج٣ ص١١٣ وعن تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٦٠ وعن حياة الحيوان مادة: الديك. والكافي ج٨ ص٥٨ ـ ٦٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٥٥ باب ٩ حديث٧ و ٨ و ٩ و ١٠ ومقدمة مرآة العقول ج٢ ص١٢٨.

ثم إنهم يرمون الناس كلهم بالشرك، ويكفرونهم لمجرد تقبيلهم قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو سجودهم على تربة الحسين «عليه السلام» مع مبالغتهم في إظهار شدة تعلقهم بالتوحيد، حتى ليخيل للناظر أنهم يكادون يرمون رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالوثنية، لأنه قبَّل الحجر الأسود واستلم الأركان.. فما هذه المفارقات في تصرفاتهم وفي مواقفهم؟!

بكاء النبي ﷺ حين استلام الحجر:

وعن بكاء النبي «صلى الله عليه وآله» حين استلام الحجر الأسود نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يبك خوفاً من عقوبة على ذنب اقترفه، فإنه «صلى الله عليه وآله» نبي معصوم عن الخطأ، مبرأ من الزلل..

ولكنه بكاء الشوق إلى الله تعالى، والفرح بالوفاء بالميثاق، وبمصافحة أول ملك من الملائكة أقر بالميثاق. فأودعه الله تعالى مواثيق الخلائق[1]..

بل في بعض الروايات عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: الحجر يمين الله، فمن شاء صافحه لها[2].

قال المجلسي: «وهذا القول مجاز، والمراد: أن الحجر جهة من جهات القرب إلى الله تعالى، فمن استلمه وباشره قرب من طاعته تعالى، فكان

---

(١) البحار ج٩٦ صباب فضل الحجر، وعلة استلامه وراجع: من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٩٢ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٣١٨ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٠٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣١ وج١١ ص٣٠٥ و ٣٠٦.

(٢) المجازات النبوية ص٤٤ والبحار ج٩٦ ص٢٢٨.

كاللاصق بها، والمباشر لها..»[1].

ابن أم مكتوم آخذ بزمام الناقة:

ولا نستطيع أن نؤيد صحة الخبر الذي يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قد طاف على ناقته، وابن أم مكتوم آخذ بخطامها يرتجز[2].. لأن ابن أم مكتوم كان أعمى، وقد يرتبك الأعمى في طوافه حول البيت وحده، ومن دون مرشد ودليل، فكيف يتولى هداية ناقة غيره أيضاً في الطواف؟!.

طواف الوداع:

وقد مرت في النصوص المتقدمة الإشارة إلى طواف الوداع، الذي يكون بعد طواف الفرض.

ونقول:

إن طواف الوداع فيما يبدو لنا: هو في الأصل طواف النساء، ولكنهم بدلوا حقيقته، فلم يعد مجزياً عن طواف النساء الواجب، لعدم توفر النية الصحيحة فيه، فيا ليتهم تركوا هذا الحكم، وأراحوا أنفسهم من السؤال عنه، أو المحاسبة عليه يوم القيامة..

---

(١) البحار ج٩٦ ص٢٢٨.

(٢) البحار ج٩٦ ص٢٢٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦٣٤ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٤٤ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٢.

إنكار تقبيل الركن اليماني:

وقد أنكر ابن القيم تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله» الركن اليماني، رغم صراحة الروايات في أنه قبّله ووضع خده عليه.

وادّعى: أن المراد بقول ابن عباس: كان «صلى الله عليه وآله» يقبل الركن اليماني ويضع خده عليه هو ركن الحجر الأسود، لأنه يماني أيضاً، ولذلك يقال له، وللركن اليماني: يمانيان.

وهو تأويل بارد، عار من القرينة والشاهد..

بل ربما يقال: إنه لا يصح إطلاق كلمة «الركن اليماني» على ركن الحجر الأسود، إذ لعل إطلاق اليماني على ركن الحجر الأسود قد جاء على سبيل التغليب كقولك: العمرين، والحسنين، والقمرين، ونحو ذلك.

ولكن لا يصح إطلاق هذا الوصف على الطرف الآخر مع إفراده، فأبو بكر لا يقال له: عمر، والشمس لا يقال لها: قمر، والحسين «عليه السلام» لا يقال له: حسن هكذا.

ولو سلمنا أنه كان يطلق عليهما ذلك، فإن إرادة الحجر من كلمة الركن اليماني، تحتاج إلى قرينة وشاهد، وأما مع الإطلاق، فالمتبادر هو خصوص الركن اليماني المقابل للحجر، دون سواه..

عمر رجل قوي لا يزاحم:

وعن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعمر: «إنك رجل قوي لا تزاحِم»، نقول:

إنه لا شك في حرمة أذى الناس، سواء جاء هذا الأذى من القوي، أو

من الضعيف، ولا بد من تجنب أذى الناس وهو أمر ممكن وواقع من القوي ومن الضعيف على حد سواء..

ولم نسمع أن قوياً آذى أحداً في الزحام وعفي من المؤاخذة والعقوبة، إلا إذا صدر عنه بلا اختيار.. ولم نسمع أحداً اعتذر في مقام الدفاع عن نفسه أمام القاضي في المحاكم بأنه «قوي»، كما لم نسمع أن القاضي احتمل في حقه ذلك ليجعله سبباً في تخفيف العقوبة، أو شبهة توجب درء الحد عنه..

وكل ذلك يدلنا على أن عمر بن الخطاب حين كان يؤذي الناس في الزحام، لم يكن له عذر في ذلك، بل السبب في صدور هذا الأذى منه أنه لم يكن يهتم لراحة الناس، بل كان يستفيد من قوته وشدته للحصول على ما يريد.. ومن كان كذلك، هل يكون للرعية كالوالد الرحيم، ليصح أن يتولى أمرهم؟!.

الرمل في الطواف:

وعن الرمل في الطواف نقول:

إن ذلك لا يصح، وإنما كان الرمل في عمرة القضاء، فقد روي: أنه «صلى الله عليه وآله» مر في عمرة القضاء بنفر من أصحابه جلوس في فناء الكعبة فقال: «هو ذا قومكم على رؤوس الجبال، لا يرونكم، فيروا فيكم ضعفاً».

قال: فقاموا فشدوا أزرهم، وشدوا أيديهم على أوساطهم فرملوا[1].

---

(١) الوسائل (ط-مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٣٥٢ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٢٨ عن علل الشرائع ص١٤٣ و (ط أخرى) ج٢ ص٤١٢ والحدائق الناضرة ج١٦ ص١٢٧ وجواهر الكلام ج١٩ ص٣٥١ والبحار ج٩٦ ص١٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٣١٦.

وفي نص آخر عن أبي جعفر «عليه السلام»: «أمر الناس أن يتجلدوا، وقال: أخرجوا أعضادكم، وأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» عضده، ثم رمل بالبيت ليريهم أنه لم يصبهم جهد، فمن أجل ذلك يرمل الناس، وإني لأمشي مشياً، وقد كان علي بن الحسين «عليه السلام» يمشي مشياً»[1].

زاد في نص آخر عن ابن عباس قوله: «ورملوا بالبيت ثلاثة أشواط، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على ناقته، وعبد الله بن رواحة آخذ بزمامها، والمشركون بحيال الميزاب، ينظرون إليهم، ثم خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، فلم يرمل، ولم يأمرهم بذلك»[2].

وقد تحدثنا عن هذا الأمر في عمرة القضاء، في هذا الكتاب، فراجع..

سعى راكباً:

عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر: أن رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٣٥٢ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٢٨ وعلل الشرايع ج٢ ص٤١٢ وكشف اللثام (ط.ج) ج٥ ص٤٦٦ و (ط.ق) ج١ ص٣٤٢ و رياض المسائل ج٧ ص٤٠ و جواهر الكلام ج١٩ ص٣٥١.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤٢٩ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٣٥٣ عن نوادر أحمد، وراجع فقه الرضا (ط حجرية) ص٧٣ والحدائق الناضرة ج١٦ ص١٢٨ ورياض المسائل ج٧ ص٤١ وجواهر الكلام ج١٩ ص٣٥١ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٣٩٥ والبحار ج٩٦ ص٣٥٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١١ ص٣١٧.

وآله» طاف في حجة الوداع على راحلته بالبيت، وبين الصفا والمروة ليراه الناس.

وبكونه سعى راكباً جزم ابن حزم[1].

وظاهر الأحاديث عن جابر وغيره، يقتضي: أنه مشى، خصوصاً قوله: فلما انصبت قدماه في الوادي رمل حتى إذا صعد مشى.

وجزم ابن حزم: بأن الراكب إذا انصب به بعيره فقد انصب كله، وانصبت قدماه أيضاً مع سائر جسده.

قال ابن كثير: وهذا بعيد جداً[2].

وفي الجمع بينهما وجه أحسن من هذا، وهو: أنه سعى ماشياً أولاً، ثم أتم سعيه راكباً، وقد جاء ذلك مصرحاً به، ففي صحيح مسلم، عن أبي الطفيل، قال: قلت لابن عباس: أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكباً، أسنة هو؟ فإن قومك يزعمون أنه سنة.

قال: «صدقوا وكذبوا».

قال: قلت: ما قولك صدقوا وكذبوا؟!

قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كثر عليه الناس يقولون: هذا محمد، حتى خرج عليه العواتق من البيوت، قال: وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يضرب الناس بين يديه، قال: فلما كثر عليه الناس ركب،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٥ عن أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن كثير، وابن القيم، وابن حزم وغيرها من المصادر التي مرت.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٥.

والمشي أفضل[1].

وعن قدامة بن عمار قال: «رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يسعى بين الصفا والمروة على بعير، لا ضرب، ولا طرد، ولا إليك إليك»[2].

قلت: «وفي حديث يعلى بن أمية: أنه رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مضطجعاً بين الصفا والمروة بِبُرْدٍ له نَجْرَاني»[3].

---

(١) سبل الهدى الرشاد ج٨ ص٤٦٥ عن ابن كثير، وابن حزم، وراجع: بداية المجتهد لابن رشد الحفيد ج١ ص٢٧٣ ونيل الأوطار ج٥ ص١٢٢ و ١٢٣ ومسند أحمد ج١ ص٢٢٩ و ٢٩٧ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣٦٩ و ٣٧٣ وصحيح مسلم ج٤ ص٦٤ و ٦٥ وسنن أبي داود ج١ ص٤٢١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٨٢ و ١٠٠ و ١٥٤ و شرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١١ و الديباج على مسلم ج٣ ص٣٤٨ ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٥١ و مسند الحميدي ج١ ص٢٣٧ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢١٥ و ٢٤٠ وشرح معاني الآثار ج٢ ص١٨٠ وأمالي المحاملي ص٨٢ وصحيح ابن حبان ج٩ ص١١٩ و ١٥٤ والمعجم الكبير ج١٠ ص٢٦٧ و ٢٦٨ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص١٩٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٢ ص٧٠ و نصب الراية للزيلعي ج٣ ص١١٩ و ١٢٥ وفيض القدير ج١ ص٧٤ و أحكام القرآن للجصاص ج١ ص٩٥ و ١٢٠ و تهذيب الكمال ج٣٤ ص٩ و ١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص ٤٦٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٤ وج ٥ ص١٨٠ و ١٨١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٦ والبيهقي ج٥ ص١٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٣٠ و البداية والنهاية ج٥ ص١٨٣.

(٣) مسند أحمد ج٤ ص٢٢٣وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٥ عنه، والبداية والنهاية ج٥ ص١٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣١٩.

يرى بياض فخذ رسول الله ﷺ:

وعن حبيبة بنت أبي تجراة قالت: «رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يطوف بين الصفا والمروة، والناس بين يديه وهو وراءهم، وهو يسعى، حتى أرى ركبتيه من شدة السعي، يدور به إزاره وهو يقول: «اسمعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي»».

وفي الكبير قال: «ولقد رأيته من شدة السعي يدور الإزار حول بطنه وفخذيه حتى رأيت بياض فخذيه»[1].

ونقول:

إن لنا مع هذه الأقاويل وقفات عديدة، هي التالية:

الإضطباع:حكمه، ومعناه:

إضطبع الرجل: أبدى أحد ضبعيه، واضطبع المحرم بثوبه، أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن، وغطى به الأيسر..

وروايات أهل البيت «عليهم السلام» لم تشر إلى الإضطباع بشيء، بل تكتفي بالأمر بلبس الإزار والرداء، ولا تشير إلى لزوم كيفية بعينها، فلا بد من حملها على لبسهما على النحو المتعارف، وهو أن يأتزر بأحد الثوبين، ويرتدي بالآخر بوضعه على الكتفين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٦ عن أحمد والطبراني، وفي هامشه عن أحمد ج٦ ص٤٢١ ومجمع الزوائد ج٣ ص١٤٧ وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص٢٢٧.

وأما حديث علي بن أمية أنه رأى النبي «صلى الله عليه وآله» مضطبعاً بأحد ثوبيه، فإن كان له نصيب من الصحة، فربما يكون رداء الرسول «صلى الله عليه وآله» قد اختل بسبب الهواء، أو الزحام، فرآه يعلى في تلك الحال، قبل أن يصلحه «صلى الله عليه وآله»..

رأى بياض فخذي رسول الله ﷺ!!:

وإذا كانوا يروون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن الفخذ من العورة التي لا يجوز إظهارها، فإن ذلك يقتضي عدم جواز تشريع ما يوجب انكشافها من الأساس..

واحتمال أن يكون التشريع لا يوجب ذلك، وإنما اتفق ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لسبب ما.. لا مجال لقبوله، لأن ذلك لا بد أن يدخل في سياق التهاون والتقصير في رعاية الأحكام، وهذا ممنوع على النبي الكريم «صلى الله عليه وآله».. وبدون ذلك، فإن الله تعالى لا بد أن يسدد نبيه ويحفظه من أن يظهر منه ما يخل بمقامه، ولا سيما العورة التي يأنف كل أحد من أن يراها أي كان من الناس، حتى ولو بالرغم عنه..

وقد تقدم لنا كلام حول هذا الموضع حين الحديث عن نقل الحجارة لبناء الكعبة في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فراجع..

قدوم علي عليه السلام من اليمن:

قالوا: وسار رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل يوم التروية بيوم، فقلنا غداً إن شاء الله تعالى بالخيف، حيث استقسم المشركون، ثم سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ والناس معه ـ حتى نزل الأبطح شرقي

مكة، في قبة حمراء من أدم، ضربت له هناك.

وهناك ـ كما قال ابن كثير ـ: قدم علي من اليمن ببدن رسول الله «صلى الله عليه وآله» محرشاً لفاطمة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «صدقت» ثلاثاً، «أنا أمرتها يا علي بم أهللت»؟

قال: قلت: اللهم إني أهلّ بما أهلّ به رسولك. قال: ومعي هدي.

قال: «فلا تحل»، فكان جملة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي ساقه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة مائة بدنة[1].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

تحريش علي لفاطمة عليها السلام:

قد تقدم في روايات أهل البيت «عليهم السلام»: أن علياً «عليه السلام» قدم من اليمن فوجد فاطمة «عليها السلام» قد أحلت، فذهب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مستفتياً.

فتغيرت كلمة مستفتياً عند مناوئي أهل البيت «عليهم السلام»، فصارت: «محرشاً» لتدل على: أن فاطمة «عليها السلام» لم تكن مأمونة في دينها بنظر علي «عليه السلام»، أو أن علياً «عليه السلام» نفسه كان ذا طبيعة عدوانية، واستفزازية..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٧.

الإجمال في النية:

لقد دلت نية علي «عليه السلام» وهي: أهللت بما أهل به النبي «صلى الله عليه وآله»، صحة الإجمال في النية، حين يكون المنوي محدداً في الواقع، وإن لم يعلم الناوي تفصيله، وحدوده وخصوصياته حين إنشائه للنية.

فنية النبي «صلى الله عليه وآله» كانت محددة واقعاً، فيكفي أن يقصد علي «عليه السلام» ما قصده النبي «صلى الله عليه وآله»، إذ لا ترديد في النية ولا في المنوي بحسب الواقع..

الكلب والحِمار والمرأة:

وكان «صلى الله عليه وآله» يصلي مدة مقامه هنا إلى يوم التروية بمنزله الذي هو نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة، فأقام بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة: الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء.

ولم يعد إلى الكعبة، كما في الصحيح عن ابن عباس.

وفي حديث أبي جحيفة: أنه أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأبطح وهو في قبة له حمراء، فخرج بلال بفضل وضوئه، فمن ناضح ومن نائل.

قال: فأذن بلال، فكنت أتتبع فاه ها هنا وها هنا، يعني يميناً وشمالاً، ثم خرج بلال بالعنزة بين يديه، فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعليه حلة حمراء، فكأني أنظر إلى بريق ساقيه، فصلى بنا الظهر والعصر، ركعتين ركعتين، تمرّ المرأة، والكلب، والحمار من وراء العنزة.

فقام الناس، فجعلوا يأخذون بيده فيمسحون بها وجوههم.

قال: فأخذت يديه فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك[1].

ونقول:

١ ـ لقد تحدثنا فيما سبق عن عدم صحة قولهم: لا يقطع الصلاة إلا الكلب، والحمار، والمرأة.. وأن في هذا الكلام إساءة إلى الدين، وتكذيب لآياته، وإبطال لمناهجه، فإنه لا يصح مساواة المرأة بالكلب والحمار، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]، بلا فرق في ذلك بين المرأة والرجل..

وقد كانت الزهراء «عليها السلام» بعد أبيها وبعلها أفضل الخلق. وأكرمهم على الله تبارك وتعالى.

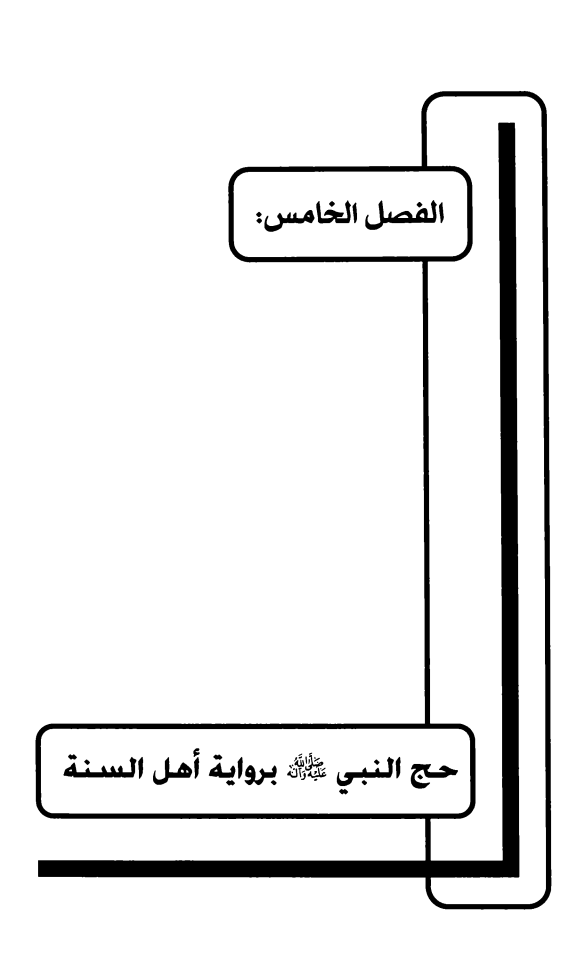
٢ ـ على أننا لا ندري لماذا انحصر قطع الصلاة بالكلب والحمار دون سائر البهائم، فلم يقطعها مرور الخنزير، أو الفرس، أو أي حيوان آخر؟!

٣ ـ وقد تحدثنا عن تبرك الصحابة بآثار نبيهم الأكرم «صلى الله عليه وآله» أكثر من مرة فلا نعيد.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ص٤٦٧ و٤٦٨ عن أحمد، والبخاري ومسلم، وراجع: مسند أحمد ج٤ ص٣٠٨ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٢٦ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج١ ص١١٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٤٥٠ والبداية والنهاية ج٥ ص١٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٣٦.

(٢) الآية ٦ من سورة الحجرات.



الفصل الخامس:

حج النبي ﷺ برواية أهل السنة

الفصل الخامس

[illegible]

النبي ﷺ في عرفات:

قال ابن سعد: فوقف بالهضبات من عرفات وقال: «كل عرفة موقف إلا بطن عرنة»[1]. أي بالنون.

قال ابن تيمية: بطن عرنة واد من حدود عرفة.

فخطب الناس قبل الصلاة على راحلته خطبة عظيمة.

وهو قائم في الركابين ـ كما عند أبي داود ـ عن العداء بن خالد[2].

ونص الخطبة بعد الحمد لله، والثناء عليه:

«أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليردها لمن ائتمنه عليها.

ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي، وإن أول دمائكم أضع. **وفي رواية:** وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٨ عن أبي داود ج٢ ص١٨٩ (١٩١٧) وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٧٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٨ عن أبي داود ج٢ ص١٨٩ (١٩١٧).

(**وفي رواية**: دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فقتلته هذيل[1].

وعند ابن إسحاق، والنسائي، في بني ليث، فقتلته هذيل). فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية، وإن كل ربا موضوع، ﴿**فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ**﴾[2]، قضى الله أنه لا ربا، وإن أول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

أما بعد أيها الناس، الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يطمع فيما سوى ذلك، فقد رضي بما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس، إنّ ﴿**النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ**﴾[3] ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، وفي رواية: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهَ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً**﴾، ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾[4]، ثلاثة متوالية: ذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٨و٤٦٩ وفي هامشه عن: مسلم ج٢ ص٨٨٦ ـ ٨٩٢ (١٤٧/١٢١٨) وأبي داود ج٢ ص١٨٥ (١٩٠٥) وابن ماجة ج٢ ص١٠٢٥ (٣٠٧٤).

(٢) الآية ٣٦ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٢٧٩ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٣٦ من سورة التوبة.

«**أما بعد**.. أيها الناس، اتقوا الله، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهم شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله». وفي رواية: «بكتاب الله».

ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي أبداً ـ إن اعتصمتم به ـ أمرين، (وفي رواية: أمراً بيناً) كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه «صلى الله عليه وآله».

أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمُنّ أن كل مسلم أخ لمسلم.

وفي رواية: أخو المسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمُن أنفسكم.

واعلموا أن القلوب لا تغل على ثلاث: إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، وعلى لزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم.

ومن تكن الدنيا نيته يجعل الله فقره بين عينيه، ويشتت عليه ضيعته، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له، ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه، ويكفيه ضيعته، وتأتيه الدنيا وهي راغمة.

فرحم الله امرأً سمع مقالتي حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. أرقاءكم، أرقاءكم، أطعموهم

مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، فإن جاء بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله، ولا تعذبوهم، أوصيكم بالجار (حتى أكثر، فقلنا: إنه سيورثه).

أيها الناس، إن الله قد أدى لكل ذي حق حقه، وإنه لا يجوز وصية لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

العارية مؤداة، والنحلة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم.

أما بعد.. فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من ها هنا عند غروب الشمس، حتى تكون الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها. هدْينا مخالف هدْيهم، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام عند طلوع الشمس على رؤوس الجبال مثل عمائم الرجال على رؤوسها. ويقولون: أشرق ثبير، كيما نغير، فأخر الله هذه وقدم هذه. (يعني: قدم المزدلفة قبل طلوع الشمس، وأخر عرفة إلى أن تغيب الشمس)، وإنّا لا ندفع من عرفة حتى تغيب الشمس، وندفع من المزدلفة حتى تطلع الشمس، وهدينا مخالف لهدي الأوثان والشرك»[1].

وفي حديث المسور بن مخرمة قال: خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد.. أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هذا الموضع إذا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٨و٤٦٩و٤٧٠ عن ابن إسحاق والنسائي.

كانت الشمس على رؤوس الجبال، كأنها عمائم الرجال في وجوهها، وإنّا ندفع بعد أن تغيب، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام إذا كانت الشمس منبسطة»[1].

«وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون»؟

قالوا: نشهد أنك بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد». ثلاث مرات.

وعن ابن عباس: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطب بعرفات، فلما قال: «لبيكَ اللهم لبيك، قال: إنما الخير خير الآخرة».

ونقول:

قد تضمنت هذه الخطبة العظيمة أموراً هامة لا مجال للإفاضة في الحديث عنها، فآثرنا أن نقتصر منها على ثلاثة أمور، نعرضها للقارئ الكريم باختصار هنا، وبتفصيل بعد انتهاء الحديث عن حج رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهي التالية:

الأول: قريش في مواجهة الرسول ﷺ:

إنها تعرضت لموضوع الإمامة بشكل أساسي، فواجهت قريش وأعوانها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالسوء والأذى والإهانة والغوغائية.. وسنشرح ذلك بالتفصيل إن شاء الله حين نتعرض له، في باب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٠ عن الطبراني في الكبير ج٢٠ ص٢٤.

«الغدير والإمامة».

الثاني: لبيك اللهم لبيك:

قد يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» قد لبى في آخر الخطبة المذكورة آنفاً، مع أن الحاج يقطع التلبية في عرفة.

ويجاب: بأن قطع الحاج للتلبية في عرفة إنما هو عند زوال الشمس..

وقد صرح النص المتقدم: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد خطب هذه الخطبة قبل الصلاة، وهذا معناه: أن تلبيته المشار إليها في آخر الخطبة قد حصلت مع الزوال أو قبله بلحظات..

الثالث: تحريف خطبة رسول الله ﷺ:

إن التدقيق في نصوص الخطبة المشار إليها، وفي النصوص التي وردت في سائر الآثار بالأسانيد الصحيحة والصريحة يفيد أن هذه الخطبة قد تعرضت ـ فيما يظهر ـ للتحريف من ناحيتين:

إحداهما: قوله «صلى الله عليه وآله»: «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي أبداً، إن اعتصمتم به»، أمرين: كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه.

فإن الرواية الصحيحة في حديث الثقلين هي قوله «صلى الله عليه وآله»: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي».

ولكنها بُدلت وغُيرت من قبل مناوئي العترة، ظناً منهم أن ذلك يجدي في تقوية موقفهم مقابل أهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام.

على أننا نقول:

أولاً: قد ذكرنا في بعض فصول هذا الكتاب: أن حديث «وسنتي» لا

يتنافى مع حديث «وعترتي»، بل منسجم معه تمام الإنسجام حيث يدلان معاً على أن السنة التي تركها «صلى الله عليه وآله»، لا بد أن تؤخذ من العترة دون غيرهم، لأن العترة هم المأمونون على سنته أكثر من كل أحد سواهم كما أظهرته الوقائع..

ثانياً: إن نفس هذا الذي اختار إيراد الخطبة المحرفة التي قالت: «وسنتي» بدل وعترتي.. ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى الروايات الصحيحة..

إنه هو نفسه قد عاد فذكر الرواية الصحيحة في موضع آخر من كتابه، فأوجب هذا الفصل بين الروايتين صعوبة التنبه والجمع بينهما على القارئ العادي، بل قد لا يخطر في باله: أن ثمة رواية أخرى على الإطلاق، والرواية الصحيحة أو الأصح هي التالية:

روى الترمذي وحسنه، عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي[1].

---

(١) راجع: ينابيع المودة ج١ ص٩٩و١٠٩و١٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٣٢٧ وامتاع الأسماع ج٦ ص٤ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٢٣ والمعجم الأوسط ج٥ ص٨٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٦٦ ونظم درر السمطين ص٢٣٢ والغيبة للنعماني ص٥٠ والمحتضر ص١٩٩ والبحار ج٢٣ ص١٢٩ وج٨٩ ص١٠٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٩٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٢٣٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص١٠٥ و ١٢٤ و١٩٨ و ٢٣٤ و ٢٥١ و ٢٥٥ وكنز العمال ج١ ص٤٨ (ط =

الثانية: إنه قد حذف من الخطبة حديث: «الأئمة بعدي إثنا عشر، كلهم من قريش»، الذي نص البخاري ومسلم، ومصادر كثيرة أخرى على أنه «صلى الله عليه وآله» قد قاله في يوم عرفة على رؤوس الأشهاد، فأقامت قريش، ومن يدور في فلكها الدنيا عليه ولم تقعدها..

وأساءت الأدب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفضحت نفسها، وضجت وعجت، ومنعت النبي «صلى الله عليه وآله» من إكمال كلامه، كما سنوضحه في باب: «الغدير.. والإمامة». إن شاء الله تعالى..

الذين أردفهم النبي ﷺ خلفه:

ويلاحظ هنا: أنهم يذكرون: أنه «صلى الله عليه وآله» حين أفاض من عرفة أردف أسامة بن زيد خلفه[1]..

وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» سار بمزدلفة مردفاً للفضل بن عباس، وانطلق أسامة بن زيد على رجليه في سباق قريش[2].

= أولى) ونوادر الأصول ص٦٨ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج١٠ ص٥١ وتحفة الأشراف ج٢ ص٢٧٨ وجامع الأصول ج١ ص٢٧٧ ومشكاة المصابيح ج٣ ص٢٥٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٢ ومسند أحمد ج١ ص٧٥ و ١٥٧و ٢١٣ و ٢١٤ وسنن أبي داود ج١ ٤٣١ و كنز العمال ج٥ ص١٥١ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٣٣٠ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٢٨ وعلل الدارقطني ج٤ ص١٦ وعيون الأثر ج٢ ص٣٤٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٣ وراجع: مسند أحمد ج٥ ص٢٠٠ وسنن =

وحين أفاض إلى مكة، زعموا: أنه أردف معاوية بن أبي سفيان من منى إلى مكة[1].

الفضل بن عباس.. والنظر إلى الأجنبية:

وقالوا أيضاً: إنه حين كان مردفاً الفضل بن عباس في طريقه تلك عرضت له امرأة من خثعم جميلة، فسألته عن الحج عن أبيها. وكان شيخاً دَبِراً لا يستمسك على الراحلة، فأمرها أن تحج عنه، وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فوضع «صلى الله عليه وآله» يده على وجهه، فصرفه إلى الشق الآخر، لئلا تنظر إليه ولا ينظر إليها.

وقال جابر: وكان الفضل رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً، فقال العباس: لويت عنق ابن عمك.

فقال: «رأيت شاباً وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما»[2].

= الدارمي ج٢ ص٥٧ وصحيح مسلم ج٤ ص٧٤ وسنن أبي داود ج١ ص٤٣١ وسنن النسائي ج٥ ص٢٦١ و السنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٢٢ وفتح الباري ج٣ ص٤١٧ و ٤٢٥ وعمدة القاري ج١٠ ص٢٤ وكنز العمال ج٥ ص٢٠١ و عيون الأثر ج٢ ص٣٤٧.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٩ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٣ و ٤٧٤ وراجع: كتاب الأم للشافعي ج٢ ص١٢٤ وكتاب الموطأ لمالك ج١ ص٣٥٩ والمغني لابن قدامة ج٧ ص٤٦٠ وسبل السلام ج٢ ص١٨١ وكتاب المسند للشافعي ص١٠٨ ومسند أحمد ج١ ص٣٥٩ وصحيح البخاري ج٢ ص١٤٠ و ٢١٨ وصحيح مسلم ج٤ ص١٠١ و سنن أبي داود ج١ ص٤٠٧ وسنن النسائي ج٥ ص١١٨ وج٨ =

ليس هذا قياساً:

وسأله آخر هناك عن أمه، وقال: «إنها عجوز كبيرة، وإن حملتها لم تستمسك، وإن ربطتها خشيت أن أقتلها».

قال: «أرأيت إن كان على أمك دين أكنت قاضيه»؟

قال: نعم.

قال: «فحج عن أمك»[1].

ونقول تعليقاً على ما تقدم:

حتى معاوية:

إننا لا ننكر أن يردف النبي «صلى الله عليه وآله» من يحتاج إلى الإرداف، لأجل حاجته إلى ما يركبه.. أو لأنه «صلى الله عليه وآله» كان

= ص٢٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٢٨ و شرح مسلم للنووي ج٩ ص٩٧ وعمدة القاري ج٩ ص١٢٣ وج١٠ ص٢١٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٢٥ وج٣ ص٤٧٢ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و صحيح ابن حبان ج٩ ص٣٠١ و ٣٠٩ والمعجم الكبير ج١٨ ص٢٨٢ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص٤٧٣ والاستذكار لابن عبد البر ج٤ ص١٦٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٩ ص١٢٢ وتفسير البغوي ج١ ص٣٣٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٢٦.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٤ وسنن الدارمي ج٢ ص٤١ وسنن النسائي ج٥ ص١١٩ وج٨ ص٢٢٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٢٥ وج٣ ص٤٧٠ والمعجم الكبير ج١٨ ص٢٩٦ وكنز العمال ج٥ ص٢٧٣.

يريد تكريمه وتشريفه.

ولكننا لا يمكن أن نصدق: أن هذا الأمر قد أصبح ظاهرة سلوكية، وكأنه مهنة له «صلى الله عليه وآله»..

ولا سيما إذا كان يردف أشخاصاً ليسوا ممن يحتاج إلى راحلة، ولا ينقصهم المال الذي يهيئون به ما يحتاجون إليه، كما أنهم ليسوا أهلاً للتكريم، بل قد يستفيدون من هذا التكريم لخداع الناس، والمكر بهم.

من أجل هذا وذاك، فنحن نشك كثيراً في صحة قولهم: إنه أردف معاوية أيضاً في مسيره من منى إلى مكة، أو إلى غيرها.. فإن معاوية لم يكن عاجزاً عن تهيئَة الراحلة، كما أنه لم يكن ثمة موجب لتكريمه من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

تحويل وجه فضل بن عباس:

وقد رأينا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يزجر فضل بن عباس عن النظر إلى تلك المرأة، بل هو قد مارس الفعل عوضاً عن القول، فحول وجه فضل بن عباس إلى الجهة الأخرى بصورة عملية، فنستفيد من ذلك:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يفسح المجال لممارسة التدليس، بمسارقة النظر، مع التظاهر بغض البصر، مع تعذر مراقبته ومراقبتها في لحظة واحدة، حسبما تجري به العادة..

ثانياً: إنه بفعله هذا قد سلب الشابين القدرة على النظر غير البريء إلى بعضهما البعض..

ثالثاً: إن فعله هذا قد لفت نظر الآخرين ودعاهم للتساؤل عن سببه،

لكي يأتيهم التصريح بعد التلويح.. فيكون أوقع في النفس، وأكثر تعبيراً عن المطلوب.

رابعاً: إن ذلك يعطي درساً مفاده أن الحكمة تقضي بعدم السماح لأسباب الفساد بالوجود، لا أن يتركها توجد وتتنامى، ثم يحاول اقتلاعها، وهيهات أن يوفق لذلك..

خامساً: إنه لم يتهم فضل بن عباس، ولا تلك المرأة بشيء، بل صرح: بأنه أراد أن لا يقعا في خلاف ما يرضي الله تبارك وتعالى..

سادساً: إن هذا الأمر يعطي: أن على الحاكم أن يقدر الأمور، وأن يحتاط لأي طارئ قبل حدوثه، وأنَّ للإجراءات الإحتياطية قوتها في مجال التطبيق والعمل، كغيرها مما يكون لمعالجة واقع راهن..

تطبيق للقاعدة:

أما بالنسبة لحج الإنسان عن أمه، واعتبار الحج ديناً، فنقول:

إن هذا ليس من قبيل الإستدلال بالقياسات الظنية، التي منع عنها الشارع، وحاشا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يمارس أمراً نهى هو نفسه عنه.. بل هذا من قبيل تطبيق الكبرى على الصغرى، والقاعدة على موردها.

فإن الحج دين على تلك المرأة، سوف يطالبها الله تعالى به، وولدها مطالب بقضاء ديونها، فلا فرق بين ما كان ديناً لله، وما كان ديناً للناس، إذا كان الذي لله مما يمكن أداؤه وقضاؤه..

النبي ﷺ ينشد الشعر:

وفي حديث **ابن عمر**: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أفاض من

عرفات وهو يقول:

«إليك تغدو قُلقاً وَضِينُها مخالفاً دين النصارى دينها»

رواه الطبراني وقال: المشهور في الرواية أنه من فعل ابن عمر[1].

يضاف إلى ذلك:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٢ عن الطبراني في الكبير والأوسط، ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٥٦ وراجع: كتاب الأم للشافعي ج٢ ص٢٣٤ والمجموع للنووي ج٨ ص١٤٤ ومغني المحتاج ج١ ص٥٠١ و إعانة الطالبين ج٢ ص٣٤٩ والمبسوط للسرخسي ج٤ ص١٨ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٤٤٤ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٤٤٤ وكشاف القناع للبهوتي ج٢ ص٥٧٩ وتلخيص الحبير ج٧ ص٣٧٠ والبحار ج٢١ ص٣٣٦ و ٣٣٩ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٩٤ وكتاب المسند للشافعي ص٣٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٢٦ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٥٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٥٢٩ وج ٦ ص١٧٦ والمعجم الأوسط ج١ ص٢٨٢ والمعجم الكبير ج١٢ ص٢٣٨ ومعرفة السنن والآثار ج٤ ص١٢٠ والإستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص٨٩٠ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٤٢٣ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣٦٧ وجزء أحاديث الشعر ٨٥ وكنز العمال ج٥ ص١٩٥ و كنز العمال ج٥ ص٢٠٧ و ٢١٥ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٣٨٢ وتفسير السمعاني ج٥ ص٣٤٥ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٢٤١ و تفسير البحر المحيط ج٨ ص٢٠١ والدر المنثور ج١ ص٢٢٣ و ٢٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٦٥ و ٣٥٧ والكامل لابن عدي ج١ ص٣٧٨ وميزان الإعتدال للذهبي ج١ ص٢٦٣ والإصابة ١ ص٤٤٦ وج٥ ص٤٣٨ وغير ذلك من المصادر.

أولاً: لماذا خص النصارى بمقالته هنا، مع أن اليهود كانوا هم الأشر والأضر، وكان العرب والمشركون مبهورين بهم أكثر من كل أحد سواهم؟.

ثانياً: إنهم يزعمون، وإن كنا لم نرتض ذلك ـ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يحسن حتى التفوه بالشعر، ولو على سبيل النقل والحكاية. فكيف استطاع أن يتفوه بهذا الشعر هنا؟!.

ثالثاً: إننا لا نظن أنه «صلى الله عليه وآله» ينشد الشعر في هذا الوقت وفي هذه الأمكنة بالذات، إذ إن الذي يعهد من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هو انشغاله بتسبيح الله وتقديسه، ولا سيما في المشاعر المقدسة، وحيث يريد لكل حركة من حركاته أن تحمل عبرة، وكل كلمة من كلماته أن تتضمن درساً وعظة..

الصلاة قبل الوقت:

قالوا: فلما برق الفجر، صلاها (يعني صلاة الصبح) في أول الوقت خلافاً لمن زعم أنه صلاها قبل الوقت بأذان وإقامة، يوم النحر، وهو يوم العيد، ويوم الحج الأكبر، ويوم الأذان ببراءة الله ورسوله من كل مشرك[1]..

ومن الواضح: أن دعوى أنه «صلى الله عليه وآله» قد صلى الصبح قبل وقتها، افتئات وافتراء على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولا نرى حاجة إلى الإستدلال على كذب هذه الترهات التي ربما يكون وراءها أعداء الله وأعداء رسوله «صلى الله عليه وآله»، لإشغال الناس

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٣.

بأباطيل، وأضاليل وإثارة شبهات من شأنها أن تسقط محل النبي «صلى الله عليه وآله» من نفوسهم..

الغلو في الدين هو الأخطر:

وأمر الفضل بن عباس أن يلقط له حصى الجمار سبع حصيات، ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة، كما يفعل من لا علم عنده، ولا التقطها بالليل.

فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «أمثال هؤلاء، فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[1].

ويلاحظ هنا:

١ ـ قوله: إنه لم يلتقط حصيات الجمار بالليل، لا يدل على كراهة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٣ والمجموع للنووي ج٨ ص١٧١ والمبسوط للسرخسي ج٤ ص٦٩ والمحلى لابن حزم ج٧ ص١٣٣ وتلخيص الحبير ٧ ص٣٩٧ وعوالي اللآلي ج١ ص١٨٥ ومسند أحمد ج١ ص٢١٥ وسنن النسائي ج٥ ص٢٦٨ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٦٦ و فتح الباري ج١٣ ص٢٣٤ وعمدة القاري ج٢٥ ص٣٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤٣٥ ومسند أبي يعلى ج٤ ص٣١٦ و ٣٥٧ و المنتقى من السنن المسندة ص١٢٧ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٧٤ و ٢٧٦ وأمالي المحاملي ص٨٤ وصحيح ابن حبان ج٩ ص١٨٣ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٣٥٠ و نصب الراية ج٣ ص١٦٥ وموارد الظمآن ٣ ص٣٣٠ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٢٥ وفيض القدير ج١ ص٦١٣ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٢ والدر المنثور ج١ ص٢٣٥.

التقاطها فيه، ما لم يرد نص صريح في كراهة ذلك..

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد أخذ الحصيات وأراهم إياها، ولاحظوا نوعها، وألوانها، وأشكالها، وأحجامها، وأمرهم أن يرموا بأمثالها، فاستغنى بذلك عن وصفها بما ربما يلتبس المراد منه لدى بعض القاصرين لسبب أو لآخر..

٣ ـ ثم نهاهم عن الغلو في الدين، وأخبرهم أن سبب هلاك من كان قبلهم، هو الغلو في الدين..

والغلو: هو الخروج عن حد الإعتدال فيه، وهو أخطر بكثير من التفريط في الإلتزام بأحكامه، لأن الغلو يؤدي إلى الإبتداع وإدخال ما ليس من الدين في الدين، حيث تتبدل حقائقه، بسبب تبدل حدوده، من الأدنى إلى الأعلى، ومن الأقل إلى الأكثر، فتدخل مساحات من الإعتقاد والممارسة لم تكن من قبل.. فإذا انتقل إلى الآخرين على هذه الحالة، فإن الخطر سيتضاعف ويزداد تبعاً لسعة انتشاره.. فتصبح الأولوية هي منع هذا الإتساع والإنتشار، ومحاربة الجهود التي تبذل في ذلك.

أما التفريط في الإلتزام فغاية ما يترتب عليه هو المخالفة العملية لأحكامه وشرائعه مع بقائها على ما هي عليه.. وذلك يبقى أثره محصوراً بالشخص، ولا يتعداه إلى غيره.. فيمكن أن يصل الدين إلى الغير سليماً وقوياً، ولا يكون هناك أي ضير من هذا الإنتقال.

خذوا عني مناسككم:

عن جابر قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» على راحلته يوم

النحر، يقول لنا: «خذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[1].

ونقول:

١ ـ إن هناك روايات تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قد قال للناس ذلك حين كان يطوف[2]، وحين صلى خلف المقام[3]، وحين سعى، وحين رمى الجمار، وحين كان بعرفة، وغير ذلك.

ولا مانع من أن يتكرر هذا القول منه «صلى الله عليه وآله»، في المواضع المختلفة، ولا سيما في المناسك، حين وصوله إلى مكة، وشروعه بالأعمال، بل قبل ذلك أيضاً..

٢ ـ وغني عن البيان: أن الرؤية التطبيقية للفعل هي أفضل أنواع التعليم وأدقه، حيث يبقى ما يراه الإنسان في وعيه وفي ذاكرته، أكثر من الذي يُلقى إليه كأوامر وزواجر يراد لها أن تحفظ في الذاكرة..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٥ عن مسلم، وابن سعد، والبيهقي، وقال في هامشه: أخرجه مسلم ج٢ ص٩٤٣ (٣١٠/١٢٩٧) وأبو داود ج٢ ص٢٠١ (١٩٧٠) والنسائي ج٥ ص٢١٩ والبيهقي ج٥ ص١٢٥ وأحمد ج٣ ص٣٠١ وراجع: المجموع للنووي ج٨ ص٢١ والمبسوط للسرخسي ج٤ ص٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٢٥ وتفسير الرازي ج٤ ص٦٩ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٤١٨ والإحكام لابن حزم ج٣ ص٣٠٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٣.

(٢) راجع: المجموع ج٨ ص٣٠ ومغني المحتاج ج١ ص٤٨٦ ومواهب الجليل ج٤ ص٩٧ و١٠١.

(٣) مغني المحتاج ج١ ص٤٩١.

٣ ـ وحين تهتز مشاعرهم بقوله: «لا أدري، لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»، فإن اندفاعهم إلى التأسي بأفعاله في هذه الحالة سيصاحبه شعور بالحنين والإشفاق، فتتحقق درجة من الإرتباط بين الفعل والفاعل، لتحتفظ به الذاكرة، كحدث مميز، تعرف حدوده، وتدرك دقة تطابقها مع الرمز الكبير، ويستمر ذلك إلى ما شاء الله..

التظليل:

وقالوا: «وكان «صلى الله عليه وآله» في مسيره ذلك يلبي حتى شرع في الرمي، وبلال وأسامة معه، أحدهما: آخذ بخطام ناقته، والآخر: يظله بثوب من الحر»[1].

والذي كان يظله بلال كما في حديث أبي أمامة، عن بعض الصحابة[2]..

وحديث أم جندب: أنه كان راكباً يظلله الفضل بن العباس..

قال بعضهم: وهو غريب مخالف للروايات الصحيحة[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٤ وفتح العزيز ج٧ ص٤٣٤ ومواهب الجليل ج٤ ص٢٠٦ وكشاف القناع للبهوتي ج٢ ص٤٩٣ والإحتجاج ج١ ص٦٥ ومعرفة السنن والآثار ج٤ ص٤٣ وتفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص٣٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٤ عن ابن سعد، وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٢٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٤ وفي هامشه: عن أبي داود ج٢ ص٢٠٠ (١٩٦٦) وابن ماجة ج٢ ص١٠٠٨ (٣٠٣١) عن أحمد، والبيهقي.

ونقول:

١ ـ المفروض: أن يقطع التلبية بزوال الشمس من يوم عرفة، فلا معنى للعودة إليها في مسيره إلى منى، والإستمرار فيها إلى حين الشروع في الرمي..

٢ ـ إن اختلافهم في تحديد الشخص الذي كان يظلل النبي «صلى الله عليه وآله»، يلقي بظلاله على مستوى الوثوق بصحة هذا النقل.

يضاف إلى ذلك: أنه كيف يصح حديث تظليل بلال، أو الفضل بن العباس على النبي «صلى الله عليه وآله» حين مسيره، وحين رميه، مع أنه لا يجوز التظليل؟!

إلا إذا فرض: أنه «صلى الله عليه وآله» كان مريضاً أو مضطراً، وليس لدينا ما يثبت ذلك أو يشير إليه، لا من قريب ولا من بعيد؟!

بطن مُحَسّر:

قالوا: فلما أتى بطن محسَّر حرك ناقته، وأسرع السير، وهذه كانت عادته «صلى الله عليه وآله» في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه، فهنالك أصاب الفيل ما قص الله علينا. ولذلك سمي الوادي وادي محسر، لأن الفيل حُسِر فيه. أي أَعْيَى وانقطع عن الذهاب[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٤ وراجع: عون المعبود ج٥ ص٢٦٦ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٥٣٤.

خطبة النبي ﷺ في منى:

وبعد أن رمى النبي «صلى الله عليه وآله» جمرة العقبة.. رجع إلى منى، فخطب الناس خطبة بليغة.

قال بعض الصحابة: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس بمنى، وأنزلهم منازلهم، فقال: «لينزل المهاجرون ها هنا» وأشار إلى يمين القبلة، «والأنصار ها هنا» وأشار إلى ميسرة القبلة، «ثم لينزل الناس حولهم»، وعلمهم مناسكهم، ففتحت أسماع أهل منى، حتى سمعوه في منازلهم[1].

وسئل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يُبنى له بناءٌ بمنى يظله من الحر، فقال: «لا، منى مناخ لمن سبق إليه»[2].

و قال «صلى الله عليه وآله» وهو على ناقته العضباء، بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، والسنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم. ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٥ وفي هامشه عن أحمد ج٤ ص٦١ وراجع: مسند أحمد ج٥ ص٣٧٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٦ وعيون الأثر ج٢ ص٣٤٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٧٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٧ وفي هامشه عن أحمد ج٦ ص٢٠٧ والحاكم ج١ ص٤٦٧ وابن ماجة (٣٠٠٦، ٣٠٠٧) وانظر صحيح مسلم (١٢١٨) وأبو داود (١٩٠٧) وراجع: المغني لابن قدامة ج٤ ص٣٠٦ ونيل الأوطار ج٨ ص١٧٢ ومسند أحمد ج٦ ص٢٠٧ ومسند أبي يعلى ج٨ ص١٦ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٣٠٨.

الحجة، والمحرم، ورجب مضر،الذي بين جمادى وشعبان، أتدرون أي يوم هذا»؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس هذا يوم النحر»؟

قلنا: بلى.

قال: «أي شهر هذا»؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذو الحجة»؟

قلنا: بلى.

قال: «فأي بلد هذا»؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البلدة»؟

قلنا: بلى.

قال: فإن دماءكم وأموالكم ـ قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم ـ عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»، ثم قال: «ألا هل بلغت»؟

قلنا: نعم.

قال: «اللهم فاشهد»[1].

وعن ابن عباس قال: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم النحر، فقال: «أيها الناس، أي يوم هذا»؟

قالوا: يوم حرام.

قال: «فأي بلد هذا»؟

قالوا: بلد حرام.

قال: «فأي شهر هذا»؟

قالوا: شهر حرام.

قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا».

فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه [إلى السماء] فقال: «اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت»؟[2].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع: «ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة»؟

قالوا: شهرنا هذا.

قال: «ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة»؟

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٥ لاو٤٧٦ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، وقال في الهامش: أنظر مسند أحمد ج٥ ص٣٧ وراجع: المعجم الأوسط ج١ ص٢٩٣ وفضائل الأوقات للبيهقي ص٤٢٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ عن أحمد والبخاري، وقال في هامشه: مسند أحمد ج١ ص٢٣٠ والبخاري ج٣ ص٦٧٠ حديث (١٧٣٩) (٧٠٧٩).

قالوا: بلدنا هذا.

قال: «ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة»؟

قالوا: يومنا هذا.

قال: «فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت ثلاثاً»؟

كل ذلك يجيبونه: ألا نعم.

قال: «ويحكم ـ أو قال: ويلكم ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بَعض»[1].

النص الكامل لخطبة منى:

قالوا: وخطب «صلى الله عليه وآله» الناس بمنى خطبة عظيمة.

وكان عم أبي حُرَّة الرقاشي آخذاً بزمام ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يذود عنه الناس.

وسببها أنه «صلى الله عليه وآله» أنزلت عليه سورة النصر في هذا اليوم، فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرُحِّلَت له، فوقف للناس بالعقبة، فاجتمع إليه الناس ـ وفي رواية: ما شاء الله من المسلمين ـ فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ عن البخاري ومسلم، وفي هامشه قال: البخاري ج٣ ص٦٧١ (١٧٤٢ و ٤٤٠٣ و ٦٠٤٣ و ٢١٦٦ و ٦٧٨٥ و ٦٨٦٨ و ٧٠٧٧).

«أما بعد أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

ألا هل بلغت»؟

قالوا: بلَّغ رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: «فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع»، **ثم قال:** «أي شهر هذا»؟

فسكتوا.

فقال: شهر حرام، أي بلد هذا؟

فسكتوا، **فقال:** بلد حرام، أي يوم هذا؟

فسكتوا.

قال: «يوم حرام».

ثم قال: «إن الله تعالى قد حرم دماءكم وأموالكم، وأعراضكم، كحرمة شهركم هذا، في بلدكم هذا، في يومكم هذا، إلى أن تلقوا ربكم، ألا هل بلغت»؟

قالوا: نعم.

قال: «اللهم اشهد».

ثم قال: «إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت»؟

قال الناس: نعم.

قال: «اللهم اشهد، ألا وإن من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، وإن كل دم في الجاهلية

موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد بن ليث، فقتلته هذيل، ألا هل بلغت»؟

قالوا: نعم.

قال: «اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، ألا إن كل مسلم محرم على كل مسلم». ثم قال: «اسمعوا مني تعيشوا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا. إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه».

فقال عمرو بن يثربي: يار سول الله، أرأيت إن لقيت غنم ابن عمي فأخذت شاة فاحترزتها؟

فقال: «إن لقيتها تحمل شفرة وأزناداً بخبت الجميش فلا تهجها».

ثم قال: «أيها الناس، ﴿**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ**﴾[1]. ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»، ثم قرأ: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾[2] ثلاث متواليات: ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي يدعى شهر مضر، الذي بين جمادى وشعبان، والشهر تسعة وعشرون وثلاثون، ألا هل بلغت»؟

قال الناس: نعم.

---

(١) الآية ٣٧ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٣٦ من سورة التوبة.

فقال: «اللهم اشهد»

ثم قال: «أيها الناس، إن للنساء عليكم حقاً، وإن لكم عليهن حقاً، فعليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً، ولا يدخلن بيوتكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم، فإن فعلن فإن الله تعالى قد أذن لكم أن تهجروهن بالمضاجع، وأن تضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت»؟

قال الناس: نعم.

قال: «اللهم اشهد».

ثم قال: «أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه، فقد رضي به، إن المسلم أخو المسلم، إنما المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ مسلم دم أخيه ولا ماله إلا بطيب نفس منه، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله.

لا تظلموا أنفسكم، لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض.

إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا: كتاب الله تعالى، ألا هل بلغت»؟

قال الناس: نعم.

قال: «اللهم اشهد»[1].

ونقول:

نكتفي هنا بالإشارة إلى أمور، نتوخى منها مجرد الإيضاح والبيان.

فنقول:

تنظيم المنازل في منى:

لقد ذكر النص المتقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي حدد مواضع نزول كل فريق من الحجاج الذين حضروا الموسم..

وقد لوحظ: أنه فصل بين المهاجرين والأنصار، وجعل كلاً على حدة، ثم جعلهم في وسط سائر الناس.

ونظن أنه فعل ذلك لكي يعرف الناس من الذي سيثير الشغب ضده، حين يخطب في منى، ويذكر أهل البيت، والأئمة الإثني عشر «عليهم السلام»، وأن المهاجرين القرشيين هم الذين سيتولون ذلك.. دون الأنصار.

وجعل الناس حولهم لكي يمكِّن أكبر عدد منهم ـ على اختلاف أقوامهم وانتماءاتهم ـ من الإشراف بأنفسهم على ما يجري، «فما راءٍ كمن سمعا».

وسيأتي بيان ذلك في باب: «الغدير والإمامة»، إن شاء الله تعالى..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٢ و ٤٨٣ وراجع: البحار ج٢١ ص٣٨٠ و ٣٨١ عن الخصال ج٢ ص٨٤ وفيه تقديم وتأخير وزيادة ونقص، وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٧٥.

ما المراد باستدارة الزمان؟!:

١ ـ وحول المراد من استدارة الزمان، كهيئة يوم خلق الله تعالى السماوات والأرض نقول:

إن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر، وهو النسيء، ليقاتلوا فيه، وفي السنة الثانية ينقلونه شهراً، فيصير في ربيع الأول، وهكذا.. فينتقل المحرم من شهر إلى شهر، وتنتقل سائر الشهور وراءه تبعاً له، حتى يمر في جميع شهور السنة..

فلما كانت تلك السنة، أعني سنة حجة الوداع كان قد عاد إلى زمنه الطبيعي المخصوص به قبل ذلك النقل المتكرر، ودارت السنة وعادت كهيئتها الأولى، فجاء في تلك السنة متوافقاً مع ذي الحجة الواقعي..

٢ ـ وأما نسبة رجب إلى مضر، فلأن مضراً كانت تعظم هذا الشهر، بخلاف غيرهم، ثم حدد «صلى الله عليه وآله» للناس الأشهر الحرم، وذكر لهم: أن شهر رجب بين شعبان وجمادى، لمزيد التوضيح والبيان، لأنهم كانوا ينسئونه، ويحولونه من شهر إلى شهر، فكانت الأمور تختلط على الناس، فأحب «صلى الله عليه وآله» التأكيد على موقع الشهر الحرام منذ تلك السنة لكي تستقر الأمور، ولا يضيع الناس بسبب تأثيرات النسيء على ذهنيتهم، وليتم ضبط أمور الشهور لديهم..

ففتحت أسماع أهل منى:

وقد تقدم: أن الله تعالى فتح أسماع جميع أهل منى، حتى سمعوا النبي «صلى الله عليه وآله» في منازلهم. وقد حصلت هذه المعجزة له «صلى الله

عليه وآله» بعد جرأتهم عليه، ومنعهم إياه من بلوغ مراده في عرفات، كما سيأتي بيانه بالتفصيل في فصل: «الغدير والإمامة»، ليفهم الناس أن الجرأة على النبي «صلى الله عليه وآله» لا تبطل نبوته، وأن عدم اتخاذ موقف صارم ضد المتجرئين لا يعني ضعف النبي «صلى الله عليه وآله» وتخلّي ربه عنه.

ولكنه حلم وتكرم، وإعطاء مهلة، وإمداد للمبطلين، الذين ظهرت حسيكة الطمع والحسد لأهل البيت «عليهم السلام» التي كانت تعتمل في نفوسهم..

وإذا تأكد لدينا أن ما جرى في عرفات قد تكرر أيضاً في منى، فإن جرأتهم هذه المرة قد جاءت في نفس اللحظات التي يعاينون فيها كرامة الله تعالى له، ولكنهم لا يبالون بها، ويعودون لارتكاب حماقتهم في نفس هذه الخطبة التي لا تزال المعجزة تتجلى فيها مع كل كلمة، وكل حرف..

تحريف حديث الثقلين:

وقد حرفت رواية ابن عمر حديث الثقلين في خطبته «صلى الله عليه وآله» في منى أيضاً.. كما حرفوا خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» في عرفات، كما ألمحنا إليه فيما سبق فليلاحظ ذلك..

علي عليه السلام لم يشارك النبي ﷺ في نحر البدن:

قالوا: ثم انصرف «صلى الله عليه وآله» إلى النحر بمنى، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده الشريفة بالحربة، وكان ينحرها قائمة معقولة اليسرى، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنيِّ عمره «صلى الله عليه وآله».

ثم أمسك، وأمر علياً «عليه السلام» أن ينحر ما بقي من المائة، ثم أمره

أن يتصدق بجلالها، وجلودها، ولحومها، في المساكين، وأمره أن لا يعطي الجزار في جزارتها شيئاً منها، وقال: «نحن نعطيه من عندنا»[1]، وقال: «من شاء اقتطع»[2].

وفي حديث ابن جريج، عن جعفر بن محمد، عن جابر: ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها.

قال ابن جريج: قلت: من الذي أكل مع النبي «صلى الله عليه وآله» وشرب من المرق؟

قال جعفر: علي بن أبي طالب «عليه السلام» أكل مع النبي «صلى الله عليه وآله» وشرب من المرق.

وقول أنس: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نحر بيده سبع بدن قياماً. حمله أبو محمد: على أنه «صلى الله عليه وآله» لم ينحر بيده أكثر من سبع بدن كما قال أنس، وأنه أمر من ينحر ما بعد ذلك إلى تمام ثلاث وستين، ثم زال عن ذلك المكان، وأمر علياً «عليه السلام» فنحر ما بقي، أو أنه لم يشاهد إلا نحره «صلى الله عليه وآله» سبعاً فقط بيده، وشاهد جابر تمام نحره «صلى الله عليه وآله» للباقي، فأخبر كل واحد منهما بما رأى وشاهد، أو أنه «صلى الله عليه وآله» نحر بيده مفرداً سبع بدن كما قال أنس، ثم أخذ هو وعلي الحربة معاً، فنحرا كذلك تمام ثلاث وستين.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ و ٤٧٧ والمجموع للنووي ج٨ ص٣٦١ وقد تقدمت مصادره فراجع.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ و ٤٧٧ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٥٥٨ وقد تقدمت مصادره فراجع.

وقد قال عروة بن الحارث الكندي: أنه شاهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ أخذ بأعلى الحربة، وأمر علياً «عليه السلام» فأخذ بأسفلها، ونحرا بها البدن، ثم انفرد علي «عليه السلام» ينحر الباقي من المائة كما قال جابر[1].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

لتخرس الألسنة:

لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أشرك أبا بكر في الهدي كما أشرك علياً «عليه السلام»، أو أشركه بما هو أقل من هذا، لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها في التحليلات، والإستفادات، والإستدلالات على عظمة ومنزلة أبي بكر، وعلى إمامته وخلافته، وربما يترقى بهم الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير و.. و.. الخ..

بل إن إساءات وضعف وأخطاء أبي بكر وعمر، تعتبر فضائل وكرامات، وإشارات ودلالات، وقد تجلى ذلك في موقفهم من كلمة عمر: إن النبي ليهجر، فإنهم اعتبروا هذه الكلمة سبباً في إنقاذ الإسلام والأمة من أمر عظيم!! كما سنرى..

ولكن حين يتعلق الأمر بعلي «عليه السلام»، فإن الألسنة تخرس، والمحابر تجف، والأقلام تلتوي وتعيا عن أن تسجل عشر معشار ما حصل،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٦ و ٤٧٧.

فهل يتوقع منها أن تشير إلى شيء من الدلالات واللمحات؟!. بل تلهج ليل نهار بالتأويلات الهادفة إلى إفراغ مواقفه الرائدة والعظيمة من محتواها.

نحرا على عدد سني عمرهما:

إنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد نحر ثلاثاً وستين بدنة على عدد سني عمره، فإن علياً «عليه السلام» أيضاً قد نحر الباقي، وكان على عدد سني عمره أيضاً. وليس لنا أن نقطع بأن ذلك قد جاء على سبيل الصدفة، للإحتمال القوي أن يكون مراداً له ومقصوداً..

المرجع هو أحاديث العترة:

بالنسبة للإختلاف في عدد الإبل التي نحرها الرسول «صلى الله عليه وآله»، وكيفيته، وفي استقلاله بذلك أو في مشاركته علياً «عليه السلام» لا سبيل إلى الجزم بذلك إلا إذا وجد أهل البيت «عليهم السلام» ضرورة للتحديد والبيان، فيتعين العودة إليهم، والأخذ منهم، فإن أهل البيت «عليهم السلام» أدرى بما فيه..

النبي ﷺ يقسم شعره للتبرك به:

قالوا: لما أكمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» نحره استدعى بالحلاق، فحلق رأسه، فقال للحلاق ـ وهو معمر بن عبد الله بن نضلة ـ وحضر المسلمون يطلبون من شعره ـ وهو قائم على رأسه بالموسى، ونظر في وجهه وقال: «يا معمر، أمكنك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من شحمة أذنه، وفي يدك الموسى»!!.

قال معمر: فقلت: أما والله يا رسول الله، إن ذلك من نعم الله علي ومَنِّه.

قال للحلاق: «خذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن، فلما فرغ منه قسم شعره على من يليه.

ثم أشار إلى الحلاق، فحلق جانبه الأيسر، ثم قال: «ها هنا أبو طلحة»، فدفعه إليه[1].

قال ابن سعد: وحلق رأسه، وأخذ من شاربه وعارضيه، وقلم أظفاره، وأمر بشعره وأظفاره أن تدفن[2].

وروى البخاري عن أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ شعره، قال: وهذا لا يناقض رواية مسلم.

وفي رواية: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعطاه أم سليم، ولا يعارض هذا أنه دفعه لأبي طلحة لأنها امرأته.

وفي لفظ: فبدأ بالشق الأيمن، فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٧ و٤٧٨ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤١٣ و ٤١٤ ومسند أبي يعلى ج٥ ص٢١١ وصحيح ابن حبان ج٤ ص٢٠٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٨ وقال في هامشه: البخاري ج١ ص٢٧٣ (١٧١) ومسلم ج٢ ص٩٤٧ (٣٢٣/ ١٣٠٥)، (٣٢٦/ ١٣٠٥)، وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٧٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١١٦ وج١٠ ص٥٠.

ثم قال: بالأيسر، فصنع به مثل ذلك، ثم قال: «ها هنا أبو طلحة» فدفعه إليه.

وفي لفظ ثالث: دفع إلى أبي طلحة شعر شق رأسه الأيسر، ثم أظفاره وقسمها بين الناس.

وكلمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق، فدفعها إليه، فكان يجعلها في مقدم قلنسوته، فلا يلقى جمعاً إلا فضه.

وحلق أكثر أصحابه «صلى الله عليه وآله» وقصر بعضهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اغفر للمحلقين»، ثلاثاً، كل ذلك يقال: والمقصرين يا رسول الله، فقال: «والمقصرين في الرابعة»[1].

ومما يدخل في هذا السياق يعني سياق دعوة الناس للتبرك قولهم: إنه مج في دلوٍ، فأفرغ على سقايتهم في زمزم[2]..

ونقول:

إننا نشير هنا إلى بعض الأمور، فنقول:

قصة الحلاق:

إن روايتهم لقصة الحلاق هنا قد اختلفت عما روي عن أهل البيت «عليهم السلام»، فقد تقدم عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن قريشاً

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٨ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٧ و ١٣٥ والبحار ج ٩٦ ص ٣٠٢ ومسند أحمد ج٦ ص٤٠٢ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١١٦ و السيرة الحلبية ج٢ ص٧١٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٧٩.

قالت للحلاق: «أي معمر، أذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يدك، وفي يدك الموسى»؟.

لكن روايتهم هنا تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي قال لمعمر ذلك..

وقد قلنا هناك: إن من القريب جداً أن يكون الذين قالوا ذلك لمعمر كانوا يريدون إغراءه بقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بصورة مبطنة..

ولعل الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» هي الأولى بالإعتبار، إذ لا يمكن أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك لمعمر، لأنه إن كان يقصد إغراءه بالقتل، فذلك لا يمكن صدوره عنه «صلى الله عليه وآله»، لأن الإغراء بالقتل من أعظم الجرائم، فكيف إذا كان المقصود هو أن يغريه بقتل نفسه، وكيف إذا كان أكرم الخلق، وأعظم الأنبياء، وسيد المرسلين؟!

وإن كان المقصود: هو اتهام معمر بأنه يقصد ذلك، أو يراد جعله في دائرة الإحتمال بنظر الناس، فذلك لا يصدر من النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً، إذ لا يحق له اتهام الناس بلا مبرر ودليل..

وإن كان المقصود هو المزاح والملاطفة، فالنبي «صلى الله عليه وآله» لا يمزح بما يثير الشبهة، ويعطي الإنطباع السلبي عن الأبرياء..

إصرار عائشة بلا مبرر:

ورغبت إليه عائشة تلك الليلة ـ أعني ليلة النفر من منى ـ: أن يعمرها عمرة منفردة.

فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفا والمروة قد أجزأ عن حجها وعمرتها.

فأبت إلا أن تعتمر عمرة منفردة.

فأمر أخاها عبد الرحمن أن يعمرها من التنعيم.

ففرغت من عمرتها ليلاً، ثم وافت المحصب مع أخيها، فأتيا في جوف الليل، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فرغتما؟

قالت: نعم.

فلما كانت ليلة الحصبة قلت: يا رسول الله، يرجع الناس بحج وعمرة وأرجع أنا بحجة.

فقال: «أوما كنت طفت ليالي قدمنا مكة»؟

قلت: لا.

قال: «فاذهبي مع أخيك إلى التنعيم، فأهلي بعمرة، ثم موعدك مكان كذا وكذا»[1].

قالت عائشة: فلقيني رسول الله «صلى الله عليه وآله» مُصعِداً على أهل مكة وأنا منهبطة، أو أنا مُصعِدة وهو مُنهبط منها.

وظاهر هذا: أنهما تقابلا في الطريق، وفي الأول: أنه انتظرها في منزله، فلما جاءت نادى بالرحيل في أصحابه.

وقولها: وهو مُصعد من مكة، وأنا منهبطة عليها للعمرة، ينافي انتظاره

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٤ وراجع: نيل الأوطار ج٥ ص٥٩ ومسند أحمد ج٦ ص١٢٢ وصحيح البخاري ج٢ ص١٥١و ١٩٦ وصحيح مسلم ج٤ ص٣٣ وسنن النسائي ج٥ ص١٧٨ وعمدة القاري ج٩ ص١٩٥ وعمدة القاري ج١٠ ص٩٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٦٦ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٢٠٣ وتغليق التعليق ج٣ ص١١٤.

لها في المحصب.

قال: فإن كان حديث الأسود محفوظاً عنها، فصوابه: (لقيني رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا مُصعدة من مكة، وهو منهبط إليها، فإنها طافت وقضت عمرتها ثم أصعدت لميعاده، فوافته وهو قد أخذ في الهبوط إلى مكة للوداع، فارتحل وأذن في الناس بالرحيل).

ولا وجه لحديث الأسود غير هذا[1].

ونقول:

١ ـ إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر عائشة: أنه لا داعي لتلك العمرة التيَ طلبتها، فلماذا تصر على فعل شيء يخبرها النبي «صلى الله عليه وآله» أنه لم يعد له مكان؟ وهل بقي ذلك مستحباً إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرَّفها أنه لم يعد له مكان بعد حجها؟!

٢ ـ ولو فرضنا: أن ذلك كان منها طمعاً في الثواب، فلماذا تحرج النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر أظهر أنه يرغب بخلافه؟ أليس ذلك يوجب حبط عملها لو كان عملها مستحباً؟! وألا يسقط استحبابه، ويحبط أجره ـ لو سلمنا باستحبابه ـ حين تكون قيمته هي أذى النبي «صلى الله عليه وآله»، وإرباك حركته وتفويت ما يرغب النبي «صلى الله عليه وآله» بعدم تفويته؟!.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٤ وراجع: مسند إسحاق بن راهويه ج٣ ص٨٦٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٣.

عائشة تعتمر رغم نهي النبي ﷺ:

عن عائشة قالت: أحرمت من التنعيم بعمرة فدخلت، فقضيت عمرتي، وانتظرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأبطح حتى فرغت، وأمر الناس بالرحيل[1]..

كما أن أم سلمة لم تكن قد طافت، وأرادت الخروج ـ وكانت قد اشتكت، فأمرها أن تطوف على بعيرها من وراء الناس، والناس يصلون ـ أي الصبح ـ فطافت كذلك[2]..

ونقول:

إنه لا كلام لنا على حديث طواف أم سلمة. ولكننا نريد أن نشير إلى بعض ما يرتبط بعمرة عائشة، فنقول:

أولاً: يفهم مما ذكرناه آنفاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن راضياً

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٠ عن البخاري ومسلم، وأبي داود، وراجع: سنن أبي داود ج١ ص٤٤٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص ٤١.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١١ عن البخاري، وراجع: كتاب الموطأ لمالك ج١ ص٣٧١ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٣٨٨ و ٤١٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٣٩١ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٣٩٤ و ٣٩٥ وكشاف القناع للبهوتي ج٢ ص٥٥٩ والمحلى لابن حزم ج٤ ٢٤٢ ونيل الأوطار ج٥ ص١٢٢ ومسند أحمد ج٦ ص٢٩٠ وصحيح البخاري ج١ ص١١٩ وج٢ ص١٦٤ و ١٦٧ وج٦ ص٤٩ وصحيح مسلم ج٤ ص٦٨ وسنن أبي داود ج١ ص٤٢٠ وسنن النسائي ج٥ ص٢٢٣ وغير ذلك من مصادر فراجع.

باعتمار عائشة، حتى لقد قالت له: «أترجع نساؤك بحجة وعمرة معاً، وأرجع بحجة»؟[١].

ثانياً: قال ابن عباس: والله، ما أعمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عائشة في ذي الحجة إلا ليقطع بذلك أمر أهل الشرك.

وقال: كانوا يرون: أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض[٢]..

ونلاحظ هنا على رواية ابن عباس: أنه لا شك في أنه قد كان لدى النبي «صلى الله عليه وآله» ما يدعوه إلى الإسراع بالخروج، ولكن إصرار عائشة قد منعه «صلى الله عليه وآله» من المضي لإنجاز ذلك الأمر الهام.

اللهم اغفر للمحلقين:

وقد تقدم في النص السابق: أن بعض أصحابه «صلى الله عليه وآله» أصر على التقصير، ولم يرض بالحلق. وقد مر نظير ذلك في الحديبية..

وهذا يعطي: أن عدم حلق الناس في الحديبية، لم يكن بسبب حنقهم

---

(١) الكافي ج٤ ص٢٤٨ والبحار ج٢١ ص٣٩٣ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢١٧ و ٢١٨ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٣ و ١٥٤ ومسند أحمد ج٦ ص١٦٥ و ٢٦٦ ومسند إسحاق بن راهويه ج٣ ص٦٤٣ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٤٢ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٥.

(٢) الغدير ج٦ ص٢١٧ عن صحيح البخاري ج٣ ص٦٩ وعن صحيح مسلم ج١ ص٣٥٥ وسنن البيهقي ج٤ ص٣٤٥ وسنن النسائي ج٥ ص١٨٠.

لأجل عدم دخول مكة، بل كان لأمر آخر. قد يكون له ارتباط بعدم صحة اعتقادهم، أو بعدم الرغبة في التخلي عن الرسوم التي كانت لدى أهل الجاهلية، أو بعدم مبالاتهم بمراعات الأحكام الشرعية.. أو بغير ذلك..

كما أن هذا التصرف الذي ظهر منهم في حجة الوداع يمثل فضيحة أخرى لهم، ويبين أن ما يدعونه لأنفسهم من الطاعة لله ورسوله، أو ما يدّعى لهم من العدالة والإستقامة، هو مجرد ادِّعاءات، أو شعارات ترفع لتلافي الإحراج، في مواقع الإستدلال والإحتجاج..

تبرك الصحابة:

ورغم ظهور هذه الهنات في سلوك كثير من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن ذلك لم يمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من أن يوزع شعره وأظفاره على الناس لأجل التبرك، لأن ذلك يدخل في دائرة التشريع، والتعليم لهم، ولا يختص أثره بأهل تلك الحقبة، بل يمتد إلى كل مسلم يأتي عبر الأجيال والأحقاب..

هذا بالإضافة إلى أنه يفيد خالصي الإيمان منهم، وكذلك الحال بالنسبة للتائبين والنادمين.

التبرك، في معناه ومغزاه:

وإذا أردنا أن نعرف مغزى تشريع التبرك بالأنبياء والأوصياء، وآثارهم، حسبما أكده النبي «صلى الله عليه وآله» للناس في مناسبات كثيرة، ومنها هذا المورد الذي نحن بصدد الحديث عنه، فعلينا أن نرجع أولاً إلى معنى البركة في اللغة، لنجد أنها تعني: النماء والزيادة، فالتبرك: هو طلب ذلك..

فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يوجه الناس إلى التبرك، فهو يوجههم إلى طلب الفاقد للنماء والزيادة من الواجد، من خلال الإقتراب منه والإتصال به..

والله هو مصدر الفيض لكل هذا الوجود وما فيه، فالإتصال به ولو بمستوى الإتصال الشكلي أو الرمزي، أو الروحي بصفيِّه ونبيه، بإظهار الحب، وبالتعبير عن القناعة الوجدانية ـ إن هذا الإتصال من موجبات النماء والزيادة، ويهيء لهذا الفيض، الذي هو مرهون باستجلاب الرضا والمحبة والفوز بالعناية والرعاية، والمنح والألطاف..

وبذلك نعرف: أن التبرك معناه: الشعور بالحاجة والنقص والضعف، أو بالحاجة إلى الإنتقال من حسن إلى أحسن، ومن مرحلة إلى مرحلة أسمى منها..

كما أنه يعني: بلورة إرادة التكامل والتسامي، والخروج من هذا الواقع إلى ما هو أفضل منه وأمثل.

كما أن التبرك ينتهي بالإنسان إلى الدخول في آفاق الرحمة الإلهية، والإنطلاق في رحابها، بعد أن يكون الإنسان قد حرر نفسه من كل قيد يشده إلى الأرض، ومن كل عبودية وبعد أن يملك قراره، وحريته، واختياره..

ثم هو يعني: الشعور بالقوة، وبالغنى عن الخلق، والتخلي عن الأنا، والإبتعاد عن الغرور والعنجهية.

وهو أخيراً: يدفع الإنسان إلى مراقبة نفسه، وتهذيبها، ورسم ملامحها وفق ما يرضي من يسعى لنيل رضاه، ويرى في ذلك غاية الفوز بمبتغاه..

النفر من منى:

قالوا: وكان يوم الثلاثاء، فركب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمسلمون معه، فنفر بهم من منى، فنزل المحصب ـ وهو واد بين مكة ومنى ـ فصلى بهم العصر، وهو بالأبطح، وهو خيف بني كنانة، حيث تقاسم المشركون على الكفر، ثم هجع هجعة بعد العشاء الآخرة، ثم دخل مكة فطاف بالبيت[1]..

وهذا يشير إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» قصد أن ينزل بالمحصب، مراغمة لمشركي قريش لما كتبوا الصحيفة التي التزموا فيها بمصارمة بني هاشم وبني المطلب، حيث حصروهم في شعب أبي طالب «عليه السلام».

وهذا هو الموضع الذي نزل فيه عام الفتح أيضاً..

وقد حاول بعضهم أن يدَّعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يتعمد ذلك[2]، ولعله لكي يخفف من حدة وقع هذا الإجراء على رؤوس الحاقدين على النبي «صلى الله عليه وآله» وعلى دينه..

لم يدخل ﷺ إلى البيت ولم يطف:

وقد زعمت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد نفره من منى دخل مكة، وطاف بالبيت، وبقي إلى صباح اليوم التالي، فصلى الصبح، ثم

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٠٥ ـ ٤٠٨ والمبسوط للسرخسي ج٤ ص٨ ونيل الأوطار ج٥ ص١٦٥ ومسند أحمد ج٢ ص١١٠ و ١٢٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٤.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٠٨ و ٤٠٩.

ارتحل[1]..

ولكننا نقول:

أولاً: إن الروايات الصحيحة، الواردة عن أهل البيت «عليه السلام» تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» نفر حتى انتهى إلى الأبطح، فطلبت عائشة العمرة، فأرسلها، فاعتمرت، ثم أتت النبي «صلى الله عليه وآله»، فارتحل من يومه، ولم يدخل المسجد الحرام، ولم يطف بالبيت[2]..

ثانياً: عن جابر قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة عند غروب الشمس، وصلى المغرب في سرف[3]، وهذا معناه: أنه لم يصلِّ المغرب والعشاء، ولا الصبح في مكة في اليوم التالي، كما زعموه..

فلا يصح قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله»: لما فرغ من صلاة الصبح، طاف بالبيت سبعاً، ووقف في الملتزم بين الركن الذي فيه الحجر الأسود، وبين باب الكعبة، فدعا الله عز وجل وألزق جسده بجدار الكعبة.

ولا يصح أيضاً ما روي عن بعضهم: أنه رأى رسول الله «صلى الله

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤١٠ و ٤١١ والمغازي ج٣ ص١١١٤ وراجع: مغني المحتاج ج١ ص٤٧٢.

(٢) الكافي ج٤ ص٢٤٨ والبحار ج٢١ ص٣٩٣ وراجع: تهذيب الأحكام ج٥ ص٢٧٥ و ٤٥٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢١٧ و ٢١٨ وج١٤ ص٢٨٤ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٣ وج٨ ص١٥٤ وج١٠ ص٢٢٩ ومستطرفات السرائر لابن إدريس ص٥٥٣ والبحار ج٢١ ص٣٩٣ وج٩٦ ص٣٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٥ وج١٠ ص٣٥٥.

(٣) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٣٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٢.

عليه وآله»، يلزق وجهه، وصدره بالملتزم[١]..

غير أن ذلك لا يعني أنه «صلى الله عليه وآله» لم يفعل ذلك كله، بل الظاهر: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وقف في الملتزم، وألزق جسده به، وغير ذلك، لكن في الأيام التي سبقت على النفر من منى..

عمرة في رمضان تعدل حجة معه:

وقالوا: إنه بعد رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع، أعلم أن عمرة في رمضان تعدل حجة معه[٢]..

لكننا نقول:

قد يقال: إن السبب في ذلك هو: أن مرض الجدري أو الحصبة انتشر في الناس بعد إعلان النبي «صلى الله عليه وآله» عن عزمه على المسير إلى الحج، فمنعت من شاء الله أن تمنع من الحج.. فإن صح ذلك، فإن إعلان هذا الأمر بعد عودته، قد يسهم في جبر النفوس الكسيرة، التي آلمها حرمانها من نيل شرف المسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١١و٤١٢ وتلخيص الحبير ج٧ ص٤٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٦٤ وسنن الدارقطني ج٢ ص٢٥٤ ونصب الراية للزيلعي ج٣ ص١٨٥ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٣٠ وكنز العمال ج٧ ص٩٣ والكامل لابن عدي ج٦ ص٤٢٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٢.

(٢) راجع سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٥٠ عن ابن سعيد.

غير أننا نقول عن الإعتمار في شهر رمضان:

إننا لم نجد فيما روي عن أهل بيت العصمة «عليهم السلام»، ما يدل على فضل العمرة في شهر رمضان على ما سواها، بل وجدنا ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «أفضل العمرة، عمرة رجب»[1]..

وعن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام: أنه سئل اي العمرة أفضل؟ عمرة في رجب أو عمرة في شهر رمضان؟ فقال: لابل عمرة في شهر رجب أفضل[2].

وعنه «عليه السلام»: «اعتمر في أي شهر شئت، وأفضل العمرة، عمرة رجب»[3]..

وعنهم «عليهم السلام»: «لكل شهر عمرة»[4]..

---

(١) تفسير العياشي ج١ ص٨٨ والبحار ج٩٦ ص٣٣٢ و ٣٣١ وعن علل الشرائع ص٤٠٨.

(٢) ذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٦٩٧ والحدائق الناضرة ج١٦ ص٣٣٠ ورياض المسائل ج٧ ص١٧٦ ومستند الشيعة ج١٣ ص١٢١ وراجع جواهر الكلام ج٢٠ ص٤٥٨ وجامع المدارك ج٢ ص٥٥٨ والإحصار والصد ص١٧٢ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٤٥٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٤ ص٣٠١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٤ ص٣٠١.

(٣) دعائم الإسلام ج١ ص٣٣٤ والبحار ج٩٦ ص٣٣٣ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص١٧٦.

(٤) قرب الإسناد ص١٦٢ والبحار ج٩٦ ص٣٣١ ومختلف الشيعة ج٤ ص٣٦٠ والحدائق الناضرة ج١٦ ص٣٢٠ ورياض المسائل ج٧ ص١٧٩ ومستند الشيعة ج١١ ص١٦٣ وج١٣ ص١٢١ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٤٥٨ والإستبصار=

ولعل الصحيح هنا ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» عندما سأله الوليد بن صبيح:

«**قال:** قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: بلغنا أن عمرة في شهر رمضان تعدل حجة.

فقال: إنما كان ذلك في امرأة وعدها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال لها: اعتمري في شهر رمضان فهي لك حجة»[1].

فالظاهر من هذه الرواية اختصاص هذا الفضل بتلك المرأة لوعد النبي صلى الله عليه وآله وضمانه «صلى الله عليه وآله» لها بقرينة «فهي لك حجة».

يويد ذلك ما روي من حديث أم معقل الذي أخرجه أيضاً النسائي من طريق معمر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن امرأة من بني أسد يقال لها أم معقل قالت: «أردت الحج فاعتل بعيري، فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اعتمري في شهر رمضان فإن عمرة في شهر رمضان تعدل حجة»[2].

= ج٢ ص١٥٦ و ٣٢٦ و تهذيب الأحكام ج٥ ص٣٢ و ١٦٤ و ٤٣٥ والبحار ج٩٦ ص٣٣١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٤٠ وغير ذلك من المصادر فراجع.

(١) الكافي ج٤ ص٥٣٦ وكشف اللثام (ط.ج) ج٦ ص٢٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٤٦٢ وجواهر الكلام ج٢٠ ص٤٥٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٤ ص٣٠٤ و (ط دار الإسلامية) ج١٠ ص٢٤١.

(٢) مسند أحمد ج٦ ص٤٠٦ ونيل الأوطار ج٥ ص٣٠ وفتح الباري ج٣ ص٤٨٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤٧٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٥ ص١٥٥ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص١٠٦ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص٥٦.

وأما رواية علي بن حديد التي تقول: «كتبت إلى أبي جعفر «عليه السلام» أسأله عن الخروج في عمرة شهر رمضان أفضل، أو أقيم حتى ينقضي الشهر وأتم صومي ؟ فكتب إلي كتابا قرأته بخطه:

سألت يرحمك الله عن أي العمرة أفضل، عمرة شهر رمضان أفضل يرحمك الله»[1].

فالمراد بها كما قال المحقق النراقي وغيره: أن العمرة في شهر رمضان أفضل من الإقامة والصوم، كما يدل عليه صدرها[2].

إعتمار النبي ﷺ بعد حجة الوداع:

وقد زعمت روايات غير أهل البيت «عليهم السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعتمر في حجة الوداع، فقد روي عن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعتمر أربع عمر، عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرة الجعرانة، والعمرة التي مع حجة الوداع[3]..

ولكن المروي عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» ـ وهم أدرى بما فيه ـ:

(١) مستند الشيعة ج١٣ ص١٢١وجواهر الكلام ج٢٠ ص٤٥٩ والكافي ج٤ ص٥٣٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٤ ص٣٠٤ وخاتمة المستدرك ج٥ ص٣٣٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٤٦٣.

(٢) مستند الشيعة ج١٣ ص١٢١ وراجع جواهر الكلام ج٢٠ ص٤٥٩ والإحصار والصد ص١٧٣.

(٣) البحار ج٢١ ص٣٩٧ و ٣٩٨ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٥٢ وعن الطبري، وعن الخصال ج١ ص٩٣ وتقدم ذكر المصادر فراجع.

أنه «صلى الله عليه وآله» اعتمر ثلاث عمر متفرقات، هي: الحديبية، والقضاء، والجعرانة، بعد رجوعه من الطائف من غزوة حنين[1]..

وعن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: ذكر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» اعتمر في ذي القعدة ثلاث عمر، كل ذلك يوافق عمرته ذا القعدة[2]..

في الطريق إلى المدينة:

وفي العودة إلى المدينة: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أسفل مكة، عند غروب الشمس[3]، فصلى المغرب في سرف ـ على بعد تسعة أميال من مكة..

ثم واصل سيره ومعه مئات الألوف من الناس، حتى بلغ غدير خم، حيث أخذ «صلى الله عليه وآله» البيعة لعلي «عليه السلام» بالإمامة بعده، كما سنرى في الأبواب والفصول التالية.

---

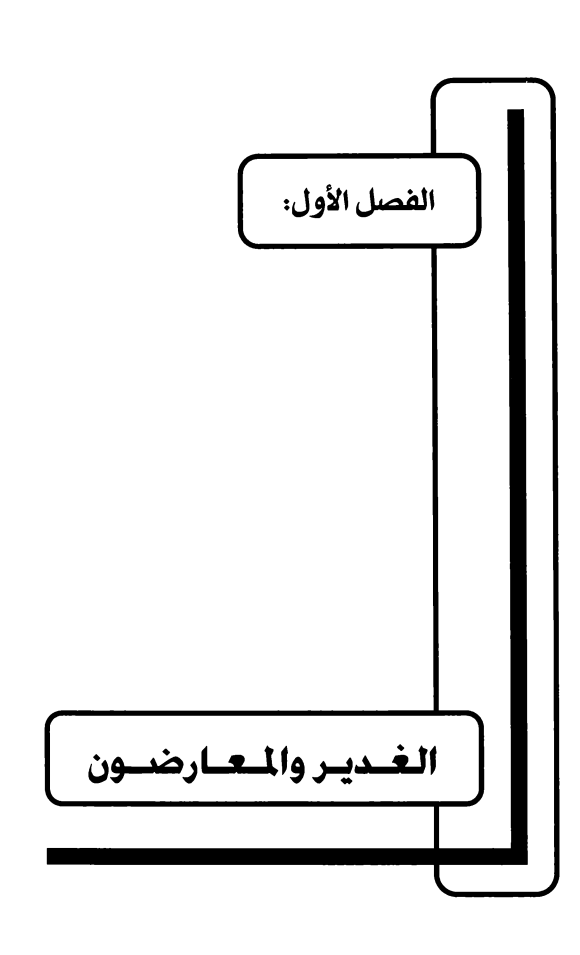
(١) البحار ج٢١ ص٣٩٨ و ٤٠٠ و ٤٠١ عن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٥٢ وعن الكافي (الفروع) ج١ ص ٢٣٥ وتقدم ذكر المصادر فراجع.

(٢) الكافي ج٤ ص٢٥٢.

(٣) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٢ ومسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٣٠٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٦ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٣٤ وكنز العمال ج٨ ص٢٤٧ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٠٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٣٥.

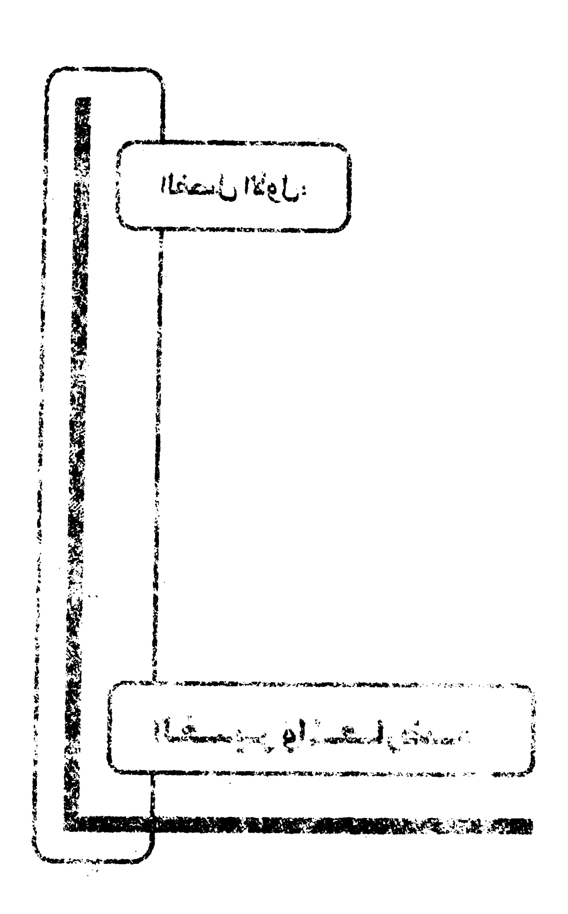
الباب الحادي عشر

الغدير في الحديث والتاريخ



الفصل الأول:

الغدير والمعارضون


الفصل الأول:

توطئة وتمهيد:

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

نزلت هذه الآية الشريفة في حجة الوداع، لتؤكد على لزوم تبليغ النبي «صلى الله عليه وآله» ما أمر به من أمر الإمامة. وولاية علي «عليه الصلاة والسلام» على الناس. كما ذكرته المصادر الكثيرة والروايات الموثوقة.. ولسنا هنا بصدد الحديث عن ذلك.

وقد يرى البعض: أن هذه الآية قد تضمنت تهديداً للرسول نفسه، بالعذاب والعقاب إن لم يبلِّغ ما أنزل إليه من ربه، وفي بعض الروايات الآتية: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر ذلك في خطبته للناس يوم الغدير.

ولكننا نقول:

إن التهديد الحقيقي موجه لفئات من الناس كان يخشاها الرسول، كما صرح به هو نفسه «صلى الله عليه وآله» ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

ممتنعاً عن الإبلاغ، ولكنه كان ممنوعاً منه، فالتهديد له ـ إن كان ـ فإنما هو من باب: «إياك أعني، واسمعي يا جارة».

وهذا بالذات، ما نريد توضيحه في هذا البحث، بالمقدار الذي يسمح لنا به المجال، والوقت فنقول:

الغدير والإمامة:

إن من يراجع كتب الحديث والتاريخ، يجدها طافحة بالنصوص والآثار االثابتة، والصحيحة، الدالة على إمامة علي أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام»، ولسوف لا يبقى لديه أدنى شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» وسلم لم يأل جهداً، ولم يدخر وسعاً في تأكيد هذا الأمر، وتثبيته، وقطع دابر مختلف التعلُّلات والمعاذير فيه، في كل زمان ومكان، وفي مختلف الظروف والأحوال، على مر العصور والدهور.

وقد استخدم في سبيل تحقيق هذا الهدف مختلف الطرق والأساليب التعبيرية، وشتى المضامين البيانية: فعلاً وقولاً، تصريحاً، وتلويحاً، إثباتاً لجانب ونفياً لجانب آخر، وترغيباً وترهيباً، إلى غير ذلك مما يكاد لا يمكن حصره، في تنوعه، وفي مناسباته.

وقد توجت جميع تلك الجهود المضنية، والمتواصلة باحتفال جماهيري عام نصب فيه النبي «صلى الله عليه وآله» رسمياً علياً «عليه السلام» بعد انتهائه «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع في مكان يقال له: «غدير خم». وأخذ البيعة له فعلاً من عشرات الألوف من المسلمين، الذين يرون نبيهم للمرة الأخيرة.

وهدفنا هنا هو الإلماح إلى حدث حصل في نفس حجة الوداع التي هي حجته الوحيدة وذلك في يوم عرفة ومنى.

لأن التعرف على هذا الحدث الذي سبق قضية الغدير لسوف يمكننا من أن نستوضح جانباً من المغزى العميق الذي يكمن في قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]. ولكننا قبل ذلك، لا بد لنا من إثارة بعض النقاط المفيدة في هذا المجال فنقول:

الحدث الخالد:

إن من طبيعة الزمن في حركته نحو المستقبل، وابتعاده عن قضايا الماضي، هو أن يؤثر في التقليل من أهمية الأحداث الكبيرة، التي يمر بها، وتمر به، ويساهم في أفولها شيئاً فشيئاً، حتى تصبح على حد الشبح البعيد البعيد، ثم قد ينتهي بها الأمر إلى أن تختفي عن مسرح الذكر والذاكرة، حتى كأن شيئاً لم يكن.

ولا تحتاج كبريات الحوادث في قطعها لشوط كبير في هذا الاتجاه إلى أكثر من بضعة عقود من الزمن، مشحونة بالتغيرات والمفاجآت.

وحتى لو احتفظت بعض معالمها ـ لسبب أو لآخر ـ بشيء من الوضوح، ونالت قسطاً من الاهتمام، فلا يرجع ذلك إلى أن لها دوراً يذكر في حياة الإنسان وفي حركته، وإنما قد يرجع إلى أنها أصبحت تاريخاً مجيداً، يبعث الزهو والخيلاء لدى بعض الناس، الذين يرون في ذلك شيئاً يشبه

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

القيمة، أو يعطيهم بعضاً من الاعتبار والمجد بنظرهم، وربما يكون ثمة أسباب أخرى أيضاً.

ولكن قضية الغدير، رغم مرور الدهور والأحقاب، وبعد ألف وأربع مائة سنة زاخرة بالتقلبات العجيبة، وبالقضايا الغريبة، ومشحونة بالحروب والكوارث، وبالعجيب من القضايا والحوادث.

ورغم المحاولات الجادة، والمتتابعة للتعتيم عليها، وإرهاقها بالتعليلات والتعللات غير المعقولة، باردة كانت أو ساخنة، بهدف حرفها عن خطها القويم، وعن الاتجاه الصحيح والسليم.

وكذلك رغم ما عاناه ويعانيه المهتمون بها من اضطهاد وغربة، وتشريد ومحنة، وما يصب على رؤوسهم من بلايا ومصائب، وكوارث ونوائب.

نعم، رغم ذلك كله وسواه، فإن هذه الحادثة بما تمثله من قضية كبرى للإيمان وللإنسان، قد بقيت ولسوف تبقى القضية الأكثر حساسية وأهمية، لأنها الأكثر صلة بالإيمان وبالإنسان، والأعمق تأثيراً في حياة هذا الكائن، وفي بنية شخصيته من الداخل، وعلى علاقاته بكل من وما يحيط به، أو يمت إليه بأدنى صلة أو رابطة من الخارج.

وهي كذلك القضية الأكثر مساساً وارتباطاً بمستقبل هذا الإنسان، وبمصيره، إنْ في الدنيا، وإنْ في الآخرة.

وهذا بالذات هو السر في احتفاظ هذه القضية بكل حيويتها، وحساسيتها بالنسبة إليه، على مر الدهور، وتعاقب العصور، ولسوف تبقى كذلك كما سيتضح فيما يأتي.

مفتاح الحل:

وإذا كان الأمر كذلك فلا مجال للإصغاء لما قد يثيره البعض، من أنه: سواء أكان الحق في ذلك لعلي «عليه السلام»، وقد اغتُصِبَ منه، وأقصي عن منصب هو له، أم لم يكن الأمر كذلك، فإن هذه القضية قد تجاوزتها الأحداث، وأصبحت تاريخاً يحكيه البعض، وينساه آخرون، كأي حدث تاريخي آخر.

فلم يعد الوقوف عندها والاهتمام بها مجدياً، ولا مفيداً، إن لم نقل: إن فيه ما يوجب الفرقة، ويرسخ التباعد، بما يثيره من كوامن وضغائن.

نعم.. لا مجال لهذا القول؛ فإن قضية الغدير، لا تزال ولسوف تبقى هي القضية الأساسية والرئيسة بالنسبة للمسلمين بل للناس جميعاً، وهي المفتاح للباب الذي لا بد من الدخول منه لحل المشاكل المستعصية الكبرى، وبعث الإسلام العزيز من جديد، وبناء قوته، وبث الحياة والحيوية في أبنائه.

وبدون ذلك، فإن على الجميع أن يستعدوا لمواجهة المزيد من المصائب، وأن يقبلوا ـ شاؤوا أم أبوا ـ باستمرار حالة الضعف والتقهقر، بل وانهيار بناء الإسلام الشامخ.

خلافة أم إمامة:

وما ذلك إلا لأن القضية لا تقتصر على أن تكون مجرد قضية خلافة وحكم وسلطة في الحياة الدنيا، ولا هي قضية: أن يحكم هذا، أو يحكم ذاك، لسنوات معدودة، وينتهي الأمر.. وإن كان ربما يقال: إن الذين تصدوا للحكم، واستأثروا به لأنفسهم قد قصدوا ذلك.

ولكننا نجد شواهد كثيرة قد لا تساعد على هذا الفهم الساذج للأمور.

وإنما هو يتجاوزه لما هو أهم وأخطر، وأدهى وأعظم، فقد عمل الحكام الأمويون على تكريس مفهوم الإمامة والخلافة الإلهية في كل شخصية تصدت للحكم. وذلك في نطاق تقديم العديد من الضوابط والمعايير، المستندة إلى مبررات ذات طابع عقائدي في ظاهر الأمر، يتم على أساسها اضطهاد الفكر والاعتقاد المخالف، والتخلص من رجالاته بطريقة أو بأخرى.

وقد سرت تلك المفاهيم المخترعة في الناس، وأصبحت أمراً واقعاً، لا مفر منه ولا مهرب، ولا ملجأ منه ولا منجى. وتفرقت الفرق، وتحزبت الأحزاب، رغم أن غير الشيعة من أرباب الفرق والمذاهب الإسلامية يدَّعون شيئاً، ويمارسون شيئاً آخر، فهم يعتقدون بالخلفاء أكثر مما يعتقده الشيعة في أئمتهم، ويمارسون ذلك عملاً، ولكنهم ينكرون ذلك، ولا يعترفون به قولاً، بل هم ينكرون على الشيعة اعتقادهم في أئمتهم ما هو أخف من ذلك وأيسر.

دور الإمامة في بناء الإنسان والحياة:

وليس من الغريب القول بأن معرفة قضية الإمامة وتحديد الموقف منها هو الذي يحدد مسار الإنسان واتجاهه في هذه الحياة. وعلى أساس هذا التحديد، والمعرفة والاعتراف يتحدد مصيره، ويرسم مستقبله، وبذلك تقوم حياته، فيكون سعيداً أو شقياً، في خط الإسلام وهداه، أو في متاهات

الجاهلية وظلماتها، كما أشير إليه في الحديث الشريف: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» أو ما بمعناه[1].

فعلى أساس الإعتقاد بالإمامة وطريقة التعامل معها يجسد الإنسان على صعيد الواقع، والعمل، مفهوم الأسوة والقدوة، الذي هو حالة طبيعية، يقوم عليها ـ من حيث يشعر أو لا يشعر ـ بناء وجوده وتكوين شخصيته، منذ طفولته.

كما أن لذلك تأثيره الكبير في تكوينه النفسي، والروحي، والتربوي، وفي حصوله على خصائصه الإنسانية، وفي حفاظه على ما لديه منها.

وعلى أساس هذا الإعتقاد، وذلك الموقف ـ أيضاً ـ يختار أهدافه، ويختار السبل التي يرى أنها توصله إليها.

والإمامة هي التي تبين له الحق من الباطل، والحسن من القبيح، والضار من النافع.

---

(١) راجع: الغدير ج١ ص٣٩٠ عن التفتازاني في شرح المقاصد ج٢ ص٢٧٥ وكنز الكراجكي ص١٥١ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢١٧ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢١٩ و ٢١٨ ومسند أحمد ج٤ ص٩٦ والبحار ج٢٣ ص٩٢ و ٨٨ و ٨٩ وج٢٩ ص٣٨ وج٣٢ ص٣٣١ وفي هوامشه عن: الإختصاص ص٢٦٩ وعن إكمال الدين ص٢٣٠ و ٢٣١ وعن عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ص٢١٩ ومنتخب الأثر ص١٥ عن الجمع بين الصحيحين والحاكم. وراجع: الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص٣١٧ والصراط المستقيم ج١ ص١١١ والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص٤٩٥.

وعلى أساس الإلتزام بخطها يرتبط بهذا الإنسان أو بذاك، ويتعاون معه، ويتكامل، أو لا يفعل ذلك.

كما أنها هي التي تقدم للإنسان المعايير والنظم، والمنطلقات التي لا بد أن يلتزم بها، وينطلق منها، ويتعامل ويتخذ المواقف ـ إحجاماً أو إقداماً ـ على أساسها.

أضف إلى ذلك: أنها تتدخل في حياته الخاصة، وفي ثقافته، وفي أسلوبه وفي كيفية تفكيره.

ومن الإمام يأخذ معالم الدين، وتفسير القرآن، وخصائص العقائد، ودقائق المعارف. وهذا بالذات هو السر في اختلاف الناس في ذلك كله، واختلفوا في تحديد من يأخذون عنه دينهم، وفي من يتخذونه أسوة وقدوة.

إذن.. فموضوع الغدير، ونصب الإمام للناس، وتعريفهم به، لا يمكن أن يكون على حد تنصيب خليفة، أو حاكم، أو ما إلى ذلك، بل الأمر أكبر وأخطر من ذلك.. كما أنه ليس حدثاً عابراً فرضته بعض الظروف، لا يلبث أن ينتهي ويتلاشى تبعاً لتلاشي وانتهاء الظروف التي فرضته أو أوجدته، وليصبح في جملة ما يحتضنه التاريخ من أحداث كبيرة، وصغيرة، لا يختلف عنها في شيء، ولا أثر له في الحياة الحاضرة إلا بمقدار ما يبعثه من زهو، واعتزاز، أو يتركه من مرارة وألم على مستوى المشاعر والانفعالات لا أكثر.

بل أمر الإمامة، يمس في الصميم حقيقة هذا الإنسان، ومصيره ومستقبله، ودنياه وآخرته، ويؤثر في مختلف جهات وجوده وحياته.

ومعنى ذلك: هو أنه لا بد من حسم الموقف في هذا الأمر، ليكون

الإنسان على بصيرة من أمره، فلا يموت ميتة جاهلية. كما تقدم عن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

واشتراط الحديث الشريف تحصيل معرفة الإمام في النجاة من الهلكة، وذلك في صيغة عامة تشمل كل إنسان، حتى ولو لم يكن يعتنق الإسلام، حيث قال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه..»، ولم يقل: إذا مات المسلم ولم يعرف.. الخ..

إن هذا الإشتراط يوضح لنا: أن تجاهل قضية الإمامة، وعدم حسم الأمر في موضوع الأسوة والقدوة يساوي رفضها، وإبعادها عن محيط الحياة والإنسان في كونه يوجب الميتة الجاهلية، ويترك آثاره السلبية المهلكة والمبيدة، على مجمل حياة هذا الكائن وعلى مستقبله ومصيره، في الدنيا والآخرة.

ومما يدل على ذلك، ويثبته ويؤكده: أنه تعالى قد اعتبر عدم إبلاغ أمر الإمامة إلى الناس، يساوي عدم إبلاغ الرسالة نفسها من الأساس، وذلك يعني: أنه لا يمكن التسامح فيها ولا المحاباة، كما أنه لا مجال لإبعادها وتعطيلها، لأن ذلك يعني إبعاد الدين وتعطيله، ومنعه من أن يكون هو سيد الموقف، وصاحب القرار في حياة الإنسان، وفي مجمل مواقفه وفي مستقبله.

الإمامة.. تعدل الرسالة كلها:

لا شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بلَّغ هذا الدين في عقائده وشرائعه، ومفاهيمه، وقيمه، وسياساته، وغير ذلك طيلة ثلاث وعشرين

سنة، لكن ذلك كله لكي يكون مقبولاً عند الله سبحانه، ومحققاً للأهداف، وموصلاً للغايات المتوخاة منه ـ يحتاج ـ إلى ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1] فقرر أن تبليغ أي حكم، أو اعتقاد، أو مفهوم يبقى ناقصاً، إذا لم يصاحبه الاعتقاد بالولاية والإمامة لأهلها، فالتوحيد الذي لا ولاية معه ليس هو التوحيد الذي أراد الله تعالى، والاعتقاد بالمعاد بدون الاعتقاد بالولاية ليس هو المطلوب له تعالى، والصلاة أيضاً، والحج، والجهاد، والتسبيح، والتوبة، و.. و.. الخ.. كل ذلك إذا لم تصاحبه ولاية علي «عليه السلام» فهو ناقص، ولا يحقق الأهداف، ولا يوصل إلى الغايات الإلهية، وليس هو ما يريده الله عز وجل..

فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد بلَّغ جميع أحكام الدين، ولم يبلِّغ الولاية، فإنه يكون قد بلَّغ الرسالة، وإذا أردنا توضيح ذلك بالمثال، نقول: لو أن جسداً ملقى له عين وقلب، ويد، ورجل، ولسان، وأذن، و.. و.. الخ.. فإذا كان فاقداً للروح، فوجود اليد والرجل واللسان، وسائر الأعضاء يكون كعدمه، فإن العين لا ترى، واليد لا تتحرك، والأذن لا تسمع، واللسان لا يتكلم، وليس له عقل، ولا مشاعر، ولا قوة، ولا غريزة جنسية، ولا، ولا الخ..

فإذا نفخت فيه الروح، فإن ذلك كله يبدأ بالعمل، فالعين تبصر،

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

والقلب ينبض، واليد تمتلئ قوة، ويصير يحب ويبغض، ويحس ويتألم، ويلتذ، وتبدأ سائر قواه بالتنامي الخ..

وولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» بالنسبة للأعمال من هذا القبيل، ولذلك ورد أنها شرط لقبولها، والمثوبة عليها، وبدون هذه الولاية لا يكون لكل تلك الأعمال الجوارحية والجوانحية فائدة ولا أثر، بل يكون وجودها كعدمه..

سر السعادة ورمز البقاء:

نعود لنقول:

إن تبليغ وحفظ دين الله تعالى هو أهم قضية بالنسبة للبشر؛ فهو سر سعادتهم ونجاتهم، وهو رمز بقائهم، وبه تتبلور حقيقتهم الإنسانية، وعلى أساسه لا بد أن يكون تعاملهم. ومن خلال تعاليمه، ومفاهيمه، لابد أن يتم بناء شخصيتهم الإنسانية.

كما أن كل حكم، وكل حقيقة في هذا الدين على ارتباط وثيق بأمر الولاية والإمامة، حتى إنه إذا لم يتم تبليغها فإن الدين نفسه يصبح كأن لم يكن أصلاً..

ونتيجة ذلك كله هو: أن تصبح هذه الولاية ضرورة للبشرية، وليس فوقها ضرورة على الإطلاق.

فعدم تبليغها يجعل الدين والرسالة بلا مضمون وبلا فائدة، ويكون وجوده كعدمه تماماً كما صرحت به الآية الكريمة: **﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾**.

المعارضون:

ثم إننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، فسنجد أنه قد أفصح لنا عن وجود فئات من الناس، كانت تقف في وجه الرسول «صلى الله عليه وآله» مباشرة، وتسعى لعرقلة حركته، وتمنعه من بيان أمر الإمامة، وإقامة الحجة فيها، حتى احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى طلب العصمة من الله سبحانه، ليتمكن من مواجهة هؤلاء، وكبح جماحهم.

فمن هم هؤلاء الأشرار الأفّاكون، والعتاة المجرمون؟!. الذين يجترئون على مقام النبوة الأقدس، ويقفون في وجه إبلاغ أوامر الله، وأحكامه؟!.

الجواب:

إن كتب التاريخ والحديث، والسيرة زاخرة بالشواهد والدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، التي تكشف لنا القناع عن وجه هؤلاء، وتظهر مدى تصميمهم على رفض هذا الأمر، ومحاربته، وطمسه ومنابذته، بكل ما أوتوا من حول وقوة..

ونحن في مقام التعريف بهم، والدلالة عليهم نبادر إلى القول: إنهم ـ للأسف ـ قوم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقريش، بالذات.. قريش، التي حاربت الإسلام في بدء ظهوره، وحاربته وهو غضّ طري العود، ثم حاربته بعد أن ضرب بجرانه، وعملت على زعزعة أركانه، حينما أرادت حرمانه من العنصر الضروري والأهم للحياة وللإستمرار، والبقاء.. وأعني به عنصر الإمامة والقيادة. والنصوص التالية خير شاهد على سياسات قريش هذه. فلنقرأها بتمعن، وصبر، وأناة.

النصوص الصريحة:

قال عثمان بن عفان لابن عباس: «لقد علمت: أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه».

ثم تذكر الرواية له كلاماً آخر، وجواب ابن عباس له، فكان مما قال:

«فأما صرف قومنا عنا الأمر، فعن حسد ـ قد والله ـ عرفته، وبغي ـ والله ـ علمته بيننا وبين قومنا»[1].

وحين ظهرت نتائج الشورى التي عينها عمر بن الخطاب، قال رجل من بني مخزوم لعمار ـ هشام بن الوليد بن المغيرة ـ: «ما أنت وتأمير قريش لأنفسها»؟![2].

ثم تستمر الرواية إلى أن تذكر:

أن المقداد قال: «تالله، ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت. وا عجبا لقريش، لقد تركت رجلاً، ما أقول، ولا أعلم أحداً أقضى بالعدل..

---

(١) قاموس الرجال ج٦ ص٣٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٩ والبحار ج٣١ ص٤٥٥ والموفقيات ص٦٠٦ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص١٣١.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٩٣٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٩٧ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٧١ والبحار ج٣١ ص٤٠٢ والغدير ج٩ ص١١٥ والدرجات الرفيعة ص٢٦١ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٨٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٩٤ وج٩ ص٥٨ وج١٢ ص٢٦٥ والسقيفة وفدك للجوهري ص٩٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٢٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٣ ص١٠٩.

الخ..»[1].

وخطب أبو الهيثم بن التيهان بين يدي أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فقال:

«إن حسد قريش إياك على وجهين:

أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملأ، وارتفاع الدرجة.

وأما شرارهم فحسدوك حسداً أنغَل القلوب، وأحبط الأعمال.

وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدَّمك إليها الحظ، وأخَّرهم عنها الحرمان، فلم يرضوا أن يلحقوك حتى طلبوا أن يسبقوك. فبعدت ـ والله ـ عليهم الغاية، وأسقط المضمار.

فلما تقدمتهم بالسبق، وعجزوا عن اللحاق بك بلغوا منك ما رأيت، وكنت والله أحق قريش بشكر قريش»[2].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٧١ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٨٤ ـ ٣٨٥ والبحار ج٣١ ص٤٠٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٣٤٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٣ ص١١٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٩٤ وج٩ ص٥٧ و ٥٨ وج١٢ ص٢٦٦ والأمالي للشيخ الطوسي ص١٩١ وفي كلمات المقداد «رحمه الله» عبارات أخرى صريحة في ذلك، فلتراجع.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد ص١٥٥ وإقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ج٢ ص٢٥٣ والبحار ج٢٩ ص٤٩٢ و ٥٨٠ والأوائل ج١ ص٣١٦ ـ ٣١٧ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٣ ص٧٤ ج٥ ص٣٥ وج٨ ص٣٠٠ والشيعة في الميزان للشيخ محمد جواد مغنية ص٢٣.

وعمرو بن عثمان بن عفان أيضاً قال: «ما سمعت كاليوم إن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض أحد بعد قتل الخليفة عثمان».

إلى أن قال: «فيا ذلاه، أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب ـ قتلة عثمان ـ أحياء يمشون على مناكب الأرض..»[١].

إنهم يقولون هذا مع أنهم يعلمون: أن الحسن «عليه السلام» كان يدافع عن عثمان وهو محاصر في داره.

وعن علي بن الحسين «عليه السلام»، أنه قال: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»[٢].

ودخل العباس على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «يا رسول الله. إنا لنخرج فنرى قريشاً تُحَدِّث؛ فإذا رأونا سكتوا».

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودرّ عرق بين عينيه[٣].

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٤٠٣ والبحار ج٤٤ ص٧١.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ والبحار ج٣٤ ص٢٩٧ وج٤٦ ص١٤٣ و (ط حجرية) ج٨ ص٦٧٦ و ٧٣٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٧٩ وراجع: الغارات ج٢ ص٥٧٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٨.

(٣) مسند أحمد ج١ ص٢٠٧ وج٤ ص١٦٥ وراجع ص٢١٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٠ وحياة الصحابة ج٢ ص٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٣١ وج٣ ص٣٣٣ والإصابة ج٢ ص٢٧١ ونزل الأبرار: ص٣٤ ـ ٣٥ وراجع: تاريخ المدينة ج٢ ص٦٣٩ و ٦٤٠ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، ومنحة المعبود ج٢ ص١٤٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٦٩ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٥٢ وصححه، وأسد الغابة ج٣ ص١١٠ و ٣٣١ وكنز =

وقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: « يا علي، إنك ستلقى بعدي من قريش شدة، من تظاهرهم عليك، وظلمهم لك»[1].

وسئل الإمام السجاد «عليه السلام» ـ وابن عباس أيضاً: ما أشد بغض قريش لأبيك؟!.

قال: «لأنه أورد أولهم النار، وألزم آخرهم العار»[2].

= العمال ج١٣ ص٩٠ و ٨٨ ـ ٨٩ و ٨٣ وج١٦ ص٢٥٤ و ١٣٥ و ١٢٨ وج٤ ص١٦٥ عن عدد من المصادر ونقله بعض الأعلام عن الكامل لابن عدي ج٦ ص١٨٨٥ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج١٢ ص١٠٨ وعن المعرفة والتاريخ ج١ ص٤٩٧ و ٤٩٩. والبحار (ط حجرية) ج٨ ص١٥١. وراجع: تفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٢٢ والدر المنثور ج٦ ص٧ وتفسير الآلوسي ج٢٥ ص٣٢ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢ ص١١٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٠٠ وذخائر العقبى للطبري ص٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٤ ص٣٠٤ وج٣٣ ص١١١.

(١) كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص١٣٤ والبحار ج٢٨ ص٥٤ و ٥٥ و ٧١ عن إكمال الدين، وكتاب سليم، والغيبة للنعماني. وراجع: موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١١ ص٨٢ وتفسير نور الثقلين ج١ ص١٨٠ وج٢ ص٧٤ وتفسير كنز الدقائق للمشهدي ج١ ص٤٥٨ ونفس الرحمن في فضائل سلمان للميرزا حسين النوري الطبرسي ص٤٢٨ وإكمال الدين ص٢٦٤.

(٢) نثر الدر للآبي ج١ ص٣٠٤ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٩٠ وكشف الغمة ج٢ ص٣١٩ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٢٩ والبحار ج٢٩ ص١٤٣ وج٧٥ ص١٥٩ و (ط الحجرية) ج٨ =

وعن ابن عباس: قال عثمان لعلي «عليه السلام»:

«ما ذنبي إذا لم تحبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً، كأن وجوههم سيوف الذهب»[١].

وقريب منه ما روي أن ابن عمر، قد قاله لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً[٢].

وروي أن العباس قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن قريشاً، جلسوا، فتذاكروا أحسابهم، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض، فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم الخ..»[٣].

= ص١٥١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٩٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج١١ ص٢٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٨ ص١٢٩ وج٣٣ ص٧٨٠.

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم (مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي) الورق ٢٢ رقم ١ ص٤٩٧ ـ أ، والجمل ص٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٢٣ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج١١ ص٢٤٦.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢١ والبحار ج٢٩ ص٤٨٢ وراجع: المسترشد للطبري ص٣٨٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج١ ص٥٨٢ وقال في هامشه: الترمذي ج٥ ص٥٨٤ [و (ط دار الفكر) ج٥ ص٢٤٤] ولسان العرب في «كبا» وراجع: مجمع الزوائد ج٨ ص٢١٦ وراجع النهاية لابن الأثير، والفائق للزمخشري في «كبا». وراجع: الكامل لابن عدي ج٢ ص٦٦٥ وج٦ ص٢٢٠٧ ودلائل النبوة ج١ ص١٣١ و ١٣٣ وفي الكامل: أن القائل هو أبو سفيان.

وراجع: تحفة الأحوذي ج١٠ ص٥٤ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص١٣٨ =

وحسب نص آخر: أن ناساً من الأنصار جاؤوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقالوا: إنا لنسمع من قومك، حتى يقول القائل منهم:

«إنما مثل محمد مثل نخلة في كباة»[1].

أي أن النبي فقط هو الإنسان المقبول في بني هاشم، وهو كنخلة. وهم بمثابة المزبلة التي نبتت تلك النخلة فيها.

وقال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل ريحانة وسط النتن[2].

ويقولون أيضاً: قد كان هوى قريش كافة ما عدا بني هاشم في عثمان[3].

= والبداية والنهاية ج٢ ص٣١٥ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٤ ص١٤٦ ولسان العرب ج١٥ ص٢١٣.

(١) راجع مسند أحمد ج٤ ص١٦٦ ولسان العرب ج١٥ ص٢١٣ والنهاية في اللغة ج٤ ص١٤٦ وفي الكامل لابن عدي ج٢ ص٦٦٥ وج٦ ص٢٢٠٧ وكذا في ذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٣٣: أن القائل هو أبو سفيان، وفي البحار ج٣٦ ص٢٧٨ و ٢٩٤ وج٣٠ ص٣١٠ ـ ٣١٤: أن القائل هو عمر بن الخطاب. والكبا: الكناسة، والتراب الذي يكنس، وراجع: ذخائر العقبى ص١٤ وينابيع المودة ص١٨٩ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢١٦ و ٢١٥ وراجع: دلائل النبوة ج١ ص١٣١ و ١٣٣ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٥٨٤. وراجع: كتاب الغيبة للنعماني ص٨٥.

(٢) الكامل لابن عدي ج٢ ص٦٦٥ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٢٤٨ وراجع: البحار ج٣٦ ص٩٨ و ٢٧٨ و ٢٩٤ وكنوز الحقائق (مطبوع بهامش الجامع الصغير) ج٢ ص٨٨ وراجع: ذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٣٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٥٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢١٤ والسقيفة وفدك للجوهري ص٨٦.

وقال المقداد: وا عجباً لقريش، ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم(١).

وقال الثقفي: كانت قريش كلها على خلافه مع بني أمية(٢).

وبعد بيعة عثمان تكلم عمار، فذكر: أن قريشاً هي التي صرفت هذا الأمر عن أهل البيت «عليهم السلام»، ثم قال المقداد لعبد الرحمن بن عوف:

«يا عبد الرحمن، اعجب من قريش، إنما تطوُّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت، قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعده من أيديهم. أما وأيم الله يا عبد الرحمن، لو أجد على قريش أنصاراً لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي «عليه الصلاة والسلام» يوم بدر»(٣).

«وبعد أن بايع الناس علياً «عليه السلام» قام أبو الهيثم، وعمار، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وجماعة معهم، فدخلوا على علي «عليه السلام»، فقالوا: يا أمير المؤمنين، انظر في أمرك، وعاتب قومك هذا الحي من قريش، فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، ودعونا في السر إلى رفضك»(٤).

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٦٣ وقاموس الرجال ج١٠ ص٢٢٩ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٦٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج١٢ ص٣١٤.

(٢) الغارات ج٢ ص٥٦٩ وراجع ٥٥٤.

(٣) مروج الذهب ج٢ ص٣٤٣ والغدير ج٩ ص١١٦ وراجع: إختيار معرفة الرجال ج١ ص١٢٧ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٦٨.

(٤) شرح النهج لابن للمعتزلي ج٧ ص٣٩ ـ ٤٠ والبحار ج٣٢ ص١٩ والمعيار والموازنة ص١٠٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٢ ص٢٧٧ والجمل لضامن بن شدقم المدني ص٦٨ وموسوعة الإمام علي بن =

كما أن البراء بن عازب قد ذكر: أنه حين توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» تخوف أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم [1].

وروي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي «عليه السلام»: «إن الأمة ستغدر بك بعدي» [2].

= أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٤ ص١٠٩.

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢١٩ وج٢ ص٥١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٤٦ والبحار ج٢٨ ص٢٩٣ والدرجات الرفيعة ص٨٧ و ٤٥٤ والسقيفة وفدك للجوهري ص٤٨.

(٢) نزل الأبرار ص٢٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٤٨ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٤٤ وج٧ ص٣٦٠ وتاريخ بغداد ج١١ ص٢١٦ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج٣ ص٩٩٥ والجمل للمفيد ص٩٢ وإعلام الورى ج١ ص٩٢ والدر النظيم ص٤٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص١٥٠ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٢ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وكنز العمال ج١٥ ص٥٦ و (ط مكتبة الرسالة) ج١١ ص٢٩٧ و ٦١٧ والبحار ج١٨ ص١٢٤ وج٢٨ ص٤٥ و ٥٠ و ٦٥ و ٧٦ و ١٩١ و ٢١٠ وج٢٩ ص٤٥٣ وج٣٤ ص٣٣٨ و (طبعة حجرية) ج٨ ص٦٢٩ وفي هوامشه عن: أمالي الطوسي، وعيون أخبار الرضا «عليه السلام»، والإرشاد للمفيد، والإيضاح لابن شاذان، وعن المعتزلي، وعن التاريخ الكبير للبخاري، والطرائف، والمطالب العالية ج٤ ص٥٦ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٧ وج٢٠ ص٣٢٦ وراجع: كشف الغطاء (ط.ق) ج١ ص١٠ والإيضاح لابن شاذان ص٤٥٢ وشرح الأخبار ج١ ص٤٣٦ والأمالي للطوسي ص٤٧٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٦٥ والمراجعات ص٢٥١ ونهج السعادة للمحمودي ج٢ ص٦٠٧ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب =

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبر أمير المؤمنين، بأن في صدور أقوام ضغائن، لا يبدونها له إلا بعده.

وفي بعض المصادر: أن ذلك كان منه «صلى الله عليه وآله» حين حضرته الوفاة[1].

= التبريزي ص٦٨ ومستدركات علم رجال الحديث ج٦ ص٢٠٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٩ ص٤٠٩ ونهج الحق وكشف الصدق ص٣٣٠ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٧٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٣٢٦ و ٣٢٧ وج١٧ ص٢٥٧ وج٢١ ص٤٣٦ و ٤٣٧ وج٢٢ ص٤٥٤ وج٢٣ ص٢٩٤ و ٢٩٥ وج٢٣ ص٣١٣ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٨٨ وج٣١ ص٢٤٤ والخصال ص٤٦٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٥٣٣ و ٥٤٥ والإرشاد ج١ ص٢٨٥ والإحتجاج ج١ ص٩٨ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص١٧ والطرائف ص٤٢٧ واليقين ص٣٣٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص٦٨ والغدير ج٧ ص١٧٣ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص٢٩٦.

(١) راجع المصادر التالية: تذكرة الخواص ص٤٥ ـ ٤٦ وكفاية الطالب ص٢٧٢ وفرائد السمطين ج١ ص١٥٢ والبحار ج٢٨ ص٤٥ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٦٦ و ٧٥ و ٧٨ و ١٢٩ وج٢٦ ص٣٥٠ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٦ و ٣٥ وج٤٤ ص٧٥ وج٣٦ ص٣٣٧ و ٣٢٨ و ٢١٨ وج٣٧ ص١٩٢ وج٢٢ ص٥٣٦ وج٥١ ص١٠٨ وكتاب سليم بن قيس ص٢٢.

وراجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١١٨ و ٢٦٩ وج١ ص٨٨ عن البزار والطبراني وأبي يعلى، والمناقب للخوارزمي ص٣٧ وتاريخ بغداد ج١٢ ص٣٩٨ ومقتل =

= الحسين للخوارزمي ج١ ص٣٦ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٣٢٢ ـ ٣٢٥ ونور الأبصار ص٧٩ وميزان الإعتدال ج٣ ص٣٥٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص١٠٧ وكنز العمال ج١٥ ص١٥٦ عن ابن النجار، وأبي الشيخ، والمستدرك، والبزار، وابن الجوزي، والخطيب، وأبي يعلى، وكفاية الأثر ص١٢٤ و ١٥٨ و ١٠٢ ونثر الدر للآبي ج١ ص٢٤١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٩ و ٣٣٣ والملاحم والفتن لابن طاووس ص١١٢ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٣٤٠ و ٣٤١.

وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٥٧٨ وفي هامشه عن: المعجم الكبير للطبراني ج١٧ ص١٨٥ والضعفاء الكبير للعقيلي ج٤ ص١٤٨ والكامل لابن عدي ج٥ ص١٨٨٥ وج٢ ص٦٦٥ وتأريخ المدينة لابن شبه ج٢ ص٦٣٩ و ٦٤٠ والنهاية لابن الأثير ج٣ ص٩١ في «ضغن» وج٤ ص٧٥ في «قطب».

وراجع: لسان العرب، وأسد الغابة ج٣ ص١١٠ و ٣٣١ والإصابة ج٢ ص٢٧١ وكنز العمال ج١٣ ص٨٣ و ٨٨ و ٨٩ وج٤ ص١٦٥ وج١٦ ص١٢٨ و ١٣٥ و ٢٥٤ ومسند أحمد ج٤ ص١٦٥ بسندين، والمعرفة والتأريخ ج١ ص٢٩٥ و ٢٩٧ و ٤٩٩ ومنحة المعبود ج٤ ص١٤٧.

وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج١٢ ص١٠٨ وفي هامشه عن: الترمذي ج٢ ص٢١٧ وحياة الصحابة ج٢ ص٤٣١ و ٤٣٢ وج٣ ص٣٣٣ والعمدة لابن بطريق ص٥٤ والفردوس للديلمي ج٤ ص١١٣ ومسند علي ص١٠٠٥ والمعجم الصغير للطبراني ج١ ص٢٣٩ ومشكل الآثار للطحاوي ج٢ ص٢٦ وينابيع المودة ص١٢ و ١٣٥ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٣٠٣ و ٣٠٩ والصواعق المحرقة ص١٧٢ و ١٨٧ و ٢٣٠ و ٢٣١ والمعجم الأوسط للطبراني ج٣ ص٤٦٠.

الخليفة الثاني يتحدث أيضاً:

قال عمر لابن عباس، وهو يتحدث عن سبب صرف الأمر عن علي «عليه السلام»:

«والله، ما فعلنا الذي فعلنا معه عن عداوة، ولكن استصغرناه، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب، وقريش؛ لما قد وترها»[١].

وقال لابن عباس أيضاً: «كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة والخلافة، فتجفخوا الناس جفخاً[٢]، فنظرت قريش لأنفسها، فاختارت، ووفقت، فأصابت»[٣].

---

(١) اليقين لابن طاووس ص٥٢٣ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٣ ص ٧٠ والغدير ج١ ص٣٨٩ وج٧ ص٨٠ عن محاضرات الراغب، والبحار ج٣٠ ص٢١٢ و (ط حجرية) ج٨ ص٢٠٩.

(٢) الجفخ: التكبر.

(٣) قاموس الرجال ج٦ ص٣٣ و ٤٠٣ وج٧ ص١٩٩ وقال: رواه الطبري في أحوال عمر، والمسترشد في إمامة علي «عليه السلام» ص١٦٧ و (مؤسسة الثقافة الإسلامية) ص٦٨٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٥٣ وراجع ص٩ وعبر فيه بـ «قومكم» وفيه: «إنهم ينظرون إليه نظر الثور إلى جازره»، وراجع ج٢ ص٥٨ والإيضاح ص١٩٩ وعن شرح ديوان زهير لثعلب، والبحار ج٨ ص٢٠٩ وج٣١ ص٧١ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص١٤٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٥٢ والمراجعات ص٣٩٤ ومواقف الشيعة مع خصومهم ج١ ص١٥١ وج٢ ص٢٣٧ عن الأغاني.

وفي موقف آخر قال الخليفة له: «فاستصغرت العرب سنه»[1].

وقال لابن عباس أيضاً: ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه[2].

وفي مناسبة أخرى قال له: «لا، ورب هذه البنية، لا تجتمع عليه قريش أبداً»[3].

---

(١) راجع: البحار ج٢٩ ص٦٣٧ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٤٨ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٣٣ عن: شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٨٠ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٤ و ٣٨٠ وبهج الصباغة ج٤ ص٣٦١ وراجع: التحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص١٤٧ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٢٣.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٤٥ وج١٢ ص٤٦ وراجع ج٢ ص٥٨ و ٨١ وفي هامشه عن الرياض النضرة ج٢ ص١٧٣ وراجع: بهج الصباغة ج٤ ص٣٦١ وقاموس الرجال ج٧ ص٢٠١ وج٦ ص٣٥ عن الموفقيات، والبحار ج٤٠ ص١٢٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٢٦ والسقيفة وفدك للجوهري ص٧٢ والدرجات الرفيعة ص١٠٥ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٢٢ وكشف الغمة ج٢ ص٤٧ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص١٧٥ و ٤٧٠.

(٣) شرح النهج ج١٢ ص٢٠ و ٢١ عن كتاب بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وراجع ج١٢ ص٧٩ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٤ و ٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٩٨ وج٧ ص١٨٨ وبهج الصباغة ج٦ ص٢٤٤ وج٤ ص٣٨١ وعن ناسخ التواريخ (الجزء المتعلق بالخلفاء) ص٧٢ و ٨٠. وراجع: البحار ج٣٠ ص٢٤٤ و ٥٥٦ وج٣١ ص٧٥ وج٣٨ ص١٥٧ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٥٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٧ والدرجات الرفيعة =

وفي نص آخر: «إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة»[1].

وفي آخر: «لولا ثلاث هنّ فيه ما كان لهذا الأمر من أحد سواه.

قلت: وما هن يا أمير المؤمنين؟

قال: كثرة دعابة، وبغض قريش له، وصغر سنه»[2].

وقال أيضاً لابن عباس: «إن علياً لأحق الناس بها، ولكن قريشاً لا تحتمله..»[3].

= ص١٠٦ وكشف الغمة لابن أبي الفتح ج٢ ص٤٧ وكشف اليقين ص٤٧٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٩١ و ٣٩١ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص١٤٤ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٢٢٦.

(١) البحار ج٣١ ص٧٥ ومواقف الشيعة مع خصومهم ج١ ص١٤٧ و ١٤٨ ومناقب الإمام علي من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج١ ص٦ وشرح نهج البلاغة ج١ ص١٨٩ وج٢ ص٥٨ وج٢٠ ص١٥٥ والتحفة العسجدية ص١٤٤ وبناء المقالة الفاطمية للسيد ابن طاووس ص١٥٧.

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١٣٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٣ ص٧٣ عن فرائد السمطين، ومواقف الشيعة مع خصومهم ج١ ص٤٠٤ و ٣٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣١ ص٤٦٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٥٨ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٦ عنه. ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٣٣ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٣ ص١٠٢.

قريش في كلمات علي عليه السلام:

وإذا رجعنا إلى كلمات أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» نفسه، فإننا نجده يحمل قريشاً مسؤولية كل المصائب والرزايا والبلايا التي واجهها هو وكل المخلصين بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» ولا سيما فيما يرتبط بأمر الخلافة، وما نشأ عن ذلك من تمزق، في جسم الأمة، وتوزع في أهوائها. ثم ما كان من تقاتل وتناحر، وانحراف عن خط الإسلام وعن مفاهيمه وأحكامه، وإلى يوم يبعثون.

ونذكر من كلماته «عليه السلام» هنا، ما يلي:

قال «عليه السلام»: «اللهم اخز (اجز) قريشاً، فإنها منعتني حقي، وغصبتني أمري»[1].

وعنه «عليه السلام»: «فجزى قريشاً عني الجوازي، فإنهم ظلموني حقي، واغتصبوني سلطان ابن أمي»[2].

---

(١) الغارات للثقفي ج٢ ص٧٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٩١ والبحار ج٢٩ ص٦٢٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٣٠٦ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٤٦ وميزان الحكمة ج١ ص١٤٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٩ ص٤١٨ والتحفة العسجدية ص١٤٢.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٦١ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص١١٩ وج٩ ص٣٠٦ وج١٦ ص١٤٨ و ١٥١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٤ ص١٢٩ والغارات ج٢ ص٤٣١ و ٧٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٩١ والبحار ج٢٩ ص٦٢١ وج٣٤ ص٢٣ و ٢٤ =

وقال «عليه السلام»: «اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم أضمروا لرسول الله ضروباً من الشر والغدر، ففجروا عنها وحلت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي، والدائرة علي»[1].

وفي نهج البلاغة وغيره قال «عليه السلام»: «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا: ألا في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تتركه».

= و ٢٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٤٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٥ ص٣٩٣ والمعيار والموازنة ص١٨٠ ونهج السعادة ج٥ ص٣٠٢ والدرجات الرفيعة ص١٥٦ والجمل للمفيد ص٦١ و ٩٢ وميزان الحكمة ج١ ص١٤٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٩ ص٤١٨ وج١١ ص٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ والتحفة العسجدية ص١٤٢.

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص٢٠٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج١ ص١٤٧ وج٤ ص٧٩ والإقتصاد للشيخ الطوسي ص٢١٠ والجمل للشيخ المفيد ص٩٢ والغارات ج١ ص٣٠٨ وج٢ ص٥٧٠ و ٧٦٧ والتعجب للكراجكي ص٦٩ والبحار ج٢٩ ص٦٠٧ و ٦٢٩ وج٣٠ ص١٥ وج٣٣ ص٥٦٩ والنص والإجتهاد ص٤٤٤ وكشف المحجة لثمرة المهجة للسيد ابن طاووس ص١٨٠ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٤٨ ومسألتان في النص على علي «عليه السلام» للشيخ المفيد ج٢ ص٢٨ والرسائل العشر للشيخ الطوسي ص١٢٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ وج٦ ص٩٦ وج٩ ص٣٠٥ وج١١ ص١٠٩ وج٢٠ ص٢٩٨ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٤١٦ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٧٩.

وزاد في نص آخر: «فاصبر كمداً، أو فمت متأسفاً حنقاً، وأيم الله لو استطاعوا أن يدفعوا قرابتي ـ كما قطعوا سنتي ـ لفعلوا، ولكن لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً»[١].

وفي خطبة له «عليه السلام»، يذكر فيها فتنة بني أمية، ثم ما يفعله المهدي «عليه السلام» بهم، يقول: «فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها، لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور، لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه، فلا يعطونيه»[٢].

وعنه «عليه السلام»: «حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب»[٣].

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص٢٢٧ الخطبة ٢١٧ والمسترشد في إمامة علي «عليه السلام» ص٨٠ و (ط مؤسسة الثقافة الإسلامية) ص٤١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ وج٦ ص٩٦ راجع: البحار ج٢٩ ص٤٩٧ ج٣٣ ص٥٦٩ و (ط الحجرية) ج٨ ص٧٣٠ و ٦٧٢ وبهجة المجالس ج١ ص٤٠٦ والصراط المستقيم ج١ ص٤١ ـ ٤٣ والغارات ج٢ ص٣٠٨ و ٥٧٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج١ ص١٤٨ و ٢٧٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٨٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٧ ص١٠١.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٨٤ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٢٥٨ والغارات ج٢ ص٦٧٧ والبحار ج٣٤ ص١١٧ و ٢٦٢ وج٤١ ص٣٤٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٧ ص٤٥.

(٣) الأغاني ج١٥ ص٤٥ ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص٧٠ والمهذب لابن البراج ج١ ص٣٢٤ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٩٠ والغارات ج٢ ص٤٧٧ =

وقال «عليه السلام»: «إني لأعلم ما في أنفسهم، إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر في صلاح شأنها، فتقول: إن وُلِّيَ الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً. وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش»[١].

وقال «عليه السلام»: «إن العرب كرهت أمر محمد «صلى الله عليه وآله»، وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه، حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مننه عندها، وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته.

ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرياسة، وسُلّماً إلى العز والإمرة، لما عَبَدَت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً[٢].

ثم فتح الله عليها الفتوح؛ فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب

= ومقاتل الطالبيين ص١٥ وشرح الأخبار ج٢ ص٧٥ والبحار ج٣٤ ص٦٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٥ ص٢٨٥ ونهج السعادة ج٢ ص٥٦٤ وج٥ ص٣١٧ والمعيار والموازنة ص٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٧٥ والأخبار الطوال للدينوري ص٢١٢ والعثمانية للجاحظ ص٩٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٤ ص٤٣ ج٧ ص١٢٢.

(١) راجع: قاموس الرجال ج٦ ص٣٨٤ و ٣٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٩٤ وج١٢ ص٢٦٦ ج٩ ص٥٧ و ٥٨ والبحار ج٣١ ص٤٠٣.

(٢) البازل من الإبل: الذي فطر نابه.

كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا.

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب..»[1].

وفي نص آخر عنه «عليه السلام» أنه قال: «فلما رق أمرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا»[2].

وعنه «عليه السلام»: «يا بني عبد المطلب، إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبي، كعداوتهم النبي في حياته، وإن يطع قومكم لا تؤمَّروا أبداً»[3].

وعنه صلوات الله وسلامه عليه: «ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخاء، لقد أخافتني قريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، (لقد خفت صغيراً وجاهدت

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٢٠ ص٢٩٨ و ٢٩٩ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للرحماني ص٧٢٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج١١ ص٢٤٤ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص٣٧.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد ص٣٢٤ والبحار ج٢٩ ص٥٨٢ ونهج السعادة ج١ ص٤٨٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٢٢ وج٣ ص٦٤ وشرح الأخبار ج٢ ص٢٦١ والأمالي للشيخ الطوسي ص٩ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٢٤٢ وكشف الغمة ج٢ ص٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٥٤ ونقل ذلك أيضاً عن مروج الذهب ج٣ ص١٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢١٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٠٨ والسقيفة وفدك للجوهري ص٨٨.

كبيراً) حتى قبض الله رسوله، فكانت الطامة الكبرى»[١].

وقال له رجل يوم صفين: «لم دفعكم قومكم عن هذا الأمر، وكنتم أعلم الناس بالكتاب والسنة»؟!.

فقال «عليه السلام»: «فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين»[٢].

وعنه «عليه السلام»: «ما لي ولقريش، ولقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين»[٣].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص١٠٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٧٢ والبحار ج٢٩ ص٦٢٦ وج٣٤ ص٣٣٩ وج٤١ ص٥ وراجع: الإرشاد ج١ ص٢٨٤ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٨٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج١ ص٣١٤.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص٨١ الخطبة رقم ٣٢ وراجع ج٢ ص٦٤ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٣٧٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٧٧ والبحار ج٢٩ ص٤٨٥ وج٣٨ ص١٥٩ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٥٦ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٤٨ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٢٤١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٧ ص٨٦ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٧٩ وج٣ ص٧٣٢ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٣٦٠.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص٨١ والإرشاد ج١ ص٢٤٨ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص١٨٥ و ١٨٧ والجمل لابن شدقم ص١١٢ والبحار ج٣٢ ص٧٦ وج٣٢ ص١١٤ ونهج السعادة ج١ ص٢٥٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٥ ص٣٦ و ١٤١ و ١٩٠ وج١١ ص٢٤٩.

كما أنه «عليه السلام» قد أجاب على رسالة من أخيه عقيل: «فإن قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل اليوم، وجهلوا حقي، وجحدوا فضلي، ونصبوا لي الحرب، وجدّوا في إطفاء نور الله، اللهم فاجزِ قريشاً عني بفعالها، فقد قطعت رحمي، وظاهرت علي..»[1].

وفي بعض المصادر ذكر (العرب) بدل قريش[2].

وأما بالنسبة لمعاوية الخليفة الأموي، فقد أخبر «عليه السلام»: أنه لو استطاع لم يترك من بني هاشم نافخ ضرمة[3].

---

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج١ ص٣٦٥ والإمامة والسياسة (بتحقيق الزيني) ج١ ص٥٤ و (بتحقيق الشيري) ج١ ص٧٥ وراجع: المعيار والموازنة ص١٨٠ وراجع: أنساب الأشراف للبلاذري (بتحقيق المحمودي) ص٧٥.

(٢) راجع: الغارات ج٢ ص٤٣١ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص١١٩ وراجع ج١٦ ص١٤٨ ـ ١٥٢ والأغاني ج١٥ ص٤٦ والدرجات الرفيعة ص١٥٦ والبحار ج٢٩ ص٦٢١ ج٣٤ ص٢٣ و (ط حجرية) ج٨ ص٦٢١ و ٦٧٣ وراجع أيضاً: نهج السعادة ج٥ ص٣٠٢ وراجع: جمهرة رسائل العرب ج١ ص٥٩٥. ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٤ ص١٢٩ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٨٠ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٥ ص٤٢ وج١١ ص٢٥٠ والعبارات في المصادر متفاوتة فليلاحظ ذلك.

(٣) تفسير العياشي ج٢ ص٨١ والبحار ج٢١ ص٣٤٩ وج٣٢ ص٥٩٢ و ٥٩٤ والغدير ج١٠ ص١٧٣ والفايق في غريب الحديث للزمخشري ج٢ ص٢٨٢ =

وبعد.. فإن الامام الحسن «عليه السلام» أيضاً قد ذكر في خطبة له: أن قريشاً هي المسؤولة عن موضوع إبعاد أهل البيت «عليهم السلام» عن الخلافة، فراجع[1].

بعض ما قاله المعتزلي هنا:

هذا.. وقد أكد المعتزلي هذه الحقيقة في مواضع من شرحه لنهج البلاغة. ونحن نذكر هنا فقرات من كلامه، ونحيل من أراد المزيد على ذلك الكتاب، فنقول:

قال المعتزلي: «إن قريشاً اجتمعت على حربه منذ بويع، بغضاً له

= وشرح النهج للمعتزلي ج٥ ص٢٢١ وج١٩ ص١٢٩ والدرجات الرفيعة ص١٩١ وكتاب الفتوح لابن أعثم ج٣ ص١٤٤ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص١٨١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٥ ص٣٠١ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٣ ص٨٦ و ١٢٨ وج٥ ص٩٠ و ١٤١ وغريب الحديث لابن قتيبة ج١ ص٣٦٧ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص١١٢ واللمعة البيضاء للتبريزي ص٣٤٠ ولسان العرب ج٣ ص٦٣وج٧ ص٤٢١ وج١٢ ص٣٥٥وج١٣ ص٢٦٧ ومجمع البحرين ج٤ ص٣٤٣ و ٣٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص١٢٠.

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٦ ص٢٤ و ٣٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٨٠ والبحار ج٤٤ ص٥٥ و ٦٤ وكتاب الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٨٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٢٢٨ وج٣٣ ص٥٢٦ وكشف الغمة ج٢ ص١٩٢ ومطالب السؤول في مناقب آل الرسول لابن طلحة الشافعي ص٣٥٦.

وحسداً، وحقداً عليه؛ فأصفقوا كلهم يداً واحدة على شقاقه وحربه، كما كانت في ابتداء الإسلام مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لم تخرم حاله من حاله أبداً»[1].

وقال: «إنه رأى من بغض الناس له، وانحرافهم عنه، وميلهم عليه، وثوران الأحقاد التي كانت في أنفسهم، واحتدام النيران التي كانت في قلوبهم، وتذكروا الترات التي وترهم فيما قبل بها، والدماء التي سفكها منهم، وأراقها.

إلى أن قال: وانحراف قوم آخرين عنه للحسد الذي كان عندهم له في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لشدة اختصاصه له، وتعظيمه إياه، وما قال فيه فأكثر من النصوص الدالة على رفعة شأنه، وعلو مكانه، وما اختص به من مصاهرته وأخوّته، ونحو ذلك من أحواله.

وتنكّر قوم آخرين له، لنسبتهم إليه العجب والتيه ـ كما زعموا ـ واحتقاره العرب، واستصغاره الناس، كما عددوه عليه، وإن كانوا عندنا كاذبين، ولكنه قول قيل، وأمر ذكر..»[2].

وقال: «فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها، حين بويع بالخلافة، بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخمس وعشرين سنة، وفي دون هذه المدة تُنسى الأحقاد، وتموت الترات، وتبرد الأكباد الحامية، وتسلو القلوب الواجدة، ويعدم قرن من الناس، ويوجد قرن، ولا يبقى من

---

(١) شرح النهج ج١٦ ص١٥١.

(٢) شرح النهج ج١١ ص١١٢ و ١١٣.

أرباب تلك الشحناء والبغضاء إلا الأقل».

«فكانت حاله بعد هذه المدة الطويلة مع قريش كأنها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمه «صلى الله عليه وآله» من إظهار ما في النفوس، وهيجان ما في القلوب، حتى إن الأخلاف من قريش، والأحداث والفتيان، الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم، فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله، وتقاعست من بلوغ شأوه»[1].

وقال: «اجتهدت قريش كلها، من مبدأ الأمر في إخمال ذكره، وستر فضائله، وتغطية خصائصه، حتى مُحي فضله ومرتبته من صدور الإسلام»[2].

وقال: «إن قريشاً كلها كانت تبغضه أشد البغض..

إلى أن قال: «ولست ألوم العرب، ولا سيما قريشاً في بغضها له، وانحرافها عنه، فإنه وترها، وسفك دماءها، وكشف القناع في منابذته. ونفوس العرب وأكبادها كما تعلم»![3].

وقال: «واتفق له من بغض قريش وانحرافها، ما لم يتفق لأحد»[4].

هذا وقد أشار إلى بغض قريش ومنابذتها له في مواضع عديدة أخرى من كتابه، فليراجعها من أراد[5].

---

(١) شرح النهج ج١١ ص١١٤.

(٢) شرح النهج ج١٨ ص١٨.

(٣) شرح النهج ج١٤ ص٢٩٩ وراجع: نثر الآبي ج١ ص٣٤٠.

(٤) شرح النهج ج٩ ص٢٨ و ٢٩.

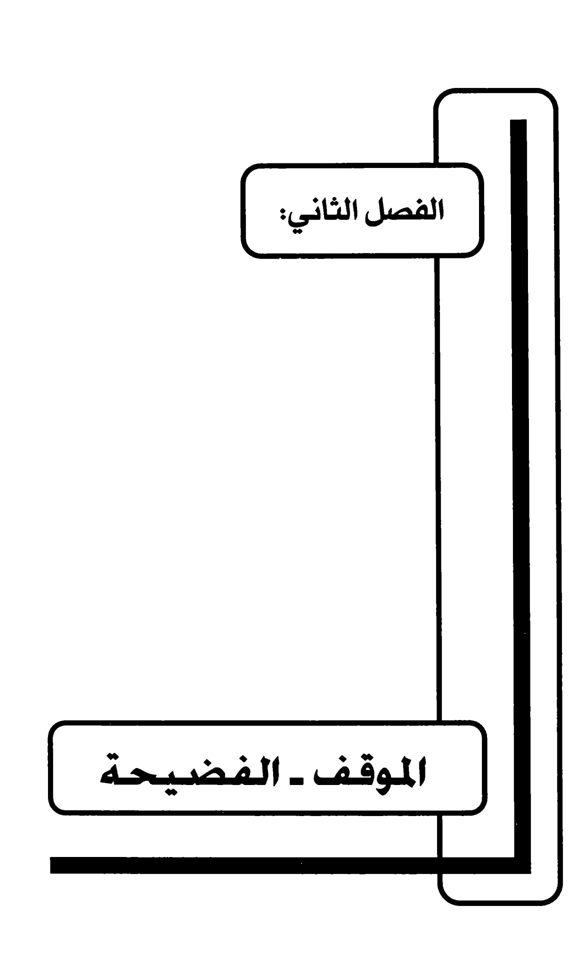
(٥) راجع شرح النهج ج٩ ص٢٨ و ٢٩ و ٥٢ وج٤ ص٧٤ ـ ١٠٤.

واستقصاء النصوص الدالة على هذا الأمر غير متيسر، بل هو متعذر، بسبب كثرته وتنوعه، وتفرقه في المصادر التي تعد بالمئات.

وبعد ما تقدم: فإن الوقت قد حان للوقوف على حقيقة موقف قريش، ومن تابعها، مما جرى في قضية «الغدير»، والظرف الذي كان يواجهه الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» مع هؤلاء، في هذه المناسبة بالذات، فإلى الفصل التالي.

الفصل الثاني:

الموقف ـ الفضيحة



الفصل الثاني:

المهمش و التشكيل

الصخب والغضب:

لقد ذكرت الروايات الصحيحة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد خطب الناس في حجة الوداع؛ في عرفة، فلما أراد أن يتحدث في أمر الإمامة وذكر حديث الثقلين[1]، ثم ذكر عدد الأئمة، وأنهم اثنا عشر، واجهته فئات من الناس بالضجيج والفوضى، إلى حد أنه لم يتمكن من إيصال كلامه إلى الناس.

وقد صرح بعدم التمكن من سماع كلامه كل من: أنس، وعبدالملك بن عمير، وعمر بن الخطاب، وأبي جحيفة، وجابر بن سمرة[2]، ولكن رواية

---

(١) راجع: حديث الثقلين للوشنوي ص١٣ وما ذكره من مصادر..

(٢) راجع: كشف الغطاء (ط.ق) ج١ ص٧ والسنة في الشريعة الإسلامية لمحمد تقي الحكيم ص٦٣ والأمالي للصدوق ص٣٨٧ و ٤٦٩ والخصال ص٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ وإكمال الدين ص٦٨ و ٢٧٢ و ٢٧٣ وكفاية الأثر ص٥١ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ وشرح أصول الكافي ج٢ ص٢٤٠ وج٥ ص٢٣٠ وج٧ ص٣٧٤ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والغيبة للطوسي ص١٢٨ و ١٢٩ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤ والعمدة لابن البطريق ص٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤٢٠ و ٤٢١ والطرائف لابن طاووس =

= ص١٧٠ والبحار ج٣٦ ص٢٣١ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٩٨ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٨١ و ٣٨٦ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٥ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص١٩٣ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٣٤٥ والمسلك في أصول الدين للمحقق الحلي ص٢٧٤ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ وإعلام الورى ج٢ ص١٥٩ و ١٦٢ وكشف الغمة ج١ ص٥٧ و ٥٨ ومسند أحمد ج٥ ص٨٧ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٨ ص١٢٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٦ ص٣ و ٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٣٠٩ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٤٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦١٧ و ٦١٨ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢٠١ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٩٠ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ وعمدة القاري ج٢٤ ص٢٨١ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٠٥ و ١٨٠ ومسند ابن الجعد ص٣٩٠ والآحاد والمثاني ج٣ ص١٢٦ و ١٢٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥١٨ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٣ و ٤٤ و ٤٦ والمعجم الأوسط ج٣ ص٢٠١ وج٦ ص٢٠٩ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢١٤ و ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٣٢ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ والمعجم الكبير ج٢٢ ص١٢٠ والرواة عن سعيد بن منصور لأبي نعيم الأصبهاني ص٤٤ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٩٥ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٨٦ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٢ ص٩٠ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وج١٤ ص٣٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص١٩١ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص١٨٤ وج١٤ ص٤٤٤ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٧٦ والبداية والنهاية ج١ ص١٧٧ وج٦ ص٢٧٨ و ٢٧٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٢ ص٣٠٢ و ٣٠٣ وينابيع المودة ج٣ ص٢٨٩.

هذا الأخير، كانت أكثر صراحة ووضوحاً.

ويبدو أنه قد حدّث بما جرى مرات عديدة، فرويت عنه بأكثر من طريق. وحيث إننا لسنا بصدد التتبع والإستقصاء، فإننا نختار بعض نصوصها ـ ولا سيما ما ورد منها في الصحاح والكتب المعتبرة، فنقول:

١ ـ في مسند أحمد؛ حدّثنا عبد الله، حدثني أبو الربيع الزهراني، سليمان بن داود، وعبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن أبي بكر المقدمي، قالوا: حدثنا حماد بن زيد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات ـ وقال المقدمي في حديثه: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخطب بمنى.

وهذا لفظ حديث أبي الربيع: فسمعته يقول:

«لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً، حتى يملك اثنا عشر كلهم ـ ثم لغط القوم، وتكلموا ـ فلم أفهم قوله بعد (كلّهم)؛ فقلت لأبي: يا أبتاه، ما بعد كلّهم؟.

قال: «كلّهم من قريش»[1].

وحسب نص النعماني: «وتكلم الناس، فلم أفهم، فقلت لأبي..»[2].

٢ ـ عن الشعبي، عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً، يُنصرون على من ناواهم عليه إلى اثني عشر خليفة.

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٩.

(٢) الغيبة للنعماني ص١٢١ و ١٢٢.

قال: «فجعل الناس يقومون ويقعدون»[١].

زاد الطوسي: «وتكلم بكلمة لم أفهمها، فقلت لأبي، أو لأخي:..»[٢].

وفي حديث آخر عن جابر بن سمرة صرّح فيه: «أن ذلك قد كان في حجة الوداع»[٣].

ومن المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يحج إلا هذه الحجَّة..[٤].

٣ ـ عن جابر بن سمرة، قال: «خطبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعرفات؛ فقال: لا يزال هذا الأمر عزيزاً منيعاً، ظاهراً على من ناواه حتى يملك اثنا عشر، كلهم ـ قال: فلم أفهم ما بعد ـ قال: فقلت لأبي: ما قال

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ الغيبة للنعماني ص١٠٥ والغيبة للطوسي ص١٢٩ وإعلام الورى ص٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٦٢ والبحار ج٣٦ ص٢٣٧ و ٢٩٩ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ ومنتخب الأثر ص٢٠.

(٢) الغيبة للطوسي ص٨٨ و ٨٩ و (مؤسسة المعارف الإسلامية) ص١٢٩ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٥ وإعلام الورى ص٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٦٢ والبحار ج٣٦ ص٢٣٧ و ٢٩٩ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ ومنتخب الأثر ص٢٠.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٨٧.

(٤) راجع: السيرة الحلبية (مطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص٢٨٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية أيضاً) ج٣ ص٢. وراجع: صحيح ابن خزيمة ج٤ ص٣٥٢ ومسند زيد بن علي ص٢٢٠ وعمدة القاري ج٤ ص٢٧١ وج١٨ ص٤١ وج٢٥ ص٦٢ وشرح مسلم للنووي ج٨ ص٢٣٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٣٣١ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٤٢.

بعد كلّهم؟

قال: «كلّهم من قريش»[١].

وعن أبي داود وغيره: ـ وإن لم يصرّح بأن ذلك كان في عرفات ـ زاد قوله: كلّهم تجتمع عليه الأمة، فسمعت كلاماً من النبي «صلى الله عليه وآله» لم أفهمه، فقلت لأبي..»[٢].

وفي لفظ آخر: «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق»[٣].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٣ وفي ص٩٦ في موضعين وص٩٨ و ١٠١، وكتاب الغيبة للنعماني ص١٢٣ والإكمال في أسماء الرجال ص٣٤ و ١٨٣.

(٢) سنن أبي داود السجستاني ج٤ ص١٠٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٩ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٤٠٠ وتاريخ الخلفاء ص١٠ و ١١ وراجع: فتح الباري ج١٣ ص١٨١ وكرر عبارة «كلهم تجتمع عليه الأمة» في ص١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ وذكرها أيضاً في الصواعق المحرقة ص١٨ وفي إرشاد الساري ج١٠ ص٢٧٣ وينابيع المودة ص٤٤٤ و(ط دار الأسوة) ج٣ ص٢٨٩ وراجع: الغيبة للطوسي ص٨٨ و الغيبة للنعماني ص١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ والبحار ج٣٦ ص٣٦٥ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١٨ وج١٩ ص٦٢٩.

(٣) الخصال ج٢ ص٤٧٤ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٤٧٤ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق ج٢ ص٥٥ والبحار٣٦ ص٢٤٠ عنه وعن عيون أخبار الرضا «عليه السلام» وفتح الباري ج١٣ ص١٨٤ وعمدة القاري ج٢٤ ص٢٨٢ وتاريخ بغداد ج٤ ص٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص١٨٩ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٨٠ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٣٠٦ وشرح إحقاق الحق ج١٣ ص٤٧ وج١٩ ص٦٢٩.

وفي بعض الروايات: ثم أخفى صوته، فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟

قال: قال: «كلهم من بني هاشم»[1].

٤ ـ وذكر في نص آخر: أن ذلك كان في حجة الوداع، وقال:

ثم خفي عليّ قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان أبي أقرب إلى راحلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مني؛ فقلت: يا أبتاه، ما الذي خفي عليّ من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» ؟!

قال: يقول «كلهم من قريش».

قال: فأشهد على إفهام أبي إيّاي: قال: «كلهم من قريش»[2].

٥ ـ وبعد أن ذكرت رواية أخرى عنه حديث أن الأئمة اثنا عشر قال: ثم تكلم بكلمة لم أفهمها، وضج الناس؛ فقلت لأبي: ما قال؟[3].

٦ ـ ولفظ مسلم عن جابر بن سمرة، قال: انطلقت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعي أبي؛ فسمعته يقول: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة؛ فقال كلمة صمّنيها الناس.

فقلت لأبي: ما قال؟

---

(١) ينابيع المودة ص٤٤٥ و (ط دار الأسوة) ج٢ ص٣١٥ وج٣ ص٢٩٠ عن كتاب: مودة القربى للسيد علي الهمداني (المودة العاشرة) وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٠ عن مودة القربى (ط لاهور) ص٤٤٥.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٢.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٩٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٥.

قال: «كلهم من قريش»[1].

وعند أحمد وغيره: فقلت لأبي ـ أو لابني ـ: ما الكلمة التي أصمّنيها الناس؟!.

قال: «كلهم من قريش»[2].

٧ ـ وعن جابر بن سمرة قال: كنت عند النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يلي هذا الأمر اثنا عشر، فصرخ الناس؛ فلم أسمع ما قال، فقلت لأبي ـ وكان أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مني ـ فقلت: ما قال رسول الله؟

فقال: قال: «كلّهم من قريش، وكلهم لا يُرى مثله»[3].

٨ ـ ولفظ أبي داود: فكبر الناس، وضجوا، ثم قال كلمة خفية..[4].

---

(١) صحيح مسلم ج٦ ص٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١ عنه، والعمدة لابن البطريق ص٤٢١ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٤١٨ الإكمال في أسماء الرجال ص٣٤.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص١٠١ والخصال ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٩ والبحار ج٣٦ ص٢٣٥ وراجع: النهاية في اللغة ج٣ ص٥٤ ولسان العرب ج١٢ ص٣٤٣ ونقل عن كتاب: القرب في محبة العرب ص١٢٩.

(٣) إكمال الدين ج١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٦٨ و ٢٧٣ والخصال ج٢ ص٤٧٣ وراجع: البحار ج٣٦ ص٢٣٩.

(٤) سنن أبي داود ج٤ ص١٠٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٩ ومسند أحمد ج٥ ص٩٨ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٩٥ وإرشاد الساري ج١٠ ص٢٣٧ والبحار ج٣٦ ص٣٦٥ تاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٩ ص٩٤.

ولفظ أبي عوانة: فضج الناس.

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» كلمة خفيت عليّ..»[1].

وعلى كل حال.. فإن حديث الاثني عشر خليفة بعده «صلى الله عليه وآله»، والذي قال فيه «صلى الله عليه وآله» كلمة لم يسمعها جابر، وغيره ـ ممن كان حاضراً، وروى الحديث.. أو لم يفهمها، أو خفض بها صوته، أو خفيت عليه، أو نحو ذلك ـ إن هذا الحديث ـ مذكور في كثير من المصادر والمراجع، فليراجعها طالبها[2].

---

(١) مسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤ والخصال ج٢ ص٤٧١ والبحار ج٣٦ ص٢٣٦ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦١٧ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٢٩ و ٤١.

(٢) راجع المصادر التالية: صحيح مسلم ج٦ ص٣ بعدة طرق، ومسند أحمد ج٥ ص٩٣ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٨٩ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤ وحلية الأولياء ج٤ ص٣٣٣ وإعلام الورى ص٣٨٢ والعمدة لابن البطريق ص٤١٦ ـ ٤٢٢ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ و ٢٧٣ والخصال ج٢ ص٤٦٩ و ٤٧٥ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ ـ ١٨٥ والغيبة للنعماني ص١١٩ ـ ١٢٥ وصحيح البخاري ج٤ ص١٥٩ وينابيع المودة ص٤٤٤ ـ ٤٤٦ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٦ وج١٤ ص٣٥٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص ٦١٨ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) نفس الصفحة، ومنتخب الأثر ص١٠ ـ ٢٣ عن مصادر كثيرة، والجامع الصحيح ج٤ ص٥٠١ وسنن أبي داود ج٤ ص١١٦ وكفاية الأثر ص٤٩ إلى آخر الكتاب، والبحار ج٣٦ ص٢٣١ إلى آخر الفصل، وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١ ـ ٥٠ عن مصادر كثيرة..

الرسول ﷺ والمتآمرون:

قد عرفنا فيما تقدم: أن قريشاً قد صدت النبي «صلى الله عليه وآله» عن إبلاغ أمر الإمامة في عرفات وفي منى في مسجد الخيف..

وتقدم في فصول أخرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بمجرد انتهائه من المناسك، بادر إلى ترك مكة من دون أن يذهب إلى البيت، ولو لإلقاء نظرة الوداع عليه من قرب..

وقد تأكد لنا مما أسلفناه: أن تأخيره «صلى الله عليه وآله» إبلاغ ما أنزل إليه في شأن الإمامة والولاية، قد كان بسبب المعارضة الكبيرة التي يجدها لدى قريش، التي كانت لا تتورع عن مواجهة النبي «صلى الله عليه وآله» ليس فقط بالضجيج والصخب، وإنما باتهام شخصه «صلى الله عليه وآله»، والطعن والتشكيك في نزاهته، وفي خلوص عمله ونيته. بل سيأتي أنها قد اتهمته حتى في عقله بعد إظهارها الإسلام، كما اتهمته بالجنون قبل ذلك، وهذا هو ما عبرت عنه كلمة عمر الشهيرة: إن النبي ليهجر. أو غلبه الوجع. أو كلمة معناها ذلك.

وقد صرحت طائفة من النصوص المتقدمة: بأن قريشاً كانت هي التي تتصدى وتتحدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإليك نموذجاً آخر من تصريحات الرسول «صلى الله عليه وآله»، مع التذكير بأن الله تعالى لم يكن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يبلغ أمر الولاية على كل حال، بل وفقاً لظروف ومقتضيات النجاح. أي أنه أمره بإبلاغ منتج، لا بإبلاغ عقيم.

وكان «صلى الله عليه وآله» يحتاج إلى ما يطمئنه إلى جذوى تبليغ أمر الإمامة، وعدم إثارة قريش للشبهات التي تضيع جهده «صلى الله عليه

وآله»، ولو باتهامه «صلى الله عليه وآله» في عقله، أو في عصمته..

فحين جاءته العصمة بادر إلى ما أمره الله تعالى به.

أمثلة وشواهد:

فمن الشواهد التي تدل على أن المطلوب هو إسكات قومه وخصوصاً عشيرته، وأن يكون تبليغ أمر الإمامة مجدياً، في إقامة الحجة، نذكر ما يلي:

١ ـ قال الطبرسي: «قد اشتهرت الروايات عن أبي جعفر، وأبي عبد الله «عليهما السلام»: أن الله أوحى إلى نبيه «صلى الله عليه وآله»: أن يستخلف علياً «عليه السلام»؛ فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه؛ فأنزل الله هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه..»[1].

والمراد بـ «هذه الآية» قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..**﴾[2].

٢ ـ عنه «صلى الله عليه وآله»: أنه لما أُمر بإبلاغ أمر الإمامة قال: «إن قومي قريبو عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليّهم، وإني أخاف، فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ..**﴾»[3].

---

(١) مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٨٣ وسعد السعود للسيد ابن طاووس ص٦٩ والبحار ج٣٧ ص٢٥٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٥٣ والتبيان ج٣ ص٥٨٨ ومجمع البحرين ج١ ص٢٤٢.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) شواهد التنزيل ج١ ص١٩١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٦١ وشرح إحقاق الحق ج١٤ ص٣٩ =

٣ ـ عن ابن عباس إنّه «صلى الله عليه وآله» قال في غدير خم: «إن الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتهموني، وتكذبوني، حتى عاتبني ربي بوعيد أنزله علي بعد وعيد..»[1].

٤ ـ عن الحسن قال في غدير خم أيضاً: «إن الله بعثني برسالة؛ فضقت بها ذرعاً، وعرفت: أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغنّ أوليعذبني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..﴾»[2].

= وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٧ وقال في هامشه: راجع البرهان ج٢ ص١٤٦ وكنز الدقائق ج٣ ص١٣٧ و ١٤٠ و ١٥٨ ومجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ و ج٣ ص٢٥٩ و ٢٦٠ ونور الثقلين ج٢ وراجع إثبات الهداة ج١.

(١) شواهد التنزيل ج١ ص١٩٣ و (مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ ايران) ج١ ص٢٥٨ والأمالي للصدوق ص٤٣٦ والتحصين لابن طاووس ص٦٣٣ والبحار ج٣٧ ص١١١ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦٥٤ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج١ ص١٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٣٤.

(٢) شواهد التنزيل ج١ ص١٩٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ عن ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ وراجع: إكمال الدين ص٢٧٦ والإحتجاج ج١ ص٢١٣ وفتح القدير ج٢ ص٦٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٥١ والتحصين لابن طاووس ص٦٣٣ والبحار ج٣٣ ص١٤٧ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٢٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٥٥ و ٢٧٠ ولباب النقول (دار إحياء العلوم) للسيوطي ص٩٤ و (دار الكتب العلمية) ص٨٢ والغدير ج١ ص١٦٥ و ١٩٦ و ٢٢١ ومسند ابن =

٥ ـ عن ابن عباس، وجابر الأنصاري، قالا: أمر الله تعالى محمداً «صلى الله عليه وآله»: أن ينصب علياً للناس، فيخبرهم بولايته، فتخوف النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقولوا: حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك فأوحى الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..﴾»[1].

٦ ـ عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل بخم، فتنحى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب؛ فشقّ على النبي تأخر الناس؛ فأمر علياً فجمعهم؛ فلمّا اجتمعوا قام فيهم، متوسداً (يد) علي بن أبي طالب، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إنه قد كرهت تخلفكم عني حتى خُيّل إلي: أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني..»[2].

= راهويه ج١ ص٤٠٢ ومسند الشاميين ج٣ ص٣١٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٤١٣ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨.

(١) الدر المنثور ج٢ ص١٩٣ وص٢٩٨ عن أبي الشيخ، وراجع: البرهان ج٢ ص١٤٦ وكنز الدقائق ج٣ ص١٣٧ و ١٤٠ و ١٥٨ ومجمع البيان ج٣ ص٣٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٣٨٢ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٧ وروح المعاني ج٢ ص٣٤٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٥٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٢٧ ومجمع البيان ج٣ ص٣٨٢ والغدير ج١ ص٢١٩ و ٢٢٣ و ٣٧٧ والبحار ج٣٧ ص٢٥٠ وإثبات الهداة، ونور الثقلين ج٢ ص والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ وج٣ ص٢٥٩ و ٢٦٠.

(٢) راجع: مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣ وتفسير العياشي ج١ ص٣٣١ وتفسير البرهان ج١ ص٤٨٩ وشواهد التنزيل ج١ ص١٩٢ وإقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ج٢ ص٢٤٨ والغدير ج١ ص٢٢ و ٢١٩ و ٢٢٣ و ٣٧٧ عن المجمع، وعن روح المعاني ج٢ ص٣٤٨ وعن الثعلبي في تفسيره، وعن ابن المغازلي كما في =

٧ـ ويقول نص آخر: إنه لما أمر «صلى الله عليه وآله» بنصب علي «عليه السلام»: «خشي رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قومه، وأهل النفاق، والشقاق: أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية، لِما عرف من عداوتهم، ولِما تنطوي عليه أنفسهم لعلي «عليه السلام» من العدواة والبغضاء، وسأل جبرائيل أن يسأل ربّه العصمة من الناس».

ثم تذكر الرواية:

«أنه انتظر ذلك حتى بلغ مسجد الخيف. فجاءه جبرئيل، فأمره بذلك مرة أخرى، ولم يأته بالعصمة، ثم جاء مرة أخرى في كراع الغميم ـ موضع بين مكة والمدينة ـ وأمره بذلك، ولكنه لم يأته بالعصمة. ثم لما بلغ غدير خم جاءه بالعصمة».

فخطب «صلى الله عليه وآله» الناس، فأخبرهم: «أن جبرئيل هبط إليه ثلاث مرات يأمره عن الله تعالى، بنصب علي «عليه السلام» إماماً ووليّاً للناس»..

إلى أن قال:

«**وسألت جبرائيل:** أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم ـ أيها الناس ـ لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وختل المستهزئين

= ضياء العالمين، وراجع: البحار ج٣٧ ص١٣٣ والطرائف ص١٤٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٥ و ٢٣١ وج٩ ص١٦٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٨٩ وج٦ ص٢٥٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٣.

بالإسلام، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[1]، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ الله عَظِيمٌ﴾[2]، وكثرة أذاهم لي في غير مرّة، حتى سمّوني أُذناً، وزعموا: أنّي كذلك لكثرة ملازمته إيّاي، وإقبالي عليه، حتى أنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾[3].

إلى أن قال:

ولو شئت أن أسميهم بأسمائهم لسميت، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت، وأن أدل عليهم لفعلت. ولكني والله في أمورهم تكرّمت»[4].

٨ ـ عن مجاهد، قال: «لما نزلت: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..﴾. قال: «يا رب، إنما أنا واحد كيف أصنع، يجتمع عليّ الناس؟ فنزلت ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾»[5].

---

(١) الآية ١١ من سورة الفتح.

(٢) الآية ١٥ من سورة النور.

(٣) الآية ٦١ من سورة التوبة.

(٤) راجع: مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ والإحتجاج ج١ ص٧٣ واليقين ص٣٤٩ والبحار ج٣٧ ص٢٠٦ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٣٦ والغدير ج١ ص٢٢ عنه وعن الثعلبي في تفسيره، كما في ضياء العالمين. وراجع: موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٥٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٥٨

(٥) الإحتجاج ج١ ص٦٩ و ٧٠ و ٧٣ و ٧٤ وراجع: روضة الواعظين ص٩٠ و ٩٢ والبرهان ج١ ص٤٣٧ ـ ٤٣٨ والغدير ج١ ص٢٢١ وفتح القدير ج٢ =

٩ ـ قال ابن رستم الطبري: «فلما قضى حجّه، وصار بغدير خم، وذلك يوم الثامن عشر من ذي الحجة، أمره الله عز وجل بإظهار أمر علي؛ فكأنه أمسك لما عرف من كراهة الناس لذلك، إشفاقاً على الدين، وخوفاً من ارتداد القوم؛ فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ..﴾»[1].

١٠ ـ وفي حديث مناشدة علي «عليه السلام» للناس بحديث الغدير، أيّام عثمان، شهد ابن أرقم، والبراء بن عازب، وأبو ذر، والمقداد، أن النبي «صلى الله عليه وآله» وسلم قال، وهو قائم على المنبر، وعلي «عليه السلام» إلى جنبه:

«أيها النلس، إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم، والقائم فيكم بعدي، ووصيي، وخليفتي، والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرب[2] بطاعته طاعتي، وأمركم بولايته، وإني راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق، وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغها، أو ليعذبني»[3].

= ص٦٠ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ عن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. وراجع: مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٣٠.

(١) المسترشد في إمامة علي «عليه السلام» (ط مؤسسة الثقافة الإسلامية) ص٤٦٥.

(٢) لعل الصحيح: فقَرَنَ.

(٣) الإحتجاج ج١ ص٢١٤ وإكمال الدين للصدوق ص٢٧٧ والغدير ج١ ص١٦٦ والتحصين للسيد ابن طاووس ص٦٣٤ والبحار ج٣١ ص٤١٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤٢ ومصباح الهداية في إثبات الولاية للسيد علي البهبهاني ص٣٥٤ والمناشدة والإحتجاج بحديث الغدير للشيخ الأميني ص١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٧٩ وج٥ ص٣٦ وج١٣ ص٥٢.

وعند سليم بن قيس:

«إن الله عز وجل أرسلني برسالة ضاق بها صدري، وظننت الناس تكذبني، فأوعدني..»[1].

١١ ـ وعن ابن عباس: لما أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقوم بعلي بن أبي طالب المقام الذي قام به؛ فانطلق النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، فقال:

«رأيت الناس حديثي عهد بكفر (بجاهلية) ومتى أفعل هذا به، يقولوا، صنع هذا بابن عمّه. ثم مضى حتى قضى حجة الوداع»[2].

وعن زيد بن علي، قال: لما جاء جبرائيل بأمر الولاية ضاق النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك ذرعاً، وقال: «قومي حديثو عهد بجاهليّة، فنزلت

---

(١) فرائد السمطين ج١ ص٣١٥ و ٣١٦ والغدير ج١ ص١٦٥ ـ ١٦٦ و ١٩٦ و ٣٧٧ عنه، وإكمال الدين ج١ ص٢٧٧ وراجع البرهان ج١ ص٤٤٥ و ٤٤٤ والبحار ج٣١ ص٤١١ وج٣٣ ص١٤٧ وكتاب الولاية لابن عقدة الكوفي ص١٩٨ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٣٤٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٢٨ وسليم بن قيس ص١٤٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص١٩٩ والإحتجاج ج١ ص٢١٣ وكتاب الغيبة للنعماني ص٧٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٥ وج٢٠ ص٩٦ و ٣٦١ وج٢١ ص٧٨ وج٢٢ ص٢٨٥ وثمة بعض الإختلاف في التعبير.

(٢) كتاب سليم بن قيس ص١٤٨ والبرهان ج١ ص٤٤٤ و ٤٤٥ والغدير ج١ ص٥٢ و ٣٧٧ عن سليم بن قيس، وراجع ص٢١٧ عن ابن مردويه. وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٨ وج٨ ص٢٦٢.

الآية»[1].

١٢ ـ وروي: أنه «صلى الله عليه وآله» لما انتهى إلى غدير خم: «نزل عليه جبرائيل، وأمره أن يقيم علياً، وينصبه إماماً للناس.

فقال: إن أمتي حديثو عهد بالجاهلية.

فنزل عليه: إنها عزيمة لا رخصة فيها، ونزلت الآية: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ..﴾»[2].

١٣ ـ وجاء في رواية عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أنه حين نزلت آية إكمال الدين بولاية علي «عليه السلام»:

«**قال عند ذلك رسول الله:** إن أمتي حديثو عهد بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي، يقول قائل، ويقول قائل. فقلت في نفسي من غير أن ينطلق لساني، فأتتني عزيمة من الله بتلةً أوعدني: إن لم أبلغِّ أن يعذبني.

---

(١) الغدير ج١ ص٥١ ـ ٥٢ و ٢١٧ و ٣٧٨ عن كنز العمال ج٦ ص١٥٣ عن المحاملي في أماليه، وعن شمس الأخبار ص٣٨ عن أمالي المرشد بالله، وراجع: كشف الغمة ج١ ص٣١٨ والبحار ج٣٧ ص١٧٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٦٩ و ٣٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤٩ والغدير ج١ ص٢١٧ و ٣٧٨ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» وما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لابن مردويه ص٢٤٠ وكشف الغمة ج١ ص٣٢٤ و ٣٢٥.

(٢) إعلام الورى ص١٣٢ و (نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث) ج١ ص٢٦١.

فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾»[1].

وفي بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما أخر نصبه «عليه السلام» فَرَقاً من الناس، أو لمكان الناس[2].

ولما انتهى النبي «صلى الله عليه وآله» من نصب علي «عليه السلام» لقي عمر علياً فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[3].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ج١ ص٤٨٨ والكافي ج١ ص٢٩٠ والتفسير الأصفى ج١ ص٢٨٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٨٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٥٢ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٨٧.

(٢) تفسير العياشي ج١ ص٣٣٢ والبرهان (تفسير) ج١ ص٤٨٩ والبحار ج٣٧ ص١٣٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٦٢ وتفسير الميزان ج٦ ص٥٣ وغاية المرام ج٣ ص٣٢٥.

(٣) مسند أحمد ج٤ ص٢٨١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٠٣ وكنز العمال ج١٣ ص١٣٤ والتفسير الكبير للرازي (ط الثالثة) ج١٢ ص٢ و ٤٩ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٩ وج٧ ص٣٨٦ والمناقب للخوارزمي ص١٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٧ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج١ ص٨٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٣ و ١١٦ و ١٢٠ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٦٤ و ٦٥ وبشارة المصطفى ص٢٨٤ وذخائر العقبى للطبري ص٦٧ ونظم درر السمطين =

= للزرندي الحنفي ص١٠٩ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٩٨ و ١٠١ و ١٥٨ وج٢ ص٢٨٥ ومودة القربى (المودة الخامسة)، وبناء المقالة الفاطمية لابن طاووس ص٢٩٤ و ٢٩٧ وتفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج٦ ص١٧٠ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٩٠ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٣٦ و ٢٣٧ والعمدة لابن البطريق ص٩٢ و ٩٦ و ١٠٠ والمراجعات ص٢٦٣ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٦وج٦ ص١٢٠ والعدد القوية للحلي ص١٨٥ والطرائف ص١٤٦ و ١٥٠ والبحار ج٣٧ ص١٤٩ و ١٥٩ و ١٧٩ و ١٩٨ و ٢٤٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٤ و ١٤٨ والإكمال في أسماء الرَجال ص٢٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٣٠٥ وج٧ ص٢٩ و ٥٤ و ٦١ و ٦٩ و ٨٦ و ٩٢ و ١١٥ و ١١٩ و ١٢٢ و ١٢٤ و ١٢٧ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٦٧ و ١٧٠ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٩٢ و ١٩٦ و ٢٠٨ و ٢١٨ و ٢٥٣ و ٢٨٥ و ٢٩٥ و ٣٠١ و ٣٢١ و ٣٢٦ وج٨ ص٢١٨ و ٢٣٤ و ٢٤١ و ٢٤٧ و ٢٥٩ و ٢٧٢ وج٩ ص٩٣ والغدير ج١ ص١٩ و ١٤٣ و ١٤٤ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٣٠٦ و ٣٥٥ وج٢ ص٣٧ وج٦ ص٥٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٦ و ١١٨ و ١٢٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٦٤ و ٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٩٠ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٦ وج١٤ ص٣٤ و ٥٦١ و ٥٦٩ و ٥٨٣ وج٢٠ ص١٧٣ و ١٧٤ و ٣٥٨ و ٦٠٣ وج٢١ ص٣١ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٦٦ و ٨٦ و ٨٨ وج٢٢ ص١١٣ و ١١٥ و ١٢١ وج٢٣ ص٤ و ٩ و ٣٢٥ و ٥٥٤ و ٦٣٥ و ٦٣٧ وج٣٠ ص٢٣ و ٤١٨ و ٤١٩ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٣٦٨ و ٣٧٠.

أو قال له: بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[1].

---

(١) ما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لأبي نعيم ص٨٦ وثمار القلوب للثعالبي ص٦٣٦ وراجع: تاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٨٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٣٣ و ٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج١٩ ص٣٢٨ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٨٦ والمناقب للخوارزمي ص١٥٦ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٣٠ و ٥١٦ وينابيع المودة ج٢ ص٢٤٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٨ و ٣٣٥ وكشف اليقين ص٢٠٨ و ٢٥٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٢٧ والإرشاد ج١ ص١٧٧ وكنز الفوائد ص٢٣٢ والعمدة لابن البطريق ص١٠٦ و ١٧٠ و ١٩٥ و ٣٤٤ والطرائف ص١٤٧ والمحتضر للحلي ص١١٤ وبشارة المصطفى ص١٥٨ و ٤٠٢ وإعلام الورى ج١ ص٢٦٢ و ٣٢٩ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٦٤ والبحار ج٢١ ص٣٨٨ وج٣٧ ص١٠٨ و ١٤٢ و ٢٥١ وج٣٨ ص٣٤٤ وج٩٤ ص١١٠ وج٩٥ ص٣٢١ ومسار الشيعة للمفيد ص٣٩ والأمالي للصدوق ص٥٠ والمحتضر للحلي ص١١٤ ورسائل المرتضى للشريف المرتضى ج٤ ص١٣١ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص ٣٥٦ وروضة الواعظين للنيسابوري ص٣٥٠ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٦ وج٦ ص١٢٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٤ و ٢٤٦ و ٢٧٧ و ٣٤٤ و ٣٥٤ وج٨ ص٢٦١ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٣٠٢ و ٣٠٣ وج٩ ص١٨٦ والغدير ج١ ص١١ و ٢٢٢ و ٢٣٣ و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٩٢ و ٤٠٢ والمعيار والموازنة ص٢١٢ وتفسير الإمام العسكري «عليه السلام» ص١١٢ وتفسير فرات الكوفي ص٥١٦ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٩٧ و ١٥٣ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص١١٤ وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٢٠٣ وج٢ ص٣٩١.

ممن الخوف يا ترى؟!:

وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» خاف أن يتهموه، ويكذبوه، وأن يقولوا: حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك، وخشي أهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا، وأن يرجعوا جاهلية، وأنه أمسك إشفاقاً على الدين، وخوفاً من ارتداد القوم.

وعن الحسن: «ضاق بها ذرعاً، وكان يهاب قريشاً. فأزال الله بهذه الآية تلك الهيبة»[1].

يريد: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» ضاق ذرعاً وخاف قريشاً بالنسبة لبلاغ أمر الإمامة، فأزال الله خوفه بآية: ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾.

المتآمرون:

هذا غيض من فيض مما يدل على سبب خوف النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلى دور المتآمرين من قريش، ومن يدور في فلكها في صرف الأمر عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وتصميمهم على ذلك، لأسباب أشير إلى بعضها في ما نقلناه سابقاً من كلمات ونصوص.

وفي مقدمة هذه الأسباب حرص قريش على الوصول إلى السلطة، وحقدها على أمير المؤمنين «عليه السلام» لما قد وترها في سبيل الله والدين.

وكل ما تقدم يوضح لنا السر فيما صدر من هؤلاء الحاقدين من صخب وضجيج، حينما أراد الرسول «صلى الله عليه وآله» في منى

---

(١) مجمع البيان ج٣ ص٢٢٣.

وعرفات: أن يبلغ الناس أمر الإمامة، ودورها، وأهميتها، وعدد الأئمة، وأنهم اثنا عشر إماماً، وغير ذلك.

فإنهم تخوفوا من أن يكون قد أراد تنصيب علي «عليه السلام» إماماً للناس بعده. فكان التصدي منهم. الذي انتهى بالتهديد الإلهي. فاضطر المتآمرون إلى السكوت في الظاهر على مضض، ولكنهم ظلوا في الباطن يمكرون، ويتآمرون، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

فإلى توضيح ذلك فيما يلي من صفحات، وما تحويه من مطالب.

ظهور الأحقاد والمصارحة المرة:

وقد تقدمت كلمات أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام» التي صرح فيها بأن العرب كرهت أمر محمد «صلى الله عليه وآله»، وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه، حتى قذفت زوجته، ونفرت به ناقته.

ولولا أن قريشاً جعلت اسمه ذريعة للرياسة، وسلماً إلى العز والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً.

وعلى هذا، فإن من الطبيعي جداً: بعد أن جرى ما جرى منهم معه «صلى الله عليه وآله» في منى وعرفات وبعد أن تأكد لديهم إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على جعل الأمر في أهل بيته، ولعلي «عليه السلام» على وجه الخصوص، أن يظهر الحقد والبغض على وجوههم، وفي حركاتهم وتصرفاتهم، وعلى مجمل مواقفهم. وصاروا يعاملون رسول الله «صلى الله

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

عليه وآله» معاملة غريبة، وبصورة بعيدة حتى عن روح المجاملة الظاهرية.

وقد واجههم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الحقيقة، وصارحهم بها، في تلك اللحظات بالذات. ويتضح ذلك من النص المتقدم في الفصل السابق والذي يقول:

عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل بخم فتنحى الناس عنه، ونزل معه علي بن أبي طالب، فشق على النبي تأخر الناس، فأمر علياً، فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسداً (يد) علي بن أبي طالب، فحمد الله، وأثنى عليه.. ثم قال:

«أيها الناس، إنه قد كَرِهْتُ تخلفكم عني، حتى خُيِّلَ إلي: أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني»[1].

وروى ابن حبان بسند صحيح على شرط البخاري ـ كما رواه آخرون بأسانيد بعضها صحيح أيضاً:

أنه حين رجوع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مكة، حتى إذا بلغ الكديد أو (قدير)، جعل ناس من أصحابه يستأذنون، فجعل «صلى الله

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٦ و ٢٢٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٥ والعمدة لابن البطريق ص١٠٧ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٤٨ والطرائف ص١٤٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٧ والبحار ج٣٧ ص١٣٤ وشرح إحقاق الحق ج٥ ص٨٩ وج٦ ص٢٥٣ وج٣٠ ص٤٠٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٨ و ٢٣١ ج٩ ص١٦٩ والغدير ج١ ص٢٢ عنه، وعن الثعلبي في تفسيره، كما في ضياء العالمين.

عليه وآله» يأذن لهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

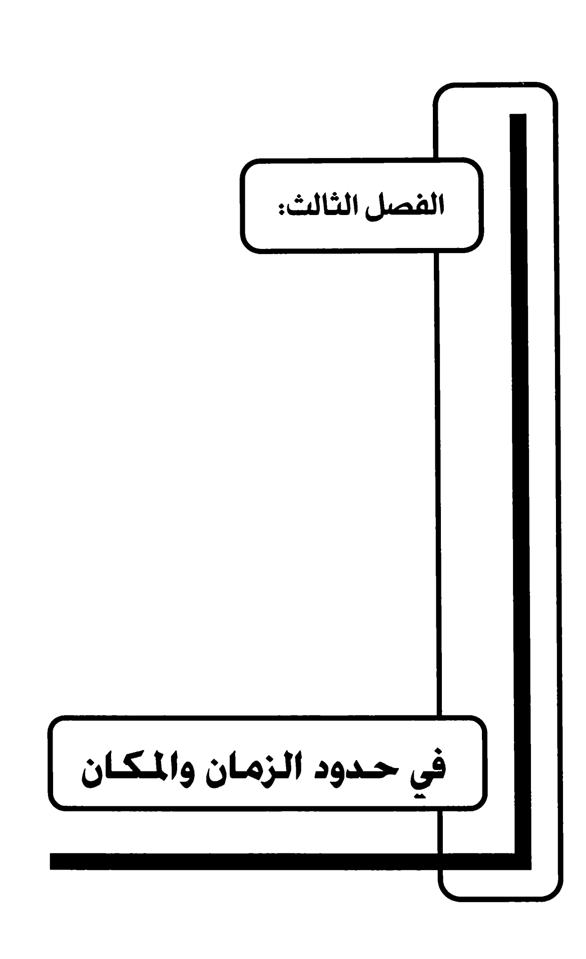
«ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر؟».

قال: فلم نر من القوم إلا باكياً.

قال: يقول أبو بكر: «إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه في نفسي الخ..»(١).

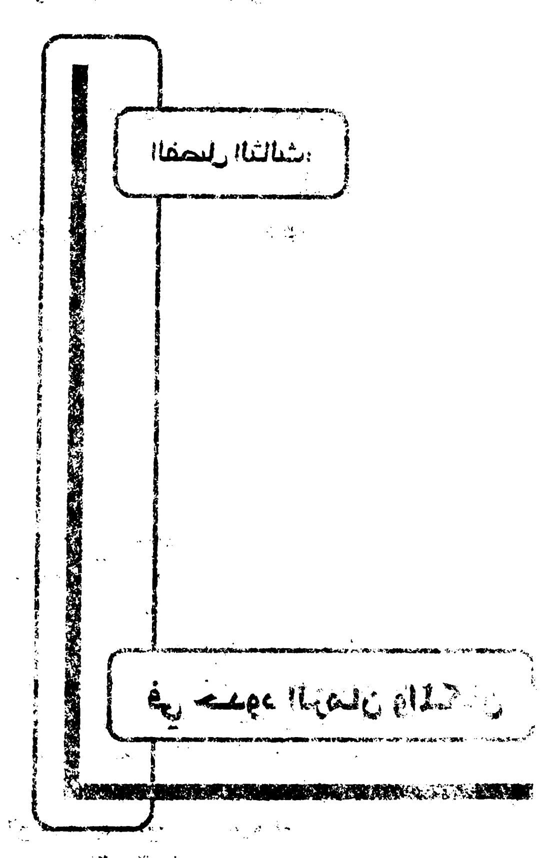
---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج١ ص٤٤٤ ومسند أحمد ج٤ ص١٦ ومسند الطيالسي ص١٨٢ ومجمع الزوائد ج١ ص٢٠ وج١٠ ص٤٠٨ وقال: رواه الطبراني، والبزاز بأسانيد رجال بعضها عند الطبراني والبزار رجال الصحيح، وكشف الأستار عن مسند البزار ج٤ ص٢٠٦ وقال في هامش (الإحسان): إنه في الطبراني برقم: ٤٥٥٦ و ٤٥٥٩ و ٤٥٥٧ و ٤٥٥٨ و ٤٥٦٠. وراجع: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص٢١٢ والآحاد والمثاني ج٥ ص٢٤ وصحيح ابن حبان ج١ ص٤٤٤ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٥٠ و ٥١ وموارد الظمآن للهيثمي ج١ ص١٠٣ وكنز العمال ج١٠ ص٤٧٧ وتهذيب الكمال للمزي ج٩ ص٢٠٨. وراجع: مسند الحارث ج٣ ص١٠٣ والمسند الجامع ج١٢ ص٢٢١ وحلية الأولياء ج٣ ص٩٣.



الفصل الثالث:

في حـدود الـزمـان والمـكـان


الفصل الثالث:

إلفات النظر إلى أمرين:

وقبل أن نواصل الحديث، فيما نريد التأكيد عليه، نلفت النظر إلى أمرين:

الأول: المكان..

فقد اختلفت الروايات حول المكان الذي أورد فيه النبي «صلى الله عليه وآله» خطبته هذه في حجة الوداع. فذكرت طائفة منها: أن ذلك كان في عرفات.

وفي إحدى الروايات تردد فيها الرواي بين عرفات ومنى.

وهناك طائفة من الروايات عبّرت بـ «المسجد»[1].

وسكتت روايات أخرى عن التحديد. مع أنها جميعاً قد تحدثت عن حدوث فوضى وضجيج، لم يستطع معه الراوي أن يسمع بقية كلام الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»؛ وتوجد روايات أشارت إلى عدم فهم الراوي، ولكنها لم تشر إلى الضجيج.

---

(١) راجع بالنسبة لخصوص هذه الطائفة من الروايات الخصال ج٢ ص٤٦٩ و ٤٧٢ كفاية الأثر ص٥٠ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٨ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ وحلية الأولياء ج٤ ص٣٣٣ والبحار ج٣٦ ص٢٣٤ ومنتخب الأثر ص١٩.

فهل كرر النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك في عدة خطب، في المواضع المختلفة؟! فكان يواجه بالضجيج والفوضى!! ويكون المقصود بالمسجد، هو: المسجد الموجود في منى، أو عرفة؟! إن لم يكن ذِكْرُ مِنى اشتباهاً من الراوي. أم أنه موقف واحد، اشتبه أمره على الرواة والمؤرخين؟!

أم أن ثمة يداً تحاول التلاعب والتشويش بهدف طمس الحقيقة، وإثارة الشبهات حول هذا الموضوع الهام والحساس جداً. ألا وهو موضوع الإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قد يمكن ترجيح احتمال تعدد المواقف، التي أظهرت إصرار فئات الناس على موقف التحدي، والخلاف. وذلك بسبب تعدد الناقلين، وتعدد الخصوصيات والحالات المنقولة.

وقد صرحوا بأنه «صلى الله عليه وآله» قد خطب في حجته تلك: خمس خطب. واحدة في مكة، وأخرى في عرفات، والثالثة يوم النحر بمنى، ثم يوم النفر بمنى، ثم يوم النفر الأول.

وحتى إن كان ذلك قد جصل في موقف واحد، فإن الذي نرجحه هو أن يكون ذلك في عرفات..

وستأتي بعض الروايات التي صرحت: بأن الله تعالى أمر نبيه «صلى الله عليه وآله» بإبلاغ أمر الإمامة في عرفات، ولم تنزل العصمة، ثم في مسجد الخيف ولم تنزل العصمة، ثم في كراع الغميم ولم تنزل، ثم نزلت في غدير خم، ثم نزلت وهو في طريقه إلى المدينة..

فلعل النبي «صلى الله عليه وآله» كان يبادر إلى خطبة الناس في كل مرة، فإذا أحس الناس انه يريد أن يصرح بالأمر واجهوه بالضجيج المانع له

من أداء مهمته، فلما نزلت العصمة: ﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] لم يجرؤ أحد على شيء من ذلك.

الثاني: كلهم من قريش..

قد ذكرت الروايات أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «كلهم من قريش»..

والسؤال هو:

هل قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك حقاً؟!

وإذا كان قد قاله، فما هو السبب في ذلك؟

ألا يمكن أن يعتبر بعض قاصري النظر أن ذلك نوع من التخفيف من لهجة رفض المنطق القبلي؟

أضف إلى ذلك: أن ما تقدم من حقيقة الموقف الظالم لقريش، ومن هم على رأيها، وخططهم التي تستهدف تقويض حاكمية خط الإمامة، قد يشجع على استبعاد صدور كلمة «كلهم من قريش» منه «صلى الله عليه وآله».. وترجيح أن تكون العبارة التي لم يسمعها جابر بن سمرة، وأنس، وعمر بن الخطاب، وعبد الملك بن عمير، وأبو جحيفة، بسبب ما أثاره المغرضون من ضجيج، هي عبارة: «كلهم من بني هاشم». كما ورد في بعض النصوص[2].

وهي الرواية التي استقر بها القندوزي الحنفي، على أساس: أنهم «لا

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) ينابيع المودة ص٤٤٥ عن مودة القربى، وراجع: منتخب الأثر ص١٤ وهامش ص١٥ عنه.

يحسّنون خلافة بني هاشم»[1].

غير أننا نقول:

إننا نرجح أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد قال الكلمتين معاً، أي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «كلهم من قريش، كلهم من بني هاشم». ويكون ذكر الفقرة الأولى توطئة وتمهيداً لذكر الثانية.

ولكن قريشاً قد عرفت ما يرمي إليه «صلى الله عليه وآله»، خصوصاً بعد أن ذكر لهم حديث الثقلين، فثارت ثائرتها هي وأنصارها، وعجوا وضجوا، وقاموا وقعدوا!!

وإلا.. فإن قريشاً، ومن يدور في فلكها لم يكن يغضبهم قوله «صلى الله عليه وآله»: «كلهم من قريش» بل ذلك يسرهم، ويفرحهم، لأنه هو الأمر الذي ما فتئوا يسعون إليه بكل ما أوتوا من قوة وحول، ويخططون ويتآمرون، ويعادون، ويحالفون من أجله، وعلى أساسه، فلماذا الهياج والضجيج؟! ولماذا الصخب والعجيج، لو كان الأمر هو ذلك؟!.

الموقف، الفضيحة:

ولا نشك في أن طائفة الأخيار، والمتقين الأبرار من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله» كانت تلتزم بأوامره «صلى الله عليه وآله»، وتنتهي بنواهيه، وتسلم له «صلى الله عليه وآله» في كل ما يحكم ويقضي به.

ولكن هؤلاء كانوا فئة قليلة إذا قيست بالفئة الأخرى، المتمثلة

---

(١) ينابيع المودة ص٤٤٦.

بأصحاب الأهواء، وطلاب اللبانات، وذوي الطموحات، ممن لم يسلموا، ولكنهم غلبوا على أمرهم، فاستسلموا، وأصبح كثير منهم يتظاهر بالورع، والدين والتقوى، والطاعة والتسليم لله، ولرسوله، متخذاً ذلك ذريعة للوصول إلى مآربه، وتحقيق أهدافه.

أما هؤلاء، الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون، ويسرون غير ما يعلنون، فقد كان لا بد من كشف زيفهم وإظهار خداعهم بصورة أو بأخرى.

وقد رأينا: كيف أن هؤلاء الذين كانوا يتبركون بفضل وضوء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحتى ببصاقه، ونخامته، ويدّعون الحرص على امتثال أوامرِ الله سبحانه بتوقيره، وبعدم رفع أصواتهم فوق صوته[1]،

---

(١) راجع الآيتان ١ و ٢ من سورة الحجرات.

وقد ورد أنّ هذه الأيات نزلت حينما حصل اختلاف فيما بين أبي بكر وبين عمر حول تأمير بعض الأشخاص من قبل النبي «صلى الله عليه وآله»، فأصر أحدهما على شخص وأصر الآخر على آخر، حتى ارتفعت أصواتهما. فقد روي أن عبد الله بن الزبير أخبرهم: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال أبو بكر: أمر القعقاع معبد بن زرارة.

وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس.

قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي.

قال عمر: ما أردت خلافك.

فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿..أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُون﴾ [الآيتان ١ و ٢ من سورة الحجرات].

ويلاحظ: أن المراد من الإيمان قوله تعالى في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو الإيمان =

وبالتأدّب معه، وبأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله و.. و..

لقد رأينا أن هؤلاء بمجرد إحساسهم بأنه «صلى الله عليه وآله» يريد الحديث عن الأئمة الاثني عشر، وبيان مواصفاتهم ـ ويتجه نحو تحديدهم

= بمعناه العام ـ أي إعلان الإسلام ـ لا الخاص. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الآية ١٣٦ من سورة النساء].

راجع في الحديث الذي ذكرناه: الدر المنثور ج٦ ص٨٣ ـ ٨٤ عن البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه، وأسباب النزول ص٢١٨ وصحيح البخاري ج٣ ص١٢٢ و (ط دار الفكر) ج٥ ص١١٦ وج٦ ص٤٧ والجامع الصحيح ج٥ ص٣٨٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ ولباب التأويل ج٤ ص١٦٤ وفتح القدير ج٥ ص٦١ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٣٠٠ ـ ٣٠١ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج٢٦ ص٧٢. وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٧٨ وسنن النسائي ج٨ ص٢٢٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩ وج١٩ ص١٨١ و ١٨٤ وتحفة الأحوذي ج٩ ص١٠٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٦٥ وج٦ ص٤٦٦ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص١٩٣ وشرح معاني الآثار ج٤ ص١٧٢ وزاد المسير ج٧ ص١٧٧ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٧٠ وتفسير البغوي ج٤ ص٢٠٩ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص٢٥٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٤٠١ والإحكام لابن حزم ج٦ ص٨٠٤ وتفسير الآلوسي ج٢٦ ص١٣٣ وفتح القدير ج٥ ص٦١ ولباب النقول ص١٧٨ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٢٦٧ والبحار ج٣٠ ص٢٧٨ والطرائف ص٤٠٣ وعين العبرة في غبن العترة ص٤ والغدير ج٧ ص٢٢٣.

بصورة أدق، وأوفى وأتم ـ كيف ثارت ثائرتهم. وأن خشيتهم من إعلان إمامة من لا يرضون إمامته، وخلافة من يرون أنه قد وترهم، وأباد خضراءهم في مواقفه المشهورة، دفاعاً عن الحق والدين ـ ألا وهو علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ إن ذلك ـ قد أظهر حقدهم، فعلا ضجيجهم، وزاد صخبهم، والتعبيرات التي وردت في الروايات واصفة حالهم، هي مثل:

«ثم لغط القوم وتكلموا»[1]. فلم أفهم قوله بعد «كلهم»، فقلت لأبي: ماذا قال؟! الخ..

أو: «وتكلم الناس فلم أفهم»[2].

أو: «وضج الناس»[3].

أو: «فقال كلمة أصمّنيها الناس»[4].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ والمعجم الكبير ج٢ ص١٩٦ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٤.

(٢) الغيبة للنعماني ص١٢١عن عوالم العلوم: ١٥٣ / ١٠٦ ح١٦.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٩٣ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٣٩٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٣٥.

(٤) راجع: مسند أحمد ج٥ ص٩٨ و ١٠١ وصحيح مسلم ج٦ ص٤ والخصال ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧٢ والبحار ج٣٦ ص٢٣٥ و ٢٦٦ و ٣٦٢ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٣ ص٥٤ ولسان العرب ج١٢ ص٣٤٣ وإثبات الهداة ج١ ص٥٣٥ وإحقاق الحق (ملحقات) ج١٣ ص٣٩ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٨٦ والعمدة لابن بطريق ص٤٢١.

أو: «صمّنيها الناس»[1].

وفي نسخة: «صمّتنيها الناس»[2].

أو: «فصرخ الناس، فلم أسمع ما قال»[3].

أو: «فكبر الناس، وضجوا»[4].

أو: «فجعل الناس يقومون، ويقعدون»[5].

---

(١) راجع: العمدة لابن البطريق ص٤١٨ و ٤٢١ وصحيح مسلم ج٦ ص٤ والديباج على مسلم ج٤ ص٤٤٠ والإكمال في أسماء الرجال ص٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص١.

(٢) راجع: شرح مسلم للنووي ج١٢ ص٢٠٣ والديباج على مسلم ج ٤ ص ٤٤٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٩ ص٩٣.

(٣) والخصال ص٤٧٣ وإكمال الدين ج١ ص٢٧٢ و (مؤسسة النشر الإسلامي) ص٦٨ و ٢٧٣ وإثبات الهداة ج١ ص٤٩٤ و ٥٠٧ والبحار ج٣٦ ص٢٣٩ عن الخصال.

(٤) مسند أحمد ج٥ ص٩٨ وسنن أبي داود ج٤ ص١٠٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٩ وفتح الباري ج١٣ ص١٨١ والبحار ج٣٦ ص٣٦٥ وإرشاد الساري ج١ ص٢٧٣ والكفاية للخطيب البغدادي ص٩٥ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٢٤ وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٣ ص٢٠ وج٢٩ ص٩٤.

(٥) مسند أحمد ج٥ ص٩٩ وإثبات الهداة ج١ ص٥٤٦ والخصال ج٢ ص٧٥ والبحار ج٣٦ ص٢٣٧ و ٢٩٩ وكتاب الغيبة للنعماني ص١٠٥ وإعلام الورى ص٣٨٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٦٢ وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١٨ والغيبة للطوسي ص٨٨ و ٨٩ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية) ص١٢٩ وغاية المرام ص١٩٤ ومنتخب الأثر ص٢٠.

نعم، لقد كان هذا هو موقفهم من الرسول، وهم الذين يدعي البعض لهم مقام العصمة عن كل ذنب، ويمنحهم وسام الاجتهاد في الشريعة والدين (!!).

التدبير النبوي:

وتوضيحاً لما جرى نقول:

لقد أعلن النبي «صلى الله عليه وآله» في سنة عشر من الهجرة: أنه يريد الحج، وأرسل إلى الآفاق يخبرهم ويدعوهم إلى ذلك.

ونفر إلِيه الناس سراعاً من كل حدب وصوب واجتمعت في ذلك الموسم عشرات الألوف من كل بلد وحي وقبيلة، ليحجوا مع أكرم مخلوق، وأفضل نبي، ثم يرجعون إلى بلادهم من سفر محفوف بالأخطار، وبعد طول انتظار، ويحدثونهم بما جرى لهم وصار.

وسيصغي الناس إليهم بشغف وبتلذذ، فإن للحجاج أحاديثهم وذكرياتهم، التي يرغب الناس في سماعها حتى لو كانت لا تعني لهم شيئاً في الظروف العادية، فكيف إذا كانت هذه الأحاديث لها علاقة بأفضل وأكمل، وأقدس، وأعزِّ، وأغلى، وأشرف إنسان في الوجود؟ وسيحدثونهم عن كل لفتة وبسمة، وعن كل كلمة وحركة، وغير ذلك مما لا بد أن يبقى محفوراً في قلوبهم.. طيلة حياتهم..

أما إذا حدث أمام أعينهم ما لم يكن في الحسبان، وكان الحدث قد صنعه أناس يدَّعون القرب منه «صلى الله عليه وآله»، والإثرة لديه، فإن ذلك سوف يكون له وقع الصاعقة عليهم، خصوصاً إذا وجدوا فيه مساساً

بقداسته، وتقويضاً لهيبته، وإبطالاً لتدبيره «صلى الله عليه وآله»..

نعم.. لقد حج النبي «صلى الله عليه وآله»، في تلك السنة، فاجتمع إليه مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، أو مائة وعشرون ألفاً، أو تسعون ألفاً، أو سبعون ألفاً.. ليحجوا معه، وقيل غير ذلك..[1].

وأما قول بعضهم: «إنهم كانوا أربعون ألفاً»[2]، فلعله نظر إلى من سار مع النبي «صلى الله عليه وآله» من المدينة، لا من اجتمع معه في مكة وفي المشاعر ممن جاء من مختلف البلاد. كما يشير إليه قولهم: وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين[3].

وكان معظم الناس بمن فيهم سكان مكة وما والاها قد أسلموا، أو أرسلوا وفوداً إلى المدينة ليعلموه بإسلامهم بعد فتح مكة، وبالتحديد في سنة تسع ـ سنة الوفود ـ وسنة عشر.

---

(١) راجع: السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان، باب حجة الوداع. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٣ ص١٣٠ والمجموع للنووي ج٧ ص١٠٤ والبحار ج٣٧ ص١٥٠ وج١٠٩ ص١٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٥٠ وج٩ ص١٩٦ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٥٧٧ والغدير ج١ ص٢٩٦ و ٣٩٢ والعدد القوية للحلي ص١٨٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٠٠.

(٢) راجع: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٨٠ والبداية والنهاية ج٥ ص١٥٤ وج٤ ص٢٧٠ ومقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن ص١٧٧.

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٨٠ والبداية والنهاية ج٥ ص١٥٤ السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٧٠.

وأما المسلمون عدا هؤلاء، ومنهم أهل المدينة أنفسهم، وشراذم قليلة موزعة في محيط المدينة، أو في غيرها فكانوا قلة قليلة جداً، حتى إن النبي «صلى الله عليه وآله»، قال لهم في سنة ست: «اكتبوا لي كل من تلفظ بالإسلام» فكتب له حذيفة ألفاً وخمس مئة رجل..»[1].

وفي رواية أخرى: «ونحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة»[2].

ولا شك أن فيهم من كان صحيح الإيمان، ومنهم من لا يبالي بأمر

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٢٠٠ والبحار ج٢٨ ص٢٠٢ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٢ عن كتاب إبطال الاختيار، بسنده عن أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق «عليه السلام». وعمدة القاري ج١٤ ص٣٠٥ وتغليق التعليق ج٣ ص٤٥٩ وإمتاع الأسماع ج٩ ص٣٤٤ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٦٧ ومكاتيب الرسول ج١ ص١١٠ وقال في هامشه: راجع البخاري ج٥ ص٤ و [(ط دار الفكر) ج٤ ص٣٤] ومسلم ج٤ ص٢١٢١ والمعجم الكبير للطبراني ج١٩ ص٤٧ وفتح الباري ج٨ ص٢٨ و ٨٧ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٧٧ وراجع أيضاً: الدر المنثور ج٣ ص٢٨٧ عن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، والمنار ج١١ ص٦٧ والقرطبي ج٨ ص٢٨٢.

(٢) راجع: صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج٢ ص١١٦ وصحيح مسلم (مشكول) ج١ ص٩١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٨٤ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٣٧ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٢٥١ و ٢٥٢ وج١ ص٢٢٠ ـ ٢٢٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦١٩ وشرح مسلم للنووي ج٢ ص١٧٩ وعمدة القاري ج١٤ ص٣٠٦ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص١٧١ وكنز العمال ج١١ ص٢٢٨ وإمتاع الأسماع ج٩ ص٣٤٦.

الدين، بل يهتم بمصالحه الشخصية، وفيهم الهمج الرعاع الذين يميلون مع كل داع، وينقادون لكل راع، وفيهم المدخول والمنافق قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾[1].

ومن الواضح: أن الذين تلفظوا بالإسلام آنئذٍ كانوا منتشرين في المدينة وحولها، وفي الحبشة أيضاً، وفي غير ذلك من المناطق.

وقد فرض الإسلام وجوده، وهيبته في تلك السنين التي كانت زاخرة بالتحديات، وسمع به القاصي والداني..

وكان المسلمون في المدينة، فريقين:

أحدهما: الأنصار، وهم أهل المدينة أنفسهم.

والآخر: القرشيون المهاجرون من مكة ـ بصورة عامة ـ.

ومن البديهي: أن جميع الناس لم يحجوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ لا يعقل أن يتركوا جميعهم مواشيهم، وزراعاتهم، وبيوتهم، وديارهم خاوية من كل أحد، فإن ذلك يجعلها عرضة للمتربصين للسلب والغارة في ذلك المجتمع الذي يرى أن ذلك من وسائل عيشه.

المحبون والمناوئون:

كما أن من الواضح: أن الناس كانوا بين محبين عرفوا الحق، والتزموا به، وبين مناوئين اختاروا طريق النفاق والتآمر الخفي، وما أكثر هؤلاء، أي أن أفاضل الصحابة وأماثلهم من أمثال سلمان، وعمار، والمقداد، وأبي ذر،

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

وأبي الهيثم بن التيهان، وبني هاشم، وسواهم، كانوا من محبي علي، ومن أنصاره.

وكان المهاجرون هم الذين يناوئون علياً «عليه السلام»، ويسعون في إبطال أمره، ويدبرون لإبعاد الخلافة عنه بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد تعاهدوا وتعاقدوا على ذلك..

وكان المراقب لتصرفاتهم في مختلف الموارد يدرك مدى انحرافهم عن الإمام علي «عليه السلام»، وأنهم تكتل واضح المرامي والأهداف، ظاهر التباين والاختلاف، لا مجال لأن يفكر بالإنصياع للتوجيهات النبوية، ولا حتى للقراراتَ الإلهية فيما يرتبط بأمر الإمامة والخلافة في أي من الظروف والأحوال..

وقد حج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المهاجرين الذين هم في هذا الإتجاه بضع عشرات، قد لا يصلون إلى المئات.. ولكن كان فيهم رجال مجربون، كانوا على درجة كبيرة من الحنكة والدهاء، وكان ثقلهم الحقيقي في مكة، التي أظهرت في السنة الثامنة من الهجرة، الإستسلام للإسلام، بالإضافة إلى ما حولها من البلاد والعباد، الذين يخضعون لنفوذها، ويلتقون في مصالحهم معها..

ولأجل ذلك وجد المهاجرون الطامحون، في قريش، وفي مكة وما والاها، عضداً قوياً، وسنداً لهم، شجعهم على مواجهة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بهذه الحدة والشدة التي سلفت الإشارة إليها..

وبعد أن فعلوا فعلتهم الشنيعة تلك، وظنوا أنهم قد ربحوا معركتهم ضد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بمنعهم إياه من الإعلان على الحجيج

تنصيب علي في مقام الإمامة، بما أثاروه من صخب وضجيج، كان لا بد لهم من التوجه نحو محاولة غسل هذا العار عنهم، ولو بادعاء أنها مجرد غلطة صدرت، وقد ندم مرتكبوها على ما فرط منهم، وقد يدَّعون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد عفا عنهم وسامحهم. ثم قرَّبهم إليه حتى جعلهم موضع سره، وأوقفهم على ما دبره وقرره..

وقد يدَّعون أيضاً: أنه أعلمهم بأن ما أراد النبي «صلى الله عليه وآله» بيانه في عرفات وسواها لم يكن هو ولاية وإمامة علي «عليه السلام». إلى غير ذلك مما قد يكون سبباً في بلبلة الأفكار، الذي قد يسهم في تضييع الحق..

فجاء التخطيط النبوي الحكيم ليقضي، بأن يخرج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة فور انتهاء مراسم الحج مباشرة، ومن دون إبطاء أو تفريط ولو بساعة، بل دقيقة واحدة من الوقت، فنفر في اليوم الثالث عشر من منى بعد الزوال[1]. ولم يطف بالبيت، ولا زاره كما أسلفناه[2]. وإن كانت بعض

---

(١) السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص٣٠٦ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٣ والمجموع ج٤ ص٣٦٣ وج٨ ص٢٤٩ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٩٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٤٩.

(٢) راجع: البحار ج٢١ ص٣٩٣ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٣١٩ والكافي ج٤ ص٢٤٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٢١٧ و (ط دار الإسلامية) ج٨ ص١٥٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٣٥٥ و ٤٥٥ وج١٢ ص٢٠٧ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٧ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٢٥.

المصادر قد زعمت خلاف ذلك[1].

وذلك، لأن أي تأخير، سوف يكون معناه أن يخرج أشتات من الناس إلى بلادهم، ولا يتمكن النبي «صلى الله عليه وآله»، من إيصال ما يريد إيصاله إليهم..

وحين يخرج النبي «صلى الله عليه وآله» معهم فمن الطبيعي أن يتقيد الناس في مسيرهم بمسير رسول الله، والكون في ركبه، إما حياءً، أو طلباً لليسر والأمن، والبركة، والفوز بسماع توجيهاته.

هذا.. وقد قطع «صلى الله عليه وآله» المسافة ما بين مكة والجحفة، حيث غدير خم، وهي عشرات الأميال، في أربعة أيام فقط، ثم يأتي التهديد الإلهي للمتجرئين بالعودة إلى نقطة الصفر، وخوض حروب طاحنة معهم تشبه حرب بدر وحنين، **﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**[2]. فجمعهم «صلى الله عليه وآله» في غدير خم، ونصب علياً «عليه السلام» هناك إماماً للأمة، وبايعه حتى أشد الناس اعتراضاً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عرفات وغيرها. ولم يجرؤا على التفوه ببنت شفة إلا همساً..

لأنهم وجدوا أنفسهم أفراداً قليلين، لا يتجاوز عددهم بضع عشرات من الناس بين عشرات الألوف، فقد خلفوا حماتهم، وهم أهل مكة وما

---

(١) السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج٣ ص٣٠٧ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٤ والمجموع ج٤ ص٣٦٣ وج٨ ص٢٤٩ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٩٠ ومصادر كثيرة من كتب أهل السنة.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

والاها، وراء ظهورهم، وأما اليمن، فقد أسلمت طائفة من أهلها قبل أيام يسيرة على يد الإمام علي «عليه السلام»، الذي لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» في مكة مع بعض من أسلم على يديه..

سبب جرأتهم:

وربما كان السبب في هذه الجرأة الظاهرة، والوقاحة السافرة التي تجلت في حجة الوداع؛ هو شعور هذا الفريق من مهاجري قريش بالقوة وهم في بلدهم، وبين أنصارهم ومحبيهم ـ أي في محيط مكة وما والاها ـ وقد لاحظنا أن هذا التعاطف معهم كان يظهر منهم بين الفينة والفينة حتى حين كانوا يحاربون الإسلام وأهله وهي حروب لم تخبُ نارها إلا في فتح مكة قبل مدة يسيرة، حيث اضطرت قريش إلى الإنكفاء عن الصراع السافر إلى التدبير التآمري الماكر.

لقد أدركت قريش: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بصدد الإعداد لأمر عظيم، لا تريد أن ترى نفسها راضية به. ألا وهو إبلاغ الأمة بأسرها بإمامة علي «عليه السلام»، وخلافته لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأن هذا الإبلاغ يتم بصورة لا تترك لها أية فرصة للتخلص والتملص، والمناورة، وتصبح مقهورة على تجرع الغصة وتفوت منها الفرصة..

ولعل قريشاً حين تجرأت على النبي «صلى الله عليه وآله» في عرفات، أو في منى، أو فيهما معاً ظنت أنها قد أفلحت في درء خطر عظيم، وتلافي خطب جسيم، كان قد أوشك أن يلم بها..

ولكن الله خيب فألها، وأبار كيدها، وأبطل مكرها.. ويمكرون ويمكر

الله، والله خير الماكرين..

ظروف فرضت نفسها:

إنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف: أن معظم الناس قد أعلنوا الإسلام بعد فتح مكة، أي في السنتين الأخيرتين من حياته «صلى الله عليه وآله»، وأن إسلام الأكثرين منهم كان سطحياً، بل صورياً، فرضته الظروف التي نشأت في المنطقة بعد فتح مكة، حيث لم يكونوا يعرفون عن هذا الدين الشيء الكثير، لأنهم كانوا يعيشون في بواديهم، ووفق مناهجهم الجاهلية، وعاداتهم القبلية، ولم يكن زعماؤهم يسمحون للمبلغين المسلمين بأن يصلوا إليهم، أو أن يحدثوهم بشيء عن هذا الدين وأحكامه، ومفاهيمه، وتفاصيله، و.. و..

وحتى الذين أسلموا منهم، فإنهم قد عاشوا حياتهم بمفاهيم الجاهلية أيضاً. ولم يفارقوا عاداتها، ولم يتربَّوا بعد على معاني الإيمان والإسلام. بل كان زعماؤهم هم الذين يتحكمون بهم، ويسيِّرون أمورهم، ويهيمنون على حركتهم..

ومن جهة أخرى: فقد كان هناك طامعون وطامحون قد أذكى طموحهم هذا التوسع السريع والهائل، الذي كان من نصيب أهل الإسلام في فترة وجيزة جداً.. وهو توسع قد هيأ لهم المال الوفير والجاه العريض، والنفوذ، والقوة.. وما إلى ذلك من أمور لم يكونوا يحلمون بها..

ومن جهة ثالثة: فقد كان في المدينة وحولها، من لم يرق لهم الانصهار في المجتمع الإسلامي والذوبان فيه، والانطلاق به في الحياة.. فكانوا

يكيدون في الخفاء، ويشاركون في كل ما يلحق بالإسلام ضرراً مهما كان حجمه ونوعه.. وقد وجد هؤلاء في كثير من مسلمة الفتح سنداً وعضداً في هذا الإتجاه أيضاً..

هذا.. عدا عن غيرهم من الفئات التي ما أسلمت ولكنها استسلمت، فلما وجدت الفرصة لإظهار أمرها لم تتوانَ في ذلك..

وكل هذا الذي ذكرناه من شأنه أن يصعِّد من درجة الخطورة التي يواجهها الإسلام، والمخلصون من أهله بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وكان الهدف الأعظم والأهم هو حفظ تعاليم هذا الدين، وصيانة عقائده ومفاهيمه، وتمكينها من اختراق هذه السدود، واجتياز هذه الجدود، وتذليل كل العقبات التي تواجهها، وتمنع من حصول الأجيال الآتية عليها.

وهذا بالذات هو ما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع، وفي العديد من المفاصل الحساسة بعدها..

وهذا ما يفسر لنا جمعه لهذه الجموع العظيمة والهائلة، التي جاء بها إلى أقدس مكان، في أقدس زمان، مع أقدس إنسان خلقه الله تعالى، لأداء شعيرة عبادية هي من أعظم الشعائر.

وجاء معه أولئك الذين يدبرون في الخفاء ما يدبرون. وكان «صلى الله عليه وآله» يعلم أن مكة وما والاها؛ من حزبهم، وإلى جانبهم، بالإضافة إلى أن طائفة من أهل المدينة وما حولها كانت تتعاطف معهم، وتميل إليهم.. فكان ما كان مما تقدم بيانه.

دراسة الحدث في حدود الزمان والمكان:

ونحن في نطاق فهمنا لموقف النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع في منى وعرفات، ومنع قريش له من نصب علي «عليه السلام» إماماً للأمة، نسجل النقاط التالية:

١ـ يوم عبادة:

إن يوم عرفة هو يوم عبادة ودعاء وابتهال، وتوبة وانقطاع إلى الله، سبحانه، ويكون فيه كل واحد من الناس منشغلاً بنفسه، وبمناجاة ربه، لا يتوقع في موقفه ذاك أي نشاط سياسي عام، ولا يخطر ذلك له على بال.

وهو يوم لا نظير له في تاريخ حياتهم، لأنهم يحجون مع أكرم وأعظم نبي في فرصة وحيدة ونادرة في تاريخ البشرية.

وهو أفضل الأيام، وأكثرها انسجاماً مع أجواء التقوى والإنضباط مع القرارات الإلهية، والخضوع لمشيئته، وتنفيذ أوامره تعالى، وقد لفت النبي «صلى الله عليه وآله» نظرهم إلى هذا الأمر حين قررهم «صلى الله عليه وآله» في خطبته، فأقروا بفضل هذا اليوم عند الله[1].

فإذا رأى الإنسان المؤمن أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» يبادر إلى عمل من هذا القبيل، فلا بد وأن يشعر: أن هناك أمراً بالغ الخطورة، وفائق الأهمية، فينشدّ لسماع ذلك الأمر، والتعرف عليه، ويلاحق جزئياته بدقة ووعي، وبانتباه فائق. فإذا رأى تمرد أصحابه عليه، وعاين إساءة الأدب

---

(١) راجع: خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع.

معه، من قبل المدَّعين للإخلاص في الإيمان، والمظهرين للإستعداد للجهاد والتضحية، فإن ذلك سيشكل مفاجأة له إلى حد الصدمة.

وسيتمكن كل من حضر الحج من مشاهدة ومعرفة ما يجري، فإن الجميع يكونون في هذا اليوم مجتمعين في صعيد واحد.

أما في منى، أو في سواها، فالحجاج يكونون منصرفين إلى أعمال، وموزعين في جهات مختلفة: هذا يرجم الجمرات، وذلك يحلق أو يقصر، وآخر يريد أن يذبح أضحيته، وقد يكون هناك من لا يزال في الطريق، كما أن هناك من فرغ من ذلك كله، وذهب إلى خيمته للإستراحة، أو ذهب إلى الحرم ليطوف، أو ما إلى ذلك.

٢ ـ الإحرام:

ثم إن جميع الحجاج في موقف عرفة على حالة الإحرام، الذي بدأوه بتلبية داعي الله تعالى، وأعلنوا براءتهم من الشرك ورفضهم له، وأقروا بأن كل شيء مملوك له تبارك وتعالى، وصادر منه وعنه، وهو وحده له الحمد، والنعمة، والملك..

وفي الإحرام يمارسون الإمتناع عن الملذات، وعن كثير مما يحل لهم، وهم يخوضون تجربة السيطرة على دوافعهم الغريزية، ومن ذلك امتناعهم عن النساء وما إلى ذلك، وهم يمتنعون حتى عن إيذاء النملة والقملة، فهل يمكن أن يؤذوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! أو هل يقدمون على مخالفة أوامره ونواهيه؟!

كما أنهم يشعرون بمساواة غنيهم لفقيرهم، وعالمهم بجاهلهم، وكبيرهم

بصغيرهم، وملكهم وسوقتهم، وحرهم ومملوكهم أمام المحكمة الإلهية العادلة إلى غير ذلك مما لا يخفى.

٣ـ لماذا في موسم الحج؟!:

وإذا كان موسم الحج هو المناسبة التي يجتمع فيها الناس من مختلف البلاد، على اختلاف طبقاتهم، وأجناسهم، وأهوائهم، فإن أي حدث متميز يرونه ويشاهدونه فيه لسوف تنتشر أخباره بواسطتهم على أوسع نطاق، فكيف إذا كان هذا الحدث يحمل في طياته الكثير من المفاجآت، والعديد من عناصر الإثارةِ، وفيه من الأهمية ما يرتقي به إلى مستوى الأحداث المصيرية للدعوة الإسلامية بأسرها.

٤ـ وجود الرسول ﷺ أيضاً:

كما أن نفس وجود الرسول «صلى الله عليه وآله» في موسم الحج، لا بد أن يضفي على هذه المناسبة المزيد من البهجة، والارتياح، ولسوف يعطي لها معنى روحياً أكثر عمقاً، وأكثر شفافية. وسيشعر الحاضرون بحساسية زائدة تجاه أي قول وفعل يصدر من جهته «صلى الله عليه وآله»، وسيكون الدافع لديهم قوياً لينقلوا للناس مشاهداتهم، وذكرياتهم في سفرهم الفريد ذاك.

فكيف إذا رافق ذلك إعلام النبي «صلى الله عليه وآله» لهم أن لقاءهم به سيكون يتيماً، إذ إنه يوشك أن يفارقهم فراقاً أبدياً، لا لقاء بعده، فإن مشاعرهم سوف تتوهج، وقلوبهم ستمتلئ شغفاً بكل حركة، أو لفتة، أو كلمة ينطق بها، وسيعودون إلى بلادهم بأغلى الذكريات واعزها، وأجملها، وأفضلها.

كما أن الناس الذين يعيشون في مناطق بعيدة عنه «صلى الله عليه وآله»، ويشتاقون إليه، لسوف يلذ لهم سماع تلك الأخبار، وسيجهدون في تتبعها بشغف، وبدقة وبانتباه زائد؛ ليعرفوا كل ما صدر من نبيهم، من: قول، وفعل، وتوجيه، وسلوك، وأمرٍ، ونهي وتحذير، وترغيب وما إلى ذلك.

ثم إن الحدث الذي سمعه هؤلاء الناس من نبيهم وسينقلونه إلى من وراءهم، هو حدث مثير وخطير في حد ذاته، ويمثل صدمة كبيرة وخطيرة لمشاعرهم، وخيبة لكل أمل كان يراود خواطرهم.

وحدث كهذا لا بد ان ينتشر في البلاد وبين العباد، وسينتقل في الأجيال اللاحقة جيلاً بعد جيل، وستتداوله الفرق، وتهتم له المذاهب، وسيثور الجدل حوله بين أربابها، لأنه الحدث الذي تقوم به الحجة على كل عاقل لبيب، وأريحي أريب، وألمعي أديب، فلله الحجة البالغة على البشر كلهم، والناس هم الذين يختارون مع أي فريق يكونون، وأي طريق يسلكون.

٥ـ ظهور المعجزة:

وقد لوحظ هنا أيضاً: أن الله تعالى قد أظهر لهم المعجزة في منى، حيث كان «صلى الله عليه وآله» يخطبهم، ويصل صوته إلى كل من كان في منى كما تقدم.

ولكنه حين خطبهم في عرفات لم يظهر لهم هذه المعجزة، فقد ذكرت النصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخطبهم وكان علي «عليه السلام» يقف في مكان آخر، ويوصل كلامه إلى من هم في الجهة الأخرى، وقد

تحدثنا عن ذلك في ما سبق[1].

ويمكن أن نستفيد من هذا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في المواضع المشابهة من حيث كثرة الحاضرين، يمارس هذه الطريقة لإبلاغ كلامه للآخرين، ولعل هذا هو ما جرى في غدير خم أيضاً.

٦ ـ الذكريات الغالية:

وقد قلنا آنفاً: إن كل من رافق النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا السفر العبادي، لسوف يحتفظ في ذاكرته بأدق الذكريات، لأنها ستكون ذكريات عزيزة وغالية على قلبه، تبقى حية غضة في روحه وفي وجدانه، على مدى الأيام والشهور، والأعوام والدهور، ما دام أن هذه هي آخر مرة يرى فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أعظم وأكرم، وأغلى رجل وجد ويوجد على وجه الأرض.

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٣ ص٤٧٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٤ و ٥ وأسد الغابة ج٢ ص١٥٥ وج٥ ص١١ وتهذيب الكمال ج٩ ص٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٩٦ وأدب الإملاء والإستملاء ص١٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٤٣ و (ط دار الفكر) ج٣ ص٢٤٧ وج٥ ص١٤٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤٤٣ والمعجم الكبير ج٥ ص١٩ وإمتاع الأسماع ج٦ ص٣٨٩ والمغني لابن قدامة ج١ ص٦٢٤ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣١٩ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣١٢ و ٣١٤ زج٨ ص٢١٢ وج٩ ص١٣٨ وتلخيص الحبير لابن حجر ج٤ ص٦٢١ وسنن أبي داود ج١ ص٤٣٧ وج٢ ص٢٦٣ ونيل الأوطار ج٢ ص٩٠ وكشف اللثام (ط.ج) ج٦ ص٧٨ و (ط.ق) ج١ ص٣٥٦ والمجموع للنووي ج٨ ص٩٠.

والذي نريد أن نضيفه هنا هو: أن العلاقة بالحدث حين تتخذ بعداً عاطفياً، يلامس مشاعر الإنسان، وأحاسيسه، فإنها تصبح أكثر رسوخاً وحيوية، وأبعد أثراً في مجال الإلتزام والموقف، ولا شك في أن هذا كان من أهم الأهداف التي كان النبي «صلى الله عليه وآله» يرمي إلى تحقيقها من خلال اختياره لخصوصية الزمان والمكان.. وغير ذلك من حالات وأوضاع.

٧ ـ الناس أمام مسؤولياتهم:

وقد عرفنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اختار الزمان ـ يوم عرفة ـ لأنه يوم العبادة والإنقطاع إلى الله سبحانه.

واختار المكان، وهو نفس جبل عرفات، لأن الكل يجتمعون في صعيد واحد، وعلى حالة واحدة، بالإضافة إلى خصوصيات أخرى ذكرناها فيما سبق.

ثم اختار أسلوب الخطاب الجماهيري، لا خطاب الأفراد والأشخاص كما هو الحال في المناسبات العادية ـ لقد اختار «صلى الله عليه وآله» ذلك كله ـ لأنه أراد أن يضع الأمة أمام مسؤولياتها، ليفهمها: أن تنفيذ هذا الأمر يقع على عاتقها؛ فليس للأفراد أن يعتذروا بأن هذا أمر لا يعنيهم، ولا يقع في دائرة واجباتهم، كما أنهم لا يمكنهم دعوى الجهل بأبعاده وملابساته، أي أن الجميع أصبحوا مطالبين بإنجاز هذا الواجب، ومسؤولين عنه، وليس خاصاً بفئة من الناس، لا يتعداها إلى غيرها، كفئة المهاجرين أو الأنصار، أو بني هاشم، أو أهل المدينة، أو ما إلى ذلك..

وبذلك تكون الحجة قد قامت على الجميع، ولم يبق عذر لمعتذر، ولا

حيلة لمتطلب حيلة.

٨ ـ إحتكار القرار:

وهذه الطريقة في العمل قد أخرجت القضية عن احتكار جماعة بعينها، قد يروق لها أن تدَّعي: أنها وحدها صاحبة الحل والعقد في هذه المسألة، لتصبح قضية الأمة بأسرها، من مسؤولياتها التي لا بد وأن تطالِب، وتطالَب بها، فليس لقريش بعد هذا، ولا لغيرها: أن تحتكر القرار في أمر الإمامة والخلافة، كما قد حصل ذلك بالفعل.

ولنا أن نعتبر هذا الأمر من أهم إنجازات هذا الموقف، وهو ضربة موفقة في مجال التخطيط لمستقبل الرسالة، وتركيز الفهم الصحيح لمفهوم الإمامة لدى جميع الأجيال، وعلى مر العصور.

حيث كان لا بد لهذه القضية من أن تخرج من يد أناس يريدون أن يمارسوا الإقطاعية السياسية والدينية، على أسس ومفاهيم جاهلية، دونما أثارة من علم، ولا دليل من هدى، وإنما من منطلق الأهواء الشيطانية، والأطماع الرخيصة، والأحقاد المقيتة والبغيضة.

٩ ـ تساقط الأقنعة:

ولعل الإنجاز الأهم هنا، هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد استطاع أن يكشف زيف المزيفين، وخداع الماكرين، ويعريهم أمام الناس، حتى عرفهم كل أحد، وبأسلوب يستطيع الناس جميعاً أن يدركوه ويفهموه على اختلاف مستوياتهم، وحالاتهم، ودرجاتهم في الفكر، وفي الوعي، وفي السن، وفي الموقع، وفي غير ذلك من أمور..

فقد رأى الجميع: أن هؤلاء الذين يدَّعون: أنهم يوقرون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتبركون بفضل وضوئه، وببصاقه، وحتى بنخامته، وأنهم يعملون بالتوجيهات الإلهية التي تقول:

﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[1].

﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[2].

﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[3].

﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾[4].

وغير ذلك من آيات تنظم تعاملهم، وتضع الحدود، وترسم معالم السلوك معه «صلى الله عليه وآله»، مما يكون الفسق والخروج عن الدين، في تجاهله، وفي تعديه.

هذا إلى جانب اعترافهم بما له «صلى الله عليه وآله» من فضل عليهم، وأياد لديهم، فإنه هو الذي أخرجهم ـ بفضل الله ـ من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، وأبدلهم الذل بالعز، والشقاء بالسعادة، والنار بالجنان.

يضاف إلى ذلك كله: ادِّعاء هؤلاء أنهم قد جاؤوا مع هذا الرسول الأكرم والأعظم، في هذا الزمان الشريف، إلى هذا المكان المقدس ـ عرفات ـ لِعبادة

---

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٤) الآية ٥٩ من سورة النساء.

الله سبحانه، وطلب رضاه، معلنين بالتوبة، وبالندم على ما فرطوا به في جنب الله، منيبين إليه سبحانه، ليس لهم في حطام الدنيا مطلب، ولا في زخارفها مأرب.

وهم يظهرون أنفسهم بمظهر من يسعى لإنجاز عمل صالح يوجب غفران ذنوبهم، ورفعة درجاتهم.

نعم، رغم ذلك كله: فإنه «صلى الله عليه وآله» استطاع أن يري الجميع بأم أعينهم: كيف أن حركة بسيطة منه «صلى الله عليه وآله» قد أظهرتهم على حقيقتهم، وكشفت خفيّ مكرهم، وخادع زيفهم، وقد رأى كل أحد كيف أنهم: قد تحولوا إلى وحوش كاسرة، ضد نبيهم بالذات، وظهر كيف أنهم لا يوقرون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويرفعون أصواتهم فوق صوته، ويجهرون له بالقول أكثر من جهر بعضهم لبعضهم، ويعصون أوامره.. و.. و.. كل ذلك رغبة في الدنيا، وزهداً في الآخرة، وطلباً لحظ الشيطان، وعزوفاً عن الكرامة الإلهية، وعن طلب رضى الرحمن.

١٠ـ وعلى هذه فقس ما سواها:

ولا بد لكل من عاين هذه الأحداث أن يطرح على نفسه السؤال التالي: إذا كان هؤلاء لا يتورعون عن معاملة نبيهم بهذا الأسلوب الوقح والقبيح، فهل تراهم يوقرون من هو دونه، في ظروف وحالات هي أقل بكثير من حالاتهم معه «صلى الله عليه وآله»؟!.

وماذا عسى أن يكون موقفهم ممن طفحت قلوبهم بالحقد عليه، ولهم قِبَلَهُ ترات وثارات أسلافهم الذين قتلهم على الشرك، وهو أمير المؤمنين

الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه..

وسيجدون أن الإجابة لن تكون في صالح هؤلاء المتجرئين على نبيهم «صلى الله عليه وآله».

وهكذا.. فإنه يكون «صلى الله عليه وآله» قد أفقدهم، وأفقد مؤيديهم كل حجة، وحرمهم من كل عذر، سوى البغي والإصرار على الباطل، والجحود للحق؛ فقد ظهر ما كان خفياً، وأسفر الصبح لذي عينين، ولم يعد يمكن الإحالة، على المجهول، بدعوى: أنه يمكن أن يكون قد ظهر لهم ما خفي علينا.

أو أنهم ـ وهم الأتقياء الأبرار ـ لا يمكن أن يخالفوا أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا أن يبطلوا تدبيره، ويخونوا عهده، وهو لمّا يُدفن.

أو أن من غير المعقول: أن تصدر الخيانة من أكثر الصحابة؟! أو أن يسكتوا عنها بأجمعهم.

وما إلى ذلك من أساليب تضليلية، يمارسها البعض لخداع السذج والبسطاء، ومن لا علم لهم بواقع أولئك الناس، ولا بمواقفهم.

فإن كل هذه الدعاوى قد سقطت، وجميع تلكم الأعذار قد ظهر زيفها وبطلانها، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر.

١١ـ القرار الإلهي الثابت:

والذي ساهم في قطع كل عذر، وبوار كل حجة: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد تابع طريقته الحكيمة في فضح أمر هؤلاء المتجرئين، بما ستأتي الإشارة إليه، في أمور فاجأهم بها، مثل قضية تجهيز جيش أسامة،

وعزل أبي بكر عن الصلاة، وطلب كتابة الكتاب، فيما عُرف برزية يوم الخميس.

وكل ذلك قد كان منه في الأيام الأخيرة من حياته «صلى الله عليه وآله»، بحيث لم يبق مجال لدعوى الإنابة والتوبة، أو الندم على ما صدر منهم، ولا لدعوى تبدل الأوضاع والأحوال، والظروف والمقتضيات، ولا لدعوى تبدل القرار الإلهي النبوي الثابت.

١٢ـ التهديد والتآمر:

هذا.. وقد تقدم: أن هؤلاء أنفسهم حينما رأوا جدية التهديد الإلهي، قد سكتوا في غدير خم حين أعلن النبي «صلى الله عليه وآله» إمامة علي «عليه السلام»؛ فلم نجد منهم أية بادرة، إلا فيما ندر من همسات عابرة، لا تكاد تسمع.

وقد بادر هؤلاء أنفسهم إلى البيعة له «عليه السلام».. وإن كانوا قد أسروا وبيتوا ما لا يرضاه الله ورسوله، من القول والفعل، والنية والتخطيط. الذي ظهرت نتائجه بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو «صلى الله عليه وآله» لما يدفن، بل وقبل ذلك، حينما تصدى بعضهم لمنع النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» من كتابة الكتاب بالوصية لعلي «عليه السلام»، حينما كان النبي «صلى الله عليه وآله» على فراش المرض، في ما عرف برزية يوم الخميس! وقال قائلهم: إن النبي ليهجر!

أو: غلبه الوجع!

أو فقالوا: هجر رسول الله!

أو: ما شأنه أهجر؟

قال سفيان: يعنى هذى، استفهموه![1].

---

(١) راجع: مسند أحمد ج١ ص٢٢٢ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٥٥ والإيضاح ص٣٥٩ وتذكرة الخواص ص٦٢ وسر العالمين ص٢١ وصحيح البخاري ج٣ ص٦٠ وج٤ ص٥ و ١٧٣ وج١ ص٢١ ـ ٢٢ وج٢ ص١١٥ و (ط دار الفكر) ج٤ ص٣١ و ٦٦ وج٥ ص١٣٧ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٢٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٣٤ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٥٧ وج١٠ ص٣٦١ وراجع ج٥ ص٤٣٨ والإرشاد للمفيد ص١٠٧ والبحار ج٢٢ ص٤٧٢ و ٤٩٨ وج٣٠ ص٥٣٠ و ٥٣٨ وراجع: الغيبة للنعماني ص٨١ ـ ٨٢ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٩٨ وج١٥ ص٩٠ وج١٨ ص٦١ و ٦٢ وفتح الباري ج٨ ص١٠١ و ١٠٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص٢٤٧ والبدء والتاريخ ج٥ ص٥٩ والملل والنحل ج١ ص٢٢ والطبقات الكبرى ج٢ ص٢٤٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٩٢ ـ ١٩٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٤٣٦ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٢٠ وأنساب الأشراف ج١ ص٥٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٥٥ وج٦ ص٥١ وج١٣ ص٣١ ونصب الراية ج٤ ص٣٤٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٦٤ وصحيح مسلم ج٥ ص٧٥ و ٧٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤٤ ونهج الحق ص٢٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٥٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج٢ ص١٩٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٤٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ قسم٢ ص٦٢. وراجع: حق اليقين ج١ ص١٨١ـ ١٨٢ ودلائل الصدق ج٣ قسم١ ص٦٣ ـ ٧٠ والصراط المستقيم ج٣ ص٣ و ٦ والمراجعات ص٣٢٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ والنص والاجتهاد ص١٤٩ ـ ١٦٣ ومسند الحميدي ج١ ص٢٤٢.

وسيأتي إن شاء الله أنهم أخذوا هذا الأمر من صاحبه الشرعي بقوة السلاح، بعد أن ارتكبوا جرائم وعظائم، وانتهكوا لله حرمات.. فإنا لله وإنا إليه راجعون..

الخير في ما وقع:

وأخيراً.. فإن ما جرى في عرفة، ومنى، وإظهار هؤلاء الناس على حقيقتهم، وما تبع ذلك من فوائد وعوائد أشير إليها، قد كان ضرورياً ولازماً، للحفاظ على مستقبل الدعوة، وبقائها، فقد عرفت الأمة الوفي والتقي، من المتآمر والغادر، والمؤمن الخالص، من غير الخالص، وفي ذلك النفع الكثير والخير العميم. ﴿**فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾[1]. وصدق الله ورسوله، وخاب من افترى.. ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**﴾[2].

---

(١) الآية ١٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.

[illegible]

[illegible]

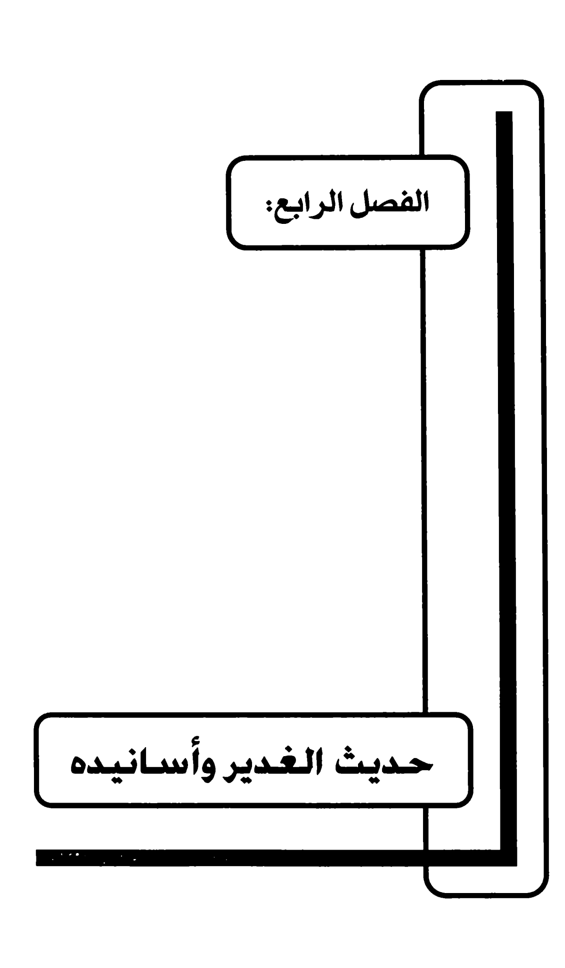
[illegible]

[illegible]

---

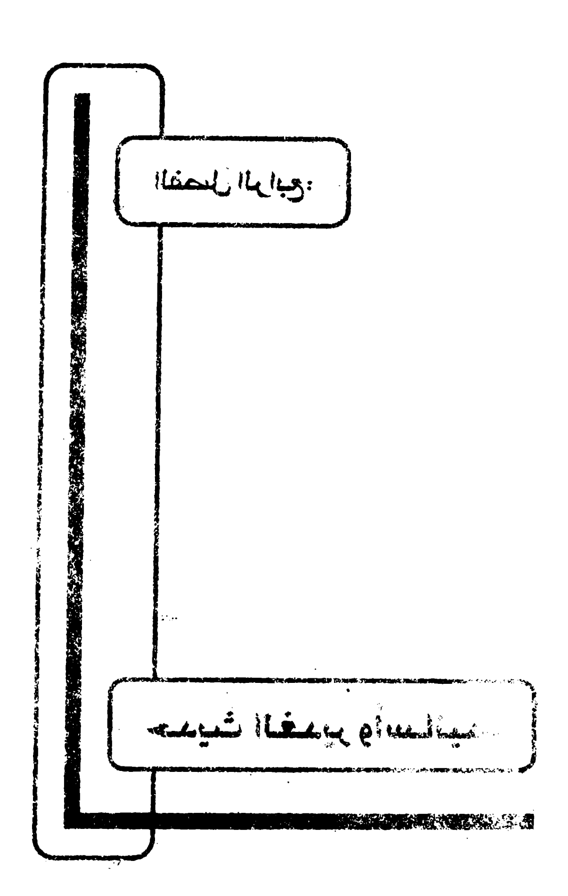
(١) [illegible]

(٢) [illegible]



الفصل الرابع:

حديث الغدير وأسانيده



الفصل الرابع:

الإسلام يجمعنا شيعة

غدير خم لتبرئة علي عليه السلام:

قال ابن كثير: «فصل في إيراد الحديث الدال على أنه «عليه السلام» خطب بمكان بين مكة والمدينة، مرجعه من حجة الوداع، قريب من الجحفة ـ يقال له غديرِ خم ـ فبين فيها فضل علي بن أبي طالب، وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جوراً، وتضييقاً وبخلاً، والصواب كان معه في ذلك.

ولهذا لما تفرغ «عليه السلام» من بيان المناسك، ورجع إلى المدينة بين ذلك في أثناء الطريق. فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذٍ، وكان يوم الأحد بغدير خم، تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه»[1].

إلى أن قال: «قال محمد بن إسحاق ـ في سياق حجة الوداع ـ: حدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد

---

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٤.

بن ركانة، قال: لما أقبل علي من اليمن، ليلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمكة، تعجل إلى رسول الله، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل، فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي.

فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك! ما هذا؟

قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس.

قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز.

قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم"[1].

ثم روى ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس علياً، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فينا خطيباً، فسمعته يقول: «أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يُشكى»[2].

---

(١) والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٦٠٣ و (ونشر مكتبة محمد علي صبيح) ج٤ ص١٠٢١ والبحار ج٤١ ص١١٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٠٢ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٧٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٣٠٤ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤.

(٢) والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ وج٧ ص٣٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٥ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤ ومسند أحمد ج٣ ص٨٦ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٦٠٣ و (ونشر مكتبة=

ونقول:

إن ما زعمه ابن كثير، ليس له أية قيمة علمية، فإنه مجرد اجتهاد منه في مقابل النصوص التي صرحت: بأن ما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما هو نصب منه، بل من الله لعلي «عليه السلام» لمقام بعينه، وكلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير صريحة في ذلك..

ونزول آية كمال الدين في مناسبة الغدير كما ورد في النصوص، يبطل هذا الإجتهاد الذي أتحفنا به ابن كثير..

وحتى لو كانت آية الإكمال قد نزلت يوم عرفة، فإنها قد دلت على أنه لم يكن إكمال الدين بإضافة أمر جديد، إذ لم نجد في الآية الشريفة المذكورة إلا التأكيد على أحكام سبق تشريعها في آيات أخرى.

فالجديد إذن هو ولاية علي «عليه السلام»، وقد حاول أن يبلغها يوم عرفة، فمنعته قريش، والطامعون في الأمر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله». فأنزل الله عليه العصمة من الناس، وأمره بالتبليغ مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

فجمع الناس في غدير خم، وأبلغهم ولاية علي «عليه السلام»، ثم نزل

= محمد علي صبيح) ج٤ ص١٠٢٢ وينابيع المودة ج٢ ص٣٩٨ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٨٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٩٩ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص١٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٤٠ و ٢٣٤ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ وج٢٠ ص٣٠٠ و ٣٠٢ وج٢٣ ص٦٠٦ وج٣١ ص٤٨.

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

جبرئيل عليه يأمره بقراءة آية إكمال الدين وإتمام النعمة عليهم، ففعل «صلى الله عليه وآله».

وإن نفس اعتبار هذا الأمر الذي أمر بإبلاغه موازياً للرسالة كلها، يكفي لدحض ما زعمه ابن كثير..

وسيأتي إن شاء الله المزيد مما يدل على سقوط اجتهاد هذا الرجل..

بل ما رواه ابن إسحاق أخيراً من خطبة للنبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام» يشير إلى أنها خطبة أخرى لا ربط لها بما جرى في الغدير. ولكن ابن كثير اجتهد في تطبيق هذه على تلك.. ولم يكن موفقاً في ذلك أبداً.. كما سنرى.

يوم الغدير يوم الله الأكبر:

إن ما جرى في يوم الغدير قد جعل هذا اليوم من أكثر الأيام حساسية وأهمية للإسلام ولأهله. وقد أصبح هذا اليوم عيداً لدى طائفة كبيرة من المسلمين المؤمنين. واعتبرته طائفة أخرى يوم بلاء وعناء، تتعامل مع كل ما يجري فيه بالحقد والضغينة، والشنآن.

بل قد يبلغ الأمر ببعض هؤلاء حد استحلال دماء من يظهر الفرح في هذا اليوم، فكانوا وما زالوا يرتكبون أعظم المجازر في حقهم. وأحداث التاريخ تشهد على ما نقول كما ربما يمر معنا.

ومن جهة أخرى، فإن هذا اليوم قد حظي بعناية بالغة، من حيث البحث والتقصي لما قيل فيه وجرى، ومن نقل وروى.. فألفت الكتب الكثيرة، وكتبت البحوث الغزيرة منذ عهود الإسلام الأولى، وإلى يومنا هذا.

ونحن لا نريد استقصاء ذلك كله، بل نريد عرض ما جرى، مع مراعاة الإختصار الشديد، وتوخي الوضوح الأكيد، وربما نتناول بعض الجوانب التي نرى أن تناولها راجح ومفيد.

غير أننا نود أن نعلم القارئ بأننا سوف نكثر من الإحالة على كتاب الغدير للعلامة الأميني، فإنه من أجلِّ الكتب وأكثرها استيفاءً للنصوص والمصادر.

خلاصة ما جرى يوم الغدير:

ونبدأ بذِكر ملخص لما جرى وفق ما أورده صاحب كتاب الغدير في أول كتابه كما يلي:

قال «رحمه الله»:

«فلما قضى مناسكه، وانصرف راجعاً إلى المدينة، ومعه من كان من الجموع المذكورات، وصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[1]. وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية، وفرض الطاعة على كل أحد.

وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وآله» أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهى عن سمرات خمس متقاربات، دوحات عظام، أن لا ينزل تحتهن أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فَقُمَّ ما تحتهن.

حتى إذا نودي بالصلاة ـ صلاة الظهر ـ عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه، من شدة الرمضاء، وظلّل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بثوب على شجرة سمرة من الشمس.

فلما انصرف «صلى الله عليه وآله» من صلاته، قام خطيباً وسط القوم[1]

---

(١) راجع: الغدير ج١ ص٢١٠ ـ ٢٢٣ وقد صرح بنزول الآية في هذه المناسبة كثيرون، فراجع ما عن المصادر التالية: ابن جرير الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير كما في ضياء العالمين، والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ وفتح القدير ج٢ ص٥٧ و ٦٠ عن ابن أبي حاتم، وكنز العمال ج١١ ص٦٠٣ وعن أبي بكر الشيرازي وابن مردويه، وكشف الغمة للأربلي ص٣٢٤ و ٣٢٥ وعن تفسير الثعلبي، والعمدة لابن البطريق ص١٠٠ والطرائف لابن طاووس ج١ ص١٥٢ و ١٢١ ومجمع البيان ج٣ ص٣٤٤ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢٩ وأبي نعيم في كتابه ما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» ص٨٦ وخصائص الوحي المبين ص٥٣ وأسباب النزول ص١٣٥ وشواهد التنزيل ج١ ص٢٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٣٧ والتفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٤٩ ومفتاح النجا في مناقب آل العبا ص٣٤ ومودة القربى (المودة الخامسة) وفرائد السمطين ج١ ص١٥٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤٢ وعمدة القاري ج١٨ ص٢٠٦ وغرائب القرآن للنيسابوري ج٦ ص١٧٠ وشرح ديوان أمير المؤمنين للميبـذي ص٤٠٦ وعن أبي الشيـخ، وابن أبي حاتـم، وعبد بن =

على أقتاب الإبل، وأسمع الجميع رافعاً عقيرته[1]، فقال:

«الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.. أيها الناس، قد نبأني اللطيف الخبير: أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، و أن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟

= حميد، وابن مردويه، وثمار القلوب للثعالبي ص٦٣٦ وراجع: روح المعاني ج٦ ص١٩٢ وينابيع المودة ج١ ص١١٩ وراجع: تفسير المنار ج٦ ص٤٦٣ والبحار ج٣٧ ص١١٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦٥٧ وإعلام الورى ج١ ص٢٦١ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٥٣ وكشف اليقين ص٢٤٠ وتفسير القمي ج١ ص١٧٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٦٩.

(١) راجع: الغدير ج١ ص١٠ وراجع: البحار ج٣٧ ص١٦٦ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٤٤.

قالوا: نعم.

قال: فإني فرط على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض، وإن عرضه ما بين صنعاء وبُصرى(١)، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين(٢).

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربي، فلا تَقَدَّموهما فتهلكوا، ولا تُقَصِّروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات ـ وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ـ ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

---

(١) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. وبُصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

(٢) الثقل، بفتح المثلثة والمثناة: كل شيء خطير نفيس.

دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الآية[1]»[2].

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي.

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وممن هنأه في مقدم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر، كلٌّ يقول: بَخٍ بَخٍ لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولايَ ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) وقد روي نَزول الآية في يوم الغدير في المصادر التالية: الغدير ج١ ص١١ و ٢٣٠ ـ ٢٣٧ و ٢٩٦ وروى ذلك الطبري في كتاب الولاية في طرق حديث الغدير، كما في ضياء العالمين. وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤ عن ابن مردويه، والدر المنثور ج٢ ص٢٥٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٣٧ والإتقان ج١ ص٣١ وكشف الغمة ج١ ص٣٣٠ وعن مفتاح النجا، وعن الفرقة الناجية وما نزل من القرآن في علي «عليه السلام» لأبي نعيم ص٥٦ وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٢٨ وتاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص١٨ والعمدة لابن البطريق ص١٠٦ وشواهد التنزيل للحسكاني ج١ ص٢٠١ والمناقب للخوارزمي ص١٣٥ و١٥٦ وفرائد السمطين ج١ ص٧٤ و٧٢ وعن النطنزي في كتابه الخصائص العلوية، وتوضيح الدلائل للصالحاني، وتذكرة الخواص ص٣٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٠. وراجع: البحار ج٢١ ص٣٩٠ وج٣٧ ص١٣٤ و ١٦٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٠١ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٤٤ وإعلام الورى ج١ ص٢٦١ ـ ٣٦٣ قصص الأنبياء للراوندي ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٢٠ وكشف اليقين ص٢٥٣.

وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم[1].

الخطبة برواية الطبري:

وعن زيد بن أرقم: أنه «صلى الله عليه وآله» خطب في يوم الغدير خطبة بالغة، ثم قال: إن الله تعالى أنزل إليَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]، وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد، وأُعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي، ووصيي، وخليفتي، والإمام بعدي.

فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي، لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المؤذين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي، وشدة إقبالي عليه، حتى سموني أذناً، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾[3]. ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرمت.

فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه. فاعلموا معاشر الناس ذلك، فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماض حكمه، جائز

---

(١) الغدير ج١ ص١٠ و ١١. وراجع: العمدة لابن البطريق ص١٠٤ ـ ١٠٦ والبحار ج٣٧ ص١٨٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٢ وج٨ ص١٢٢ عن المناقب لابن المغازلي ١٦ ـ ١٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤١ و ٣٤٢ عن ابن المغازلي.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم، وعلي إمامكم.

ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة، لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم.

فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيَّ، ونقلته إليه؛ فلا تضلوا عنه، ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره، ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك، أن يعذبه عذاباً نكراً أبد الآبدين.

فهو أفضل الناس بعدي، ما نزل الرزق، وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، فلتنظر نفس ما قدمت لغد.

إفهموا محكم القرآن، ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا آخذ بيده، وشائل بعضده، ومُعْلِمُكم: أن من كنت مولاه فهذا (فعلي) مولاه، وموالاته من الله عز وجل أنزلها عليَّ.

ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبي «صلى الله عليه وآله» وقال:

معاشر الناس! هذا أخي، ووصيي، وواعي علمي، وخليفتي على من آمن بي، وعلى تفسير كتاب ربي.

وفي رواية: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب على من جحد حقه.

اللهم إنك أنزلت عند تبيين ذلك في علي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ﴾[١] بإمامته، فمن لم يأتم به، وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة، فأولئك حبطت أعمالهم، وفي النار هم خالدون.

إن إبليس أخرج آدم «عليه السلام» من الجنة، مع كونه صفوة الله، بالحسد[٢]، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم، وتزل أقدامكم.

في علي نزلت سورة ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٣].

معاشر الناس! آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾[٤].

النور من الله فيَّ، ثم في عليٍّ، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر الناس! سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون، وإن الله وأنا بريئان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار. وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً، فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان و ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾[٥]»[٦].

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) لنا كتاب مستقل حول هذا الموضوع أسميناه «براءة آدم»، فلا بأس بالرجوع إليه في هذا الموضوع.

(٣) الآيتان ١ و ٢ من سورة العصر.

(٤) الآية ٤٧ من سورة النساء.

(٥) الآية ٣٥ من سورة الرحمن.

(٦) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٢١٥ و ٢١٦ عن ضياء العالمين للفتوني عن كتاب الولاية للطبري.

وراجع: كتاب الإحتجاج ج١ ص١٣٣ ـ ١٦٢ والتحصين لابن طاووس ص٥٧٩ =

النبي ﷺ يعلمهم التهنئة والبيعة:

وتذكر الروايات أيضاً: أنه قال «صلى الله عليه وآله»:

«معاشر الناس! قولوا أعطيناك على ذلك عهداً من أنفسنا، وميثاقاً بألسنتنا، وصفقة بأيدينا، نؤديه إلى من رأينا من أولادنا وأهالينا، لا نبغي بذلك بدلاً، وأنت شهيد علينا، و كفى بالله شهيداً.

قولوا ما قلت لكم، وسلموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: ﴿**الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ**﴾[1]، فإن الله يعلم كل صوت، وخائنة كل عين، ﴿**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾[2]. قولوا ما يرضي الله عنكم، فـ ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ**﴾[3]»[4].

=ـ ٥٩٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٩١ ـ ١١٢ والعدد القوية للحلي ص١٦٩ ـ ١٨٣ و والتفسير الصافي ج٢ ص٥٦ ـ ٦٧ وفيها زيادات هامة، والبحار ج٣٧ ص٢٠١ ـ ٢١٩ وروضة الواعظين ص١٠٠ ـ ١١٣ و (ط منشورات الشريف المرتضى) ص٩١ ـ ٩٩ وغاية المرام ج١ ص٤٠٢ ـ ٤١٩ وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠١ ـ ٣٠٤.

(١) الآية ٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٣) الآية ٧ من سورة الزمر.

(٤) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢٧٠ عن الطبري في كتاب الولاية، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والطي. وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠٣ والبحار ج٣٧ ص٢١٧.

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم، سمعنا وأطعنا لما أمرنا الله ورسوله، بقلوبنا، وأنفسنا، وألسنتنا، وجميع جوارحنا.

ثم انكبوا على رسول الله، وعلى عليٍّ بأيديهم

وكان أول من صافق رسول الله أبو بكر وعمر، وطلحة والزبير، ثم باقي المهاجرين [والأنصار وباقي] الناس على طبقاتهم، ومقدار منازلهم، إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، ولم يزالوا يتواصلون البيعة والمصافقة ثلاثاً، ورسول الله كلما بايعه فوج بعد فوج يقول: «الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين».

وصارت المصافقة سنة ورسماً، واستعملها من ليس له حق فيها[1].

ثم جلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خيمة تختص به، وأمر أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» أن يجلس في خيمة أخرى، وأمر أطباق الناس بأن يهنئوا علياً في خيمته.

ولما فرغ الناس عن التهنئة له أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمهات المؤمنين بأن يسرن إليه ويهنئنه، ففعلن.

وممن هنأه من الصحابة: عمر بن الخطاب، فقال: هنيئاً لك (أو بَخٍ بَخٍ

---

(١) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢٧٠ وعن الطبري في كتاب الولاية، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والطي. وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠٣ والإحتجاج ج١ ص٨٤ واليقين لابن طاووس ص٣٦٠ والبحار ج٣٧ ص٢١٧ والتفسير الصافي ج٢ ص٦٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٢ والعدد القوية للحلي ص١١٨٣.

لك) يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات"[1].

وفي نص آخر: قال أبو بكر وعمر: أمسيت يابن أبي طالب مولى كل

---

(١) راجع: تاريخ روضة الصفا لابن خاوند شاه ج٢ ص٥٤١ وحبيب السير ج١ ص٤١١.

وحول تهنئة عمر له راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج١٢ ص٧٨ ومسند أحمد ج٤ ص٢٨١ وجامع البيان ج٣ ص٤٢٨ والغدير ج١ ص٢٧٣ و ٢٧٤ عن الحسن بن سفيان الشيباني النسوي وعن شرف المصطفى للخركوشي، وابن مردويه، وعن الكشف والبيان، وعن العاصمي في زين الفتى، وعن فضائل الصحابة للسمعاني، والمناقب لابن الجوزي والخصائص العلوية للنطنزي، وعن مودة القربى، وعن الصراط السوي للقادري، وعن السهارنپوري، وعن ولي الله الدهلوي، وعن مفتاح النجا ومعارج العلى، وعن تفسير شاهي والرياض النضرة ج٣ ص١١٣ وعن حياة علي بن أبي طالب للشنقيطي ص٢٨ ونظم درر السمطين ص١٠٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص١٨ وسر العالمين ص٢١ والملل والنحل ج١ ص١٤٥ والمناقب للخوارزمي ص٩٤ والتفسير الكبير ج١٢ ص٤٩ والنهاية في اللغة ج٥ ص٢٢٨ وعن أسد الغابة ج٤ ص١٠٨ وتذكرة الخواص ص٢٩ ووسيلة المتعبدين ج٥ ق٢ ص١٦٢ وفرائد السمطين ج١ ص٧٧ ومشكاة المصابيح ج٣ ص٣٦٠ وبديع المعاني ص٧٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٩ و ٢١٠ والخطط للمقريزي ج١ ص٣٨٨ وكنز العمال ج١٣ ص١٣٣ وشرح ديوان أمير المؤمنين للميبذي ص٤٠٦ ووفاء الوفاء ج٣ ص١٠١٨ والمواهب اللدنية ج٣ ص٣٦٥ ووسيلة المآل ص١١٧ ونزل الأبرار ص٥٢ والروضة الندية ص١٥٥ ووسيلة النجاة ص١٠٢ ومرآة المؤمنين ص٤١ وتاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ ومصادر أخرى تقدمت.

مؤمن ومؤمنة[1].

فقال حسان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليٍّ أبياتاً تسمعهن.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسان، فقال: يا معشر مشيخة قريش، أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية، ثم قال[2]:

---

(١) راجع: الغدير ج١ ص٢٧٣ عن كتاب الولاية لابن عقدة، وعن المرزباني في كتابه سرقات الشعر، وعن الدارقطني، وعن الإبانة لابن بطة، وعن التمهيد للباقلاني، وعن العاصمي في زين الفتى، والصواعق المحرقة ص٤٤ وكفاية الطالب ص٦٢ ـ ٦٤ وفيض القدير للمناوي ج٦ ص٢١٨ و (دار الكتب العلمية) ج٦ ص٢٩٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٧ ص١٣ والفتوحات الإسلامية ج٢ ص٣٠٦. والفضائل لابن شاذان ص١٣٣ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٥٥ والبحار ج١٠٤ ص١١٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١١ و ٢٦٣ و٣٦٤ و ٤٠٥ و ٤١٢ وج٨ ص٨٢ وج٩ ص٩٧ و ١٤٣ و المراجعات للسيد شرف الدين ص٢٨٢ والغدير ج١ ص١١ و ٢٧٣ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٣٠٣ و ٣٠٩ و ٣٥٤ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٣٦٦ وج٢٠ ص٥٨١ و ٥٩٩ وج٢١ ص٥٠ و ٥٢ و ٥٦ وج٣١ ص٥٠٠ وراجع: نهج الإيمان لابن جبر ص١٢٧.

(٢) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص١١ و ٢٣٢ ورسائل المرتضى ج٤ ص١٣١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص١١٩ و ٣٦٣ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٤٦٩ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٩٤ والطرائف ص١٤٦ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص٦٤ والجمل للمفيد ص١١٧ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» وما نزل من القرآن في علي =

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم فاسمع بالرسول مناديا
يقول: فمن مولاكم ووليكم؟ ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولم تر منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا: اللهم وال وليه ... وكن للذي عادا علياً معاديا

وحسب رواية سليم بن قيس:

ألم تعلموا أنِ النبي محمداً ... لدى دوح خم حين قام مناديا
وقد جاءه جبريل من عند ربه ... بأنك معصوم فلا تك وانيا

= «عليه السلام» لابن مردويه ص٢٣٣ والمناقب للخوارزمي ص١٣٦ والبحار ج٢١ ص٣٨٨ وج٣٧ ص١١٢ و ١٦٦ و ١٧٨ و ١٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٥٦ وج٢٠ ص١٩٩ والأمالي للصدوق ص٦٧٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٦ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص٤٢ وروضة الواعظين ص١٠٣ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢٠ ونظم درر السمطين ص١١٢ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص٢٩٠ والإرشاد ج١ ص١٧٧ وأقسام المولى للشيخ المفيد ص٣٥ والصراط المستقيم ج١ ص٣٠٥ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٣٠ وكنز الفوائد ص١٢٣ ومسار الشيعة للشيخ المفيد ص٣٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٦٢ والدر النظيم ص٢٥٣ و ٣٩٦ وكشف الغمة ج١ ص٣٢٥.

وبلغهم ما أنزل الله ربهم ... وإن أنت لم تفعل وحاذرت باغيا

عليك فما بلغتهم عن إلههم ... رسالته إن كنت تخشى الأعاديا

فقام به إذ ذاك رافع كفه ... بيمنى يديه معلن الصوت عاليا

فقال لهم: من كنت مولاه منكم ... وكان لقولي حافظاً ليس ناسيا

فمولاه من بعدي علي وإنني ... به لكم دون البرية راضيا

فيا رب من والى علياً فواله ... وكن للذي عادى علياً معاديا

ويا رب فانصر ناصريه لنصرهم ... إمام الهدى كالبدر يجلو الدياجيا

ويا رب فاخذل خاذليه وكن لهم ... إذا وقفوا يوم الحساب مكافيا[1]

وعن عمر بن الخطاب قال:

نصب رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً علماً، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدي عليهم.

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح، قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلا منافق.

فأخذ رسول الله بيدي فقال: يا عمر، إنه ليس من ولد آدم، لكنه جبرائيل أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي[2].

---

(١) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٨٢٨ و ٨٢٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص٣٥٦ والبحار الأنوار ج٣٧ ص١٩٥.

(٢) الغدير للعلامة الأميني ج١ ص٥٧ عن مودة القربى لشهاب الدين الهمداني، المودة الخامسة، وينابيع المودة ج٢ ص٧٣ و (ط دار الأسوة) ص٢٨٤ عنه. =

قضية الغدير ليست واقعة حرب معروفة:

كانت تلك خلاصة لواقعة الغدير. وقد ظهر أنها ليست واقعة حرب معروفة، كما زعمه الدكتور ملحم إبراهيم الأسود في تعليقته على ديوان أبي تمام[1]، إذ ليس في غزوات النبي «صلى الله عليه وآله» ولا في سراياه أية واقعة حرب أخرى معروفة بهذا الاسم.

وما عرف في الجاهلية بهذا الاسم[2] لم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» ولا لعلي «عليه السلام» أي ارتباط به..

كما أنها لم تكن لأجل تبرئة علي «عليه السلام» مما نسب إليه من الجور على من كان معَه في اليمن، كما زعمه ابن كثير، ومن هم على شاكلته..

عيد الغدير عبر القرون والأحقاب:

هذا.. ولا حاجة بنا إلى إثبات أن عيد الغدير عيد إسلامي أصيل، وأنه لم يزل معروفاً بهذه الصفة منذ القرون الثلاثة الأولى.

وبذلك يظهر عدم صحة قول المقريزي عن عيد الغدير: «أول ما عرف في الإسلام بالعراق، أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين

= وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨٧ وج٩ ص٢٧٣ والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص١٧٨ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٥٢ عن أرجح المطالب (ط لاهور) ص٥٦٥، وج٢١ ص٦٥ عن آل محمد (نسخة مكتبة السيد الأشكوري) ص٤٥٣ وراجع: الدر النظيم ص٢٥٣.

(١) الغدير للعلامة الأميني ج٢ ص٣٣١ عن شرح ديوان أبي تمام ص٣٨١.

(٢) راجع: الأغاني ج١٠ ص١٤ و ١٥ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص٩٩.

وخمسين وثلاث مائة، فاتخذه الشيعة من حينئذٍ عيداً»[1].

فإن هذا القول لا يصح، ولا مجال لقبوله، فقد قال المسعودي: «وولْدُ علي رضي الله عنه، وشيعته يعظمون هذا اليوم»[2].

والمسعودي قد توفي قبل التاريخ المذكور، أي في سنة ٣٤٦ هـ.

وروى فرات بن إبراهيم، وهو من علماء القرن الثالث عن الصادق، عن أبيه، عن آبائهم «عليهم السلام»، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي الخ..»[3].

وقد اعتبره أمير المؤمنين علي «عليه السلام» عيداً أيضاً، حيث إنه «عليه السلام» خطب في سنة اتفق فيها الجمعة والغدير، فقال: «إن الله عز وجل جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين..».

والخطبة طويلة يأمرهم فيها تفصيلاً بفعل ما ينبغي فعله في الأعياد، وبإظهار البشر والسرور، فمن أراد فليراجع[4].

---

(١) الخطط للمقريزي ج١ ص٢٨٨.

(٢) التنبيه والإشراف ص٢٢١ و ٢٢٢.

(٣) راجع: الغدير ج١ ص٢٨٣ والأمالي للصدوق ص١٨٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٦٤ والبحار ج٣٧ ص١٠٩ وج٩٤ ص١١٠ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٥٨٩ وبشارة المصطفى للطبري ص٤٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٣٩ وروضة الواعظين ص١٠٢.

(٤) مصباح المتهجد ص٦٩٨ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٥٤ والغدير ج١ ص٢٨٤ عنه، والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٥ و (ط دار =

وقد روى فرات بسنده عن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قلت: جعلت فداك، للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى، ويوم الجمعة، ويوم عرفة؟!

قال: فقال لي: «نعم، أفضلها، وأعظمها، وأشرفها عند الله منزلة، هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأنزل على نبيه محمد: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ الآية[1]»[2].

وفي الكافي: عن الحسن بن راشد، عن الإمام الصادق «عليه السلام» أيضاً: أنه اعتبر يوم الغدير عيداً.

وفي آخره قوله: «فإن الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً».

قال: قلت: فما لمن صامه؟

= الإسلامية) ج٧ ص٣٢٧ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٥٦ والمصباح للكفعمي ص٦٩٧ والبحار ج٩٤ ص١١٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢١ والغدير ج١ ص٢٨٤ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج٢ ص٢٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٧٢.

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الغدير ج١ ص٢٨٤ و ٢٨٥ وتفسير فرات ص١١٧ حديث ١٢٣ ومستدرك الوسائل ج٦ ص٢٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٧٣ والبحار ج٣٧ ص١٦٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٦ ص١٨٠ و ٣١٣ و ٤١٣.

قال: «صيام ستين شهراً»[1].

ويؤيده: ما رواه الخطيب البغدادي، بسند رجاله كلهم ثقات، عن أبي هريرة: من صام يوم ثماني عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم الخ..»[2].

---

(١) الكافي ج٤ ص١٤٨ و ١٤٩ والغدير ج١ ص٢٨٥ عنه، ومصباح المتهجد ص٦٨٠ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٣٧ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥١٩ ومشارق الشموس (ط.ق) ج٢ ص٤٥١ والحدائق الناضرة ج١٣ ص٣٦١ وجامع المدارك ج٢ ص٢٢٤ وثواب الأعمال للصدوق ص٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٩٠ وتهذيب الأحكام ج٤ ص٣٠٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤١ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٤ والبحار ج٣٧ ص١٧٢ وج٩٤ ص١١١ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢٠ وبشارة المصطفى للطبري ص٣٦٤.

(٢) تاريخ بغداد ج٨ ص٢٩٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٨٤ وأشير إليه في تذكرة الخواص ص٣٠ والمناقب للخوارزمي ص٩٤ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص١٥٦ وفيه ستين سنة بدل ستين شهراً، ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٩ وفي فرائد السمطين الباب١٣ ج١ ص٧٧ كما في مناقب الخوارزمي، والغدير ج١ ص٢٣٢ و ٤٠١ و ٤٠٢ عنهم، وعن زين الفتى للعاصمي. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢٥ والأمالي للصدوق ص٥٠ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٦ وج٦ ص١٢٠ وينابيع المودة ج٢ ص٢٨٣ والطرائف ص١٤٧ وروضة الواعظين ص٣٥٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٤ و ١٨٧ و ٢٤٦ و ٢٧٧ و ٣٤٤ و ٣٤٨ و ٣٥٤ وج٨ ص٢٧٧ و ٢٨١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ =

وفي رواية أخرى: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوصى علياً «عليه السلام» أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً[1].

وليراجع ما رواه المفضل بن عمر، عن الصادق «عليه السلام»[2].

وما روي عن عمار بن حريز العبدي عنه «عليه السلام»[3].

= و ٣٠١ و ٣٠٢ والعمدة لابن البطريق ص١٠٦ والبحار ج٣٧ ص١٠٨ وج٩٤ ص١١٠ وج٩٥ ص٣٢١ وتفسير الآلوسي ج٦ ص١٩٤ وشواهد التنزيل ج١ ص٢٠٠ و ٢٠٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٨ وراجع: تاريخ مدَينة دمشق ج٤٢ ص٢٣٣ و ٢٣٤ وبشارة المصطفى للطبري ص١٥٨ و ٤٠٢ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٢٥٨ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٣٤ و ٢٥٥ و ٣٥٣ وج١٤ ص٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ وج٢٠ ص١٩٧ وج٢١ ص٦١ و ٦٤ وج٣٠ ص٧٧ و و ٧٨ و ٧٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣٣ و ٣٨٦.

(١) الكافي ج٤ ص١٤٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٣ والبحار ج٣٧ ص١٧٢ والغدير ج١ ص٢٨٥ و ٢٨٦ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥١٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤١٩ والحدائق الناضرة ج١٣ ص٣٦٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٢.

(٢) الخصال ج١ ص٢٦٤ والغدير ج١ ص٢٨٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٥ والبحار ج٩٤ ص١١ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٢.

(٣) مصباح المتهجد ص٦٨٠ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٣٧ والغدير ج١ =

وعن أبي الحسن الليثي عنه «عليه السلام»[1].

وعن زياد بن محمد عن الصادق «عليه السلام»[2].

وعن سالم عن الإمام الصادق «عليه السلام»[3].

= ص٢٨٦ والبحار ج٩٥ ص٢٩٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص ٣٢٦ وراجع: مستدركات علم رجال الحديث ج٨ ص٤٧٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٤ والحدائق الناضرة ج١٠ ص٥٣٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٧ ص٤١١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٣٣.

(١) الغدير ج١ ص٢٨٧ عن الحميري، ومستدرك الوسائل ج٦ ص٢٧٦ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٧٩ والبحار ج٩٥ ص٣٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج٧ ص٤١١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٣.

(٢) مصباح المتهجد ص٦٧٩ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٣٦ والمصباح للكفعمي ص٦٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤١٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٣٨.

(٣) الكافي ج٤ ص١٤٩ والغدير ج١ ص٢٨٥ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج١ ق٣ ص٥١٩ والحدائق الناضرة ج١٣ ص٣٦٢ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٠ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٣ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٦٣ والبحار ج٣٧ ص١٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤١٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٦ ص١٩٢ وج٧ ص٣٩٢ وج٨ ص٣٦ .

وقال الفياض بن عمر الطوسي سنة تسع وخمسين ومائتين، وقد بلغ التسعين: إنه شهد أبا الحسن علي بن موسى الرضا «عليه السلام» في يوم الغدير، وبحضرته جماعة من خاصته، قد احتبسهم للإفطار، وقد قدم إلى منازلهم الطعام، والبر والصلات، والكسوة حتى الخواتيم والنعال، وقد غير من أحوالهم، وأحوال حاشيته، وجددت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وقدمه[1].

وفي المحتضر، بالإسناد، عن محمد بن علاء الهمداني الواسطي، ويحيى بن جريح البغدادي، قالا في حديث: قصدنا جميعاً أحمد بن إسحاق القمي، صاحب الإمام أبي محمد العسكري «عليه السلام»، بمدينة قم، وقرعنا عليه الباب، فخرجت إلينا من داره صبية عراقية، فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول بعيده، فإنه يوم عيد.

فقلنا: سبحان الله، أعياد الشيعة أربعة: الأضحى، والفطر، والغدير، والجمعة الخ..»[2].

---

(١) الغدير ج١ ص٢٨٧ ومصباح المتهجد ص٦٩٦ و (ط مؤسسة فقه الشيعة) ص٧٥٢ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٤٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٣٢٦ والبحار ج٩٤ ص١١٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٤٢١ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» عطاردي ج٢ ص٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليه السلام» ج٨ ص٧٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٤٦.

(٢) الغدير ج١ ص٢٨٧ والبحار ج٣١ ص١٢٠ وج٩٥ ص٣٥١ والمحتضر ص٩٣.

وبعد.. فقد حشد العلامة الأميني، في كتابه القيم: «الغدير» عشرات النصوص عن عشرات المصادر الموثوقة عند أهل السنة، والتي تؤكد على عيدية يوم الغدير في القرون الأولى، وأنه قد كان شائعاً ومعروفاً في العصور الإسلامية الأولى..

وتكفي مراجعة الفصل الذي يذكر فيه تهنئة الشيخين أبي بكر وعمر لأمير المؤمنين «عليه السلام» بهذه المناسبة، فقد ذكر ذلك عن ستين مصدراً..

هذا.. عدا المصادر الكثيرة التي ذكرت تهنئة الصحابة له «عليه السلام» بهذه المناسبة، وعدا المصادر التي نصت على عيدية يوم الغدير، فإنها كثيرة أيضاً[1].

ومن ذلك كله يعلم: عدم صحة ما ذكره ابن تيمية عن عيد الغدير: «إن اتخاذ هذا اليوم عيداً لا أصل له، فلم يكن في السلف، لا من أهل البيت، ولا من غيرهم، من اتخذ ذلك عيداً»[2].

فإنه كلام ساقط عن الإعتبار، لأنه لا يستند إلى دليل علمي، ولا تاريخي على الإطلاق.. وإنما الأدلة كلها على خلافه.

---

(١) الغدير ج١ ص٢٦٧ ـ ٢٨٩ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢٧٠ عن الطبري في كتاب الولاية، وعن الخليلي في مناقب علي بن أبي طالب. وعن كتاب النشر والطي. وراجع: الصراط المستقيم ج١ ص٣٠٣ والبحار ج٣٧ ص٢١٧. وراجع: التنبيه والإشراف للمسعودي ص٢٢٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٣٦٧.

(٢) إقتضاء الصراط المستقيم ص٢٩٤ و (ط سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م) ج٢ ص٨٣.

ماذا يقول شانئو علي عليه السلام ؟!:

ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة يعدل صيام ستين شهراً، ولكن نفوس شانئي علي «عليه السلام»، والمتحاملين عليه لم تحتمل سماع هذه الفضيلة له، فبادرت إلى تكذيبها بصورة قاطعة معززة بالأيمان المغلظة، وكان مستندهم في ذلك غريباً وعجيباً، فاستمع إلى ابن كثير وهو ينقل لنا ذلك عن الذهبي، فيقول عن هذا الحديث:

«إنه حديث منكر جداً، بل كذب، لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أن هذه الآية نزلت في يوم الجمعة، يوم عرفة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بها كما قدمنا.

وكذا قوله: إن صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم، يعدل صيام ستين شهراً، لا يصح، لأنه قد ثبت ما معناه في الصحيح: أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً ـ هذا باطل.

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي بعد إيراده هذا الحديث: هذا حديث منكر جداً. ورواه حبشون الخلال، وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيري، وهما صدوقان، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة.

قال: ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطاب، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبي سعيد وغيرهم بأسانيد واهية.

قال: وصدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قاله، وأما: اللهم وال من والاه، فزيادة قوية الإسناد. وأما هذا الصوم

فليس بصحيح، ولا والله، ما نزلت هذه الآية إلا يوم عرفة، قبل غدير خم بأيام، والله تعالى أعلم»[1].

ونقول:

إن كلام الذهبي مرفوض جملة وتفصيلاً، وذلك لما يلي:

١ ـ قد ذكرنا: أن نزول الآية في يوم عرفة في ضمن سورة المائدة لا يعني عدم نزولها مرة أخرى بعد ثمانية أيام في غدير خم..

بل قد ذكرنا: أن ثمة آيات وسوراً قد نزلت أكثر من مرة لمناسبات اقتضت نزولها..

٢ ـ إن هؤلاء قد رووا أيضاً: أن من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر[2].

٣ ـ عن يزيد بن هارون، عن شعبة، عن أنس بن سيرين، عن عبد الملك بن المنهال، عن أبيه، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أنه كان

---

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢٥.

(٢) سنن أبي داود للسجستاني ج١ ص٥٤٤ ومجمع الزوائد ج٣ ص١٨٣ وفتح الباري ج٤ ص١٩٤ ومسند الحميدي ج١ ص١٨٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٦٣ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٢٩٨ والمعجم الأوسط ج٥ ص١٧١ والمعجم الكبير ج٤ ص١٣٦ وأمالي الحافظ الأصبهاني ص٢١ و ٣٤ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص٤٥٠ والإستذكار ج٣ ص٣٧٩ والإنصاف للمرداوي ج٣ ص٣٤٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١٠٩ وج ٣٢١ والبرهان للزركشي ج٢ ص١٣٦ الدر المنثور ج٣ ص٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٣٥.

يأمر بصيام البيض. ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة. ويقول: «هو كصوم الدهر، أو كهيئة صوم الدهر»[١].

٤ ـ وعن علي «عليه السلام»: «في رجب يوم وليلة، من صام ذلك اليوم، وقام تلك الليلة، كان له من الأجر كمن صام مائة سنة، وقام مائة سنة، وهي لثلاث ليال بقين من رجب، في ذلك اليوم بعث الله محمداً نبياً»[٢].

٥ ـ وروي: من صام يوماً من رجب كان كصيام سنة[٣].

٦ ـ عن ابن عمر عنه «صلى الله عليه وآله»: صوم يوم عرفة صوم سنة[٤].

وفي نص آخر: يعدله بصوم سنتين[٥].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٢٧ و ٢٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٤٤ وعمدة القاري ج١١ ص٩٦ والآحاد والمثاني ج٣ ص٢٦٨ وج٤ ص٢٨٩ والمعجم الكبير ج١٠ ص١٣٧ وج١٩ ص١٧ وراجع: مسند أبي داود الطيالسي ص١٧٠ وأسد الغابة ج٤ ص١٩٥ و ٤١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٢٩٤ وفتح الباري ج٤ ص١٩٧ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٨١.

(٢) تذكرة الموضوعات للفتني ص١١٦ وفضائل الأوقات للبيهقي ص٩٦ والدر المنثور ج٣ ص٢٣٥.

(٣) فضائل الأوقات للبيهقي ص٩٣ وكنز العمال ج٨ ص٥٧٨ وج١٢ ص٣١١ والدر المنثور ج٣ ص٢٣٥.

(٤) مسند أبي يعلى ج١٠ ص١٧ وكنز العمال ج٥ ص٧٥ و ١٩٣ وشرح معاني الآثار ج٢ ص٧٢.

(٥) مسند أحمد ج٥ ص٣٠٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٥٢.

٧ ـ عن أبي قتادة قال: صيام يوم عرفة يعدل السنة والتي تليها، وصيام عاشوراء يعدل سنة[1].

٨ ـ وروي مرسلاً: صيام كل يوم من أيام العشر كصيام شهر، وصيام عرفة كصيام أربعة عشر شهراً[2].

٩ ـ وعن ابن عباس، عنه «صلى الله عليه وآله»: من صام يوم عرفة كان له كفارة سنتين، ومن صام يوماً من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوماً[3].

١٠ ـ وروى البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن ماجة وغيرهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعبد الله بن عمرو: صم ثلاثة أيام من الشهر صوم الدهر كله[4].

فهل يستطيع العجلوني والذهبي، ومن ينسج على منوالهما أن يحكم بكذب هذه الروايات كلها وسواها مما يدخل في هذا السياق، مع أن بعضها وارد في صحاحهم، ولا يكاد يخلو منه كتاب حديث لهم يتعرض لثواب صيام الأيام..

أم أن وراء الأكمة ما وراءها من التحامل على علي «عليه السلام»،

---

(١) كنز العمال ج٥ ص٧٥ و ٧٦.

(٢) كنز العمال ج٥ ص٧٦.

(٣) مجمع الزوائد ج٣ ص١٩٠ والمعجم الصغير ج٢ ص٧١ والجامع الصغير ج٢ ص٦١٤ والعهود المحمدية ص١٩١ وكنز العمال ج٨ ص٥٧٢ وفيض القدير ج٦ ص٢١٠.

(٤) مسند أحمد ج٢ ص١٨٩ وسنن النسائي ج٤ ص٢١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٢٩٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص١٣١.

والتشكيك في كل ما يؤيد إمامته، ويدين ما جرى عليه وعلى زوجته فاطمة الزهراء «عليهما السلام» بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

الإبتداع الغبي:

وقالوا عن سنة ٣٨٩ هـ: «وفيها أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، فيما يزعمونه، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنّة؛ فادعوا: أنّ في مثل هذا اليوم حصر النبي «صلى الله عليه وآله» وأبو بكر في الغار، فامتنعوا من ذلك»[1].

واستمر أهل السنّة يعملون هذا العيد المزعوم دهراً طويلاً. وقد أظهروا فيه الزينة، ونصب القباب، وإيقاد النيران الخ..[2].

ونقول:

لا ندري لماذا قاتل جهلة السنّة الشيعة الذين يريدون إقامة شعائرهم؟

---

(١) راجع: البداية والنهاية ج١١ ص٣٢٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١١ ص٣٧٣ وراجع: المنتظم ج٧ ص٢٠٦، وشذرات الذهب ج٣ ص١٣٠، والخطط المقريزية ج١ ص٣٨٩، والكامل في التاريخ ج٩ ص١٥٥، وذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج٣ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠، ونهاية الإرب ج١ ص١٨٥.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج١١ ص٣٢٥ ـ ٣٢٦، وشذرات الذهب ج٣ ص١٣٠، والمنتظم ج٧ ص٢٠٦، والكامل في التاريخ ج٩ ص١٥٥، وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٣٨٠ ـ ٤٠٠هـ) ص٢٥، وعن تاريخ كزيده ص١٤٨، وذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع ج٣ ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

ولماذا لا يردعهم عقلاؤهم عن أعمال كهذه، فيها تعدٍّ وظلم وبغي على الآخرين؟.

والأغرب من ذلك أن يبتدعوا عيداً جديداً لا يعترف لهم به علماؤهم، وهم من الحنابلة المتشدّدين في أُمور كهذه، ويرونها بدعة، وخروجاً على حدود الشرع والدين!!.

ثمّ نجد هذا العيد يستمر إلى عشرات السنين، دونما مانع أو رادع!!.

والذي يلفت النظر هو: أنّ المؤرّخين الذين هم على مذهب هؤلاء، ينسبون ذلك إلى العوام، ويتحاشون التعبير بكلمة (عيد) قدر الإمكان؛ فيقولون مثلاً: عمل عوام السنّة يوم سرور، وكأنّ الأسماء تغيّر الواقع وتلغيه!!

ولكن الذي يضحك الثكلى هو: أن التاريخ الذي ألزم هؤلاء أنفسهم به، وهو أن تكون هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» وحصره بالغار، قد حصل في الثامن عشر من ذي الحجّة!!

فإن الأُمة بأسرها مجمعة على أنّ الهجرة قد كانت في شهر ربيع الأوّل، بلا شك ولا ريب في ذلك.

فكيف استمروا على ذلك عشرات السنين، ولم يتنبّه علماؤهم إلى خطأ ذلك وفساده؟!.

وإن كانوا قد تنّبهوا إليه، فلماذا سكتوا على ذلك، ولم يردعوهم عنه؟ أخوف الفضيحة والعار؟!.

مصادر حديث الغدير:

أما مصادر هذا الحديث الشريف، وهو نصب علي «عليه السلام»

إماماً، وأخذ البيعة له من الناس في يوم الغدير، فقد كفانا العلامة الأميني في كتابه «الغدير» مؤونة جمع مصادره، فإنه قد أورد في كتابه هذا طائفة كبيرة من ذلك، ولكنه لم يستطع أن يستوعب أكثرها، ويمكن الإستدراك عليه بأكثر مما جمعه، خصوصاً إذا استفيد من الأجهزة الآلية الحديثة التي جمعت قسماً كبيراً من المؤلفات، وستبقى مصادر هذا الحديث تتنامى وتزداد تبعاً لتنامي رصيد هذا الجهاز، بما يضاف إليه من الكتب على امتداد الأيام..

ولذلك فنحن نكتفي بإرجاع القارئ إلى كتاب الغدير، ومن أراد المزيد فليراجع ما عداه من المصادر التي تعد بالمئات والآلاف بما في ذلك كتب الحديث، واللغة، والتاريخ، والأدب وما إلى ذلك..

حديث الغدير متواتر:

ولا شك في أن هذا الحديث متواتر أيضاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»، رواه الجم الغفير عن الجم الغفير. والروايات الصحاح والحسان كثيرة فيه، رغم أن تواتر الحديث يغني عن النظر في الأسانيد، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا اطِّلاع ولا بصيرة له في هذا العلم، فقد ورد مرفوعاً ـ كما قالوا ـ عن أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس بن عبد المطلب، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وحبشي بن جنادة، وعبد الله بن مسعود، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأسعد بن زرارة، وخزيمة بن

ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وسهل بن حنيف، وحذيفة بن اليمان، وسمرة بن جندب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم. وصحح عن جماعة منهم ممن يحصل القطع بخبرهم[1].

وقد أحصى العلامة الأميني رواية مائة وعشرة من الصحابة لهذا الحديث، وربما يمكن إضافة عدد وافر منهم بالإستفادة من الجهاز الآلي (الكمبيوتر)، تبعاً لازدياد المصادر التي تضاف إلى ذاكرته.

وقال جمال الدين الحسيني الشيرازي: أصل هذا الحديث ـ سوى قصة الحارث[2] ـ تواتر عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو متواتر عن النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً، ورواه جمع كثير، وجم غفير من الصحابة[3].

وعن السيوطي أيضاً: إنه حديث متواتر[4].

وعده المقبلي أيضاً في جملة الأحاديث المتواترة والمفيدة للعلم[5].

---

(١) الغدير ج١ ص٢٩٨ و ٢٩٩ وأسنى المطالب ص٤٧ و ٤٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٠ وشرح إحقاق الحق ج٢١ ص١٠٣.

(٢) أي التي نزلت آيات سورة المعارج بسببها.

(٣) الغدير ج١ ص٣٠١ و ٣٠٢ عن الأربعين للشيرازي، وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٨ وج٨ ص٢٦١ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٩٤.

(٤) فيض القدير ج٦ ص٢١٨ وقطف الزهار ص٢٧٧ والبيان والتعريف ج٣ ص٧٥ و ٢٣٣ والغدير ج١ ص٣٠٠ و ٣٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٩١.

(٥) الغدير ج١ ص٣٠٦ عن كتاب الأبحاث المسددة في الفنون المتعددة، وعن هداية العقول إلى غاية السؤول ج٢ ص٣٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٣.

وقال محمد الصنعاني: حديث الغدير متواتر عند أكثر أئمة الحديث[1].

وعده العمادي الحنفي من المتواترات[2].

وراجع كتاب تشنيف الآذان ص٧٧، فإنه حكم بتواتره وذكر طائفة من طرقه أيضاً.

وقد أشار العلامة الأميني إلى طائفة من المؤلفات في حديث الغدير بلغت ستة وعشرين مؤلفاً.

كما أن للعلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي«رحمه الله» **كتاباً بعنوان:** «الغدير في التراث الإسلامي» صدر عن دار المؤرخ العربي في بيروت سنة ١٤١٤ هـ. أشار فيه إلى ما لم يذكره العلامة الأميني «رحمه الله».

وقد حكي عن الجويني الملقب بإمام الحرمين، أستاذ الغزالي: أنه كان يتعجب ويقول: «رأيت مجلداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم، مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون»[3].

وقال الذهبي: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير، فاندهشت

---

(١) الروضة الندية ص١٥٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٨ والغدير ج١ ص٣٠٧ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٩٦.

(٢) الصلات الفاخرة ص٤٩ والغدير ج١ ص٣١٠.

(٣) البحار ج٣٧ ص٢٣٦ والغدير ج١ ص١٥٨ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٤٥ وقاموس الرجال ج١١ ص٥١٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٣٤ وينابيع المودة ج١ ص١١٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٩٢.

له، ولكثرة تلك الطرق[١].

أغرب وأعجب ما قرأت!!:

ومن غرائب الأمور ما نقرأه عن الفخر الرازي، الذي يعترف له كل أحد بالفضل ينساق وراء أهوائه، وينقاد لعصبيته وأحقاده، فيقول: «ظفرت بأربعمائة طريق إلى حديث الغدير، ومع ذلك لم يؤثر صحته في قلبي»[٢].

ونحن لا نريد التعليق على هذا الإعتراف البالغ الخطورة، بل نكل ذلك إلى ضمير القارئ ووجدانه الحي، ليعرف مع من نتعامل، وبمن ابتلي علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وإذا كان هذا حال الخلف، فليت شعري كيف كان حال السلف معه صلوات الله وسلامه عليه. علماً بأن الرازي يتهم بالتشيع أيضاً!!!

المنكرون والمشككون:

ولأجل ما قدمناه فلا يلتفت إلى من حاول الطعن العشوائي، والأهوائي

____

(١) تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧١٣ ومشكل الآثار ج٢ ص٣٠٨ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ والمعتصر من المختصر ج٢ ص٣٠١ والمرقاة في شرح المشكاة ج١٠ ص٤٧٦ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٤٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٩ والغدير ج١ ص١٥٢ و ٣٠٧ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد الرحماني ص٨٠٨ وفتح الملك العلي لابن الصديق المغربي ص١٥.

(٢) رسالة في الإمامة للشيخ عباس ـ نجل الشيخ حسن صاحب كتاب أنوار الفقاهة ـ ص٩٨.

في حديث الغدير، حتى لقد زعم التفتازاني: أن أكثر الذين تنسب إليهم رواية حديث الغدير لم يرووه على الحقيقة[1].

وهو كلام تحكمي ليس له ما يبرره من الناحية العلمية.

وزعم ابن تيمية[2]: أنه لا ريب في كذب هذا الحديث.

وآخر طعن في حديث الغدير واعترف بصحة الدعاء، وقال: لم يخرِّج غير أحمد إلا الجزء الأخير من قوله: «اللهم وال من والاه الخ..»[3].

مع أن أدنى مراجعة للمصادر تظهر زيف هذا الإدعاء..

وثمة من يقول: «لم يروه علماؤنا»[4].

أو: لا يصح من طريق الثقات[5].

أو قال: لم يذكره الثقات من المحدثين[6].

وآخر يزعم: أنه لم يخرجه إلا أحمد في مسنده[7].

وكل ذلك تحكم جائر، وتمحل غبي، يظهر عواره للعيان، حتى للعميان من الصبيان، فضلاً عن العوران والحولان..

---

(١) شرح المقاصد ج٥ ص٢٧٤.

(٢) منهاج السنة ج٤ ص٨٥.

(٣) الغدير ج١ ص٣١٥ عن نجاة المؤمنين لمحمد محسن الكشميري.

(٤) الغدير ج١ ص٣١٥ عن ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة.

(٥)الغدير ج١ ص٣١٥ والفصل في الملل والهواء والنحل ج٤ ص١٤٨ وعنه في منهاج السنة ج٤ ص٨٦.

(٦) الغدير ج١ ص٣١٦ عن السهام الثاقبة لسبط ميرزا مخدوم بن عبد الباقي.

(٧) الغدير ج١ ص٣١٥ عن نجاة المؤمنين لمحمد محسن الكشميري.

وقد شحن العلامة الأميني «رحمه الله» كتابه الغدير بالنصوص المتضمنة لكثير من تأكيدات كبار علماء أهل السنة على صحة أو تواتر حديث الغدير بجميع فصوله ونصوصه. فراجع الجزء الأول منه..

نظرة في تواتر حديث الغدير:

نعود إلى التذكير والتأكيد على أن العلامة الأميني «رحمه الله» قد أحصى في كتابه النفيس «الغدير» مائة وعشرة من الصحابة رووا حديث الغدير، ورواه من التابعين أكثر من هذا العدد،

كما أن السيد عبد العزيز الطباطبائي قد أضاف بعضاً آخر إلى من روى حديث الغدير من الصحابة. فراجع كتابه: «على ضفاف الغدير».

ورواية هذا الجم الغفير قد جاءت على الرغم من محاربة الحكام الشرسة لكل من يتفوه بكلمة حول هذا الموضوع، الذي يرون أن روايته من أخطر الأمور عليهم وعلى مستقبلهم، وكل وجودهم.

ولذلك فهم لا يتورعون عن إلحاق أيٍ من أنواع الأذى إلى من يرويه، وبتشويه سمعته، واضطهاده وملاحقته بشراسة وقسوة للتخلص منه، بأي نحو كان.

على أن هناك طائفة كبيرة من الناس قد صدتها الأحقاد والضغائن عن رواية هذا الحديث.

قال ابن قتيبة الدينوري عن تعصب أهل السنة على علي «عليه السلام»:

«وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله «كرم الله وجهه»، أو يظهروا ما يجب له.. وأهملوا من ذَكَرَه، أو روى حديثاً من فضائله، حتى

تحامى كثير من المحدثين ثوابها، وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص، ومعاوية!! كأنهم لا يريدونهما بذلك. بل يريدونه.

فإن قال قائل: أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي، وأبو سبطيه الحسن والحسين، وأصحاب الكساء: علي، وفاطمة، والحسن والحسين، تمعَّرت الوجوه، وتنكرت العيون، وطرَّت حسائك الصدور.

وإن ذكر ذاكر قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، و «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» واشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج ليتنقصوه ويبخسوه حقه». انتهى[1].

ثم إن أكثر من حضر يوم الغدير كان من أعراب البوادي، الذين ذهبوا وذهب ما عندهم، ولم ينقل شيء عنهم إلى غيرهم إلا ما شذ.

ولنا أن نقول:

إن تواتر هذا الأمر الذي يحاربه الأكثرون، ويعاقَبُ من يرويه بأشد ما يكون. لا يحتاج إلى كل هذا العدد الهائل، بل يكفي لإثباته، وظهور تواتره خمس هذا العدد، أو أقل من ذلك، ما دام أن الراوي له إنما يحمل دمه على كفه، ويخاطر بروحه ونفسه، ويسير إلى حتفه بظلفه..

طرق حديث الغدير:

قال العلامة الأميني «رحمه الله»: «رواه أحمد بن حنبل من أربعين

---

(١) الإختلاف في اللفظ (ط دار القدسي بمصر سنة ١٣٤٩ هـ) ص٤٧ وفتح الملك العلي لأحمد بن الصديق المغربي ص١٥٤ ودفع الإرتياب عن حديث الباب لعلي بن محمد العلوي ص٣٣.

طريقاً، وابن جرير الطبري من نيف وسبعين طريقاً، والجزري المقري من ثمانين طريقاً، وابن عقدة من مائة وخمس طرق، وأبو سعيد السجستاني من مائة وعشرين طريقاً، وأبو بكر الجعابي من مائة وخمس وعشرين طريقاً، وفي تعليق هداية العقول ج٢ ص٣٠ عن الأمير محمد اليمني (أحد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر): إن له مائة وخمسين طريقاً»[1]. وكذا في طبق الحلوى، عن السيد محمد إبراهيم.

وأنهاها أبو العلاء العطار إلى مائتين وخمسين طريقاً[2].

وجمع الدارقطني الحافظ طرقه في جزء[3].

وجمع الحافظ ابن عقدة الكوفي كتاباً مفرداً فيه الخ..[4]. عن سبعين صحابياً وأكثر[5].

---

(١) الغدير ج١ هامش ص١٤ وذكر تفاصيل ذلك ص١٥٢ ـ ١٥٨.

(٢) الغدير ج١ هامش ص٣٠٢ و ١٥٨ عن القول الفصل ج١ ص٤٤٥ للعلوي الهدار الحداد، ونهج الإيمان لابن جبر ص١٣٣ وشرح إحقاق الحق ج٩ ص٦٧٨.

(٣) الغدير ج١ ص١٥٤ و ٢٩٧ والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ ج١ ص٥٠ عن كفاية الطالب ص٦٠.

(٤) كفاية الطالب ص٥٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٠٢ والغدير ج١ ص٢٩٧ وكتاب الولاية لابن عقدة الكوفي ص١٣٩.

(٥) تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٣٩ و (ط دار الفكر للطباعة) ج٧ ص٢٩٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٩٣ والغدير ج١ ص١٥٣ و ٢٩٩ وكتاب الولاية لابن عقدة الكوفي ص١٤٠ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٨٩.

وقال العسقلاني في فتح الباري: «وأما حديث من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان»[١].

وقال العاصمي: «هذا حديث تلقته الأمة بالقبول، وهو موافق بالأصول»[٢].

وقال ابن عبد البر عن حديث المؤاخاة، وحديثي الراية والغدير: «وهذه كلها آثار ثابتة»[٣].

وقال ابن المغازلي عن هذا الحديث: «وقد رواه نحو مائة نفس، منهم العشرة المبشرة، وهو حديث ثابت، لا أعرف له علة»[٤].

وفي سر العالمين: «أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم

---

(١) الغدير ج١ ص١٥٣ و ٣٩٩ و ٣٠٤ و ٣١٠ وفتح الباري ج٧ ص٦١ والمواهب اللدنية ج٣ ص٣٦٥ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ ووسيلة المآل ص١١٧ و ١١٨ ونزل الأبرار ص٥٤ والبحار ج٣٧ ص١٩٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١١ و ٢١٦ وينابيع المودة ج٢ ص٣٦٩ وراجع: شرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٥.

(٢) الغدير ج١ ص٢٩٥ عن زين الفتى.

(٣) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٣٧٣ و (ط دار الجيل) ج٣ ص١٠٩٩ والغدير ج١ ص٢٩٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» ص٤٤.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٢٧ والعمدة لابن البطريق ص١٠٨ والطرائف ص١٤٢ والصراط المستقيم ج١ ص٣٠٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٢١ والبحار ج٣٧ ص١٨٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٣٩ وج٩ ص١٦ والغدير ج١ ص٢٩٥ و ٣١٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٢٢.

غدير خم، باتفاق الجميع»[1].

وفي المناقب لابن الجوزي: «اتفق علماء السير»[2].

وقال السمناني: «هذا حديث متفق على صحته»[3].

وقال الذهبي: «صدر الحديث متواتر، أتيقن أن رسول الله قاله «صلى الله عليه وآله»، وأما «اللهم وال من والاه..» فزيادة قوية الإسناد»[4].

كما أن شمس الدين الجزري روى حديث الغدير من ثمانين طريقاً، وأفرد في إثبات تواتره رسالته أسنى المطالب. وقال بعد ذكر مناشدة أمير المؤمنين «عليه السلام» يوم الرحبة: «هذا حديث حسن مِن هذا الوجه، صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»..»[5].

---

(١) سر العالمين ص٢١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٨٤ والبحار ج٣٧ ص٢٥١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص١٨٦ والغدير ج١ ص٢٧٦ و ٢٩٦ و ٣٩٢.

(٢) البحار ج٣٧ ص١٥٠ وج١٠٩ ص١٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٥٠ وج٩ ص١٩٥ والغدير ج١ ص٢٩٦ و ٣٩٢ والعدد القوية ص١٨٣.

(٣) العروة لأهل الخلوة ص٤٢٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٣١٤ و ٣١٥ والغدير ج١ ص٢٩٧ و ٣٩٦.

(٤) البداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ و (دار إحياء التراث العربي) ج٥ ص٣٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢٦ وراجع: الغدير ج١ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ و (ط مركز الغدير للدراسات) ج١ ص١٣٢ و ١٣٣ وراجع: روح المعاني ج٦ ص١٩٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٨٢.

(٥) الغدير ج١ ص٢٩٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨٦ و ١٩٠ وشرح إحقاق الحق ج٢١ ص١٠٢.

لماذا ينكرون التواتر؟!:

والذين حاولوا أن ينكروا تواتر حديث الغدير إنما أرادوا أن يعتبروه من أخبار الآحاد، ربما لكي يلزموا الشيعة بذلك، وليسقطوا احتجاجهم به، لأن الشيعة متفقون على لزوم التواتر فيما يستدل به على الإمامة[١].

وقد غفلوا عن أن المتواتر عند بعض طائفة من علماء أهل نحلتهم هو: ما يرويه ثمانية من الصحابة[٢]، أو أربعة منهم[٣]، أو خمسة[٤]، بل إن هذا المدعي نفسه يجزم بتواتر حديث الأئمة من قريش، وقد رواه عندهم ثلاثة أشخاص هم: أنس، وابن عمر، ومعاوية، وروى معناه ثلاثة آخرون هم: جابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، وعبادة بن الصامت[٥].

ومنهم من يحكم بتواتر حديث روي باثنتي عشرة طريقاً[٦]، وجوَّد السيوطي قول من حدد التواتر بعشرة[٧].

---

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج٥ ص٢٧٢ والصواعق المحرقة ص٤٢.

(٢) الصواعق المحرقة ص٢٣ والغدير ج١ ص٣٢١ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص دراسات ٣٥.

(٣) المحلى لابن حزم ج٢ ص١٣٥ وج٧ ص٥١٢ وج٨ ص٤٥٣ وج٩ ص٧ والغدير ج١ ص٣٢١ والفصول في الأصول للجصاص ج٣ ص٥١ وفيض القدير ج١ ص٦٤٩.

(٤) المنخول للغزالي ص٣٢٩.

(٥) الفصل لابن حزم ج٤ ص٨٩.

(٦) البداية والنهاية ج٧ ص٢٨٩ ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص١٦.

(٧) ألفية السيوطي في علم الحديث ص٤٤ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٣٢ =

فكيف إذا كان الحديث مروياً بمئات الطرق ذكر منها بعضهم مائة وخمسين، وبعضهم الآخر مائتين وخمسين طريقاً عن أكثر من مائة وعشرة من الصحابة؟!

أما أحمد أمين، فقد فضح نفسه، حين اكتفى بالقول: إن الشيعة يروون حديث الغدير عن البراء بن عازب.. فاقرأ واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً!!

الغدير لم يخرّجه الشيخان:

وطعن بعضهم في حديث الغدير: بأن البخاري ومسلم لم يخرجاه[1]، بل قال بعضهم: إن أحداً من أصحاب الصحاح لم يخرجه[2]. مع أن الترمذي قد أخرجه في صحيحه، وكذلك ابن ماجة في سننه، فضلاً عمن عداهم، مثل الضياء في المختارة وغيره.

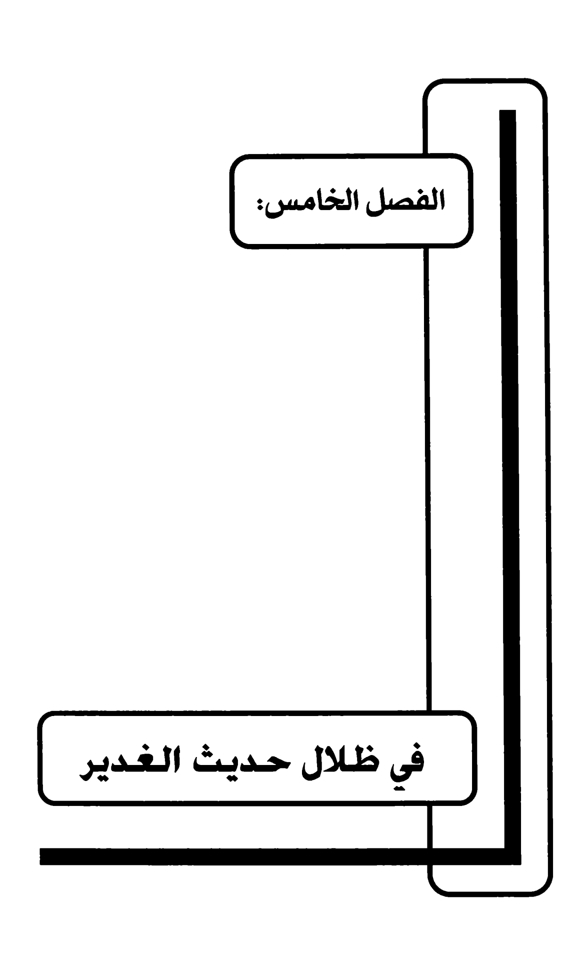
وعدم إخراج الشيخين له إنما يوجب الطعن بهما، من حيث إنه يشير إلى تعصبهما، ومجانبتهما سبيل الإنصاف، واتباعهما طريق الإعتساف..

على أن هناك آلافاً من الأحاديث التي لم يخرجها الشيخان، فراجع المستدرك للحاكم، وتلخيصه للذهبي، فضلاً عن مستدركات أخرى ذكرها آخرون، فهل يرضى هؤلاء بإهمالها، أو بطمسها؟!

= ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٨.

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج٥ ص٢٧٤ والمواقف لعضد الدين الأيجي ص٤٠٥ والغدير ج١ ص٣١٦.

(٢) الغدير ج١ ص٣١٧ عن مرافض الروافض للسهارنپوري.



الفصل الخامس:

في ظلال حديث الغدير

الفصل الخامس

في الكلام حديث الشيخ

بداية:

كان حديثنا في الفصل يهدف إلى إعطاء لمحة عن الحدث الخالد الذي جرى في غدير خم، ولمحة أخرى عن تواتر أسانيده، وثبوته بصورة قاطعة لكل عذر، بعيدة عن أي ريب.

ونريد هنا أن نعمق فهمنا لمرامي الأقوال والتوجيهات، والتحركات، والإجراءات في المواقف المختلفة، لنستفيد الفكرة الهادية، والعبرة الصادقة، والوعي الصحيح، والعميق لسياسة الإسلام، القائمة على الحق والعدل، والهدى الإلهي، فنقول:

الخروج السريع من مكة:

إن من جملة ما لا بد أن يثير انتباه الناس، ليتبلور لديهم أكثر من سؤال هو إسراعه «صلى الله عليه وآله» في الخروج من مكة، حتى إنه «صلى الله عليه وآله» لم يطف بالبيت، بل هو لم يدخل إلى المسجد الحرام أصلاً، ولو لإلقاء نظرة الوداع على بيت الله تبارك وتعالى..

ولا أحد من الناس يجهل مدى علاقة النبي «صلى الله عليه وآله» ببيت الله، وحبه له، فلا بد أن يتساءلوا عن أسباب هذه السرعة في المغادرة، وأن يربطوا بين الخروج على هذا النحو وبين ما جرى في مكة وفي منى، حيث

واجهته قريش، ومن يدور في فلكها بالأذى والخذلان.. وبين ما يجري في غدير خم.

إرجاع المتقدم وحبس المتأخر:

وإذا اتصل بهذا الإجراء إجراء آخر يتمثل في أنه «صلى الله عليه وآله»، حين وصل إلى غدير خم، وقف حتى لحقه من تأخر بعده، وأمر برد من كان تقدم، فإنهم سيعرفون أن ثمة أمراً سيحدث، وأنه سيكون بالغ الأهمية أيضاً، وسيتوقعون أن يكون اتصاله بما جرى في منى وعرفات قوياً، وسيفتحون آذانهم، وتتعلق قلوبهم بكل حركة تصدر عنه، أو كلمة يتفوه بها..

الدوحات الخمس منطقة محظورة:

ويتأكد هذا الأمر لديهم حين منعهم من النزول تحت الشجرات، الخمس دوحات المتقاربات العظام، اللواتي أمر بإزالة الشوك، وتمهيد المكان عندها، حتى إذا نودي بالصلاة عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، ثم نصَّب لهم علياً «عليه السلام»[1].

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص٢٤١ والغدير ج١ ص١٠ و ٢٦ و ٢٧ عن مصادر كثيرة أخرى، والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٩ وج٧ ص٣٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٢٢٦ والصواعق المحرقة ص٤٣. وراجع: كتاب الأربعين للماحوزي ص١٣٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٥٥ و ١٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤٢.

دقة وبلاغة في أسلوب الإبلاغ:

ثم إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد اتبع أساليب بالغة الدقة في واقعة الغدير، بهدف رفع مستوى الإطمينان إلى دقة وشمولية المعرفة بما يجري، واتساع نطاقها إلى أبعد مدى، حتى ليكاد الباحث يجزم بأن كل فرد فرد من المسلمين قد وقف على ما يراد إيقافه عليه، وعرف حدوده وتفاصيله، ودقائقه، وحقائقه، بل لقد صرحت بعض الروايات بهذه الشمولية، بالقول:

«وأخذ بيد علي فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون، ثم قال: اللهم وال من والاه الخ..»[1].

وفي نص آخر عن زيد بن أرقم: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه، وسمعه بأذنيه[2].

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ج١ ص٣٣ وكتاب الولاية لابن عقدة الكوفي ص٢٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٣٤٤ وج٢١ ص٧٩ والغدير ج١ ص٢٥ و ٤٧ عن جواهر العقدين للسمهودي، وينابيع المودة ص٣٨ و ٣٩ و (دار الأسوة للطباعة) ج١ ص١٢٠.

(٢) الخصائص للنسائي ص٢١ والغدير ج١ ص٣٠ و ٣٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٣٠ وإكمال الدين ص٢٣٥ و ٢٣٨ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٣٥ والبحار ج٣٧ ص١٣٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٣٠ و (مكتبة نينوى الحديثة) ص٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤١٦ والمناقب للخوارزمي ص١٥٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ وأنساب الأشراف للبلاذري ص١١١ وتفسير =

ويؤكد ذلك سائر الإجراءات التي اتخذت، والبيانات التي قيلت، كما ربما يتضح جانب منه إن شاء الله تعالى.

رفع مستوى اليقظة والتنبه:

إن حبس المتقدمين وإرجاعهم، وانتظار وصول واجتماع المتأخرين منهم، سيثير لدى أولئك الناس أكثر من سؤال، وسيجعلهم أشد انتباهاً ويقظة، وسعياً لفهم مغزى هذا الإجراء النبوي، ولن تؤثر سائر الصوارف على تشويش الفكرة التي يراد إيصالها إليهم..

حر الرمضاء:

وزاد من شعورهم بخطورة ما يريد «صلى الله عليه وآله» أن ينتهي بهم إليه أن هذه الإجراءات كلها إنما تتم في حر الهاجرة الذي يصرح بعض هؤلاء بأنه كان بالغ الشدة إلى حد أن زيد بن أرقم يقول: ما أتى علينا يوم كان أشد حراً منه[1]. فخطب خطبته هناك، وبدأت إجراءات البيعة والتهنئة

= الآلوسي ج٦ ص١٩٤ وكنز العمال ج١٣ ص١٠٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص١٣٤ و ١٣٨ و ١٤٥ و ١٧٤ و ١٩٣ و ٢٣١ وج٧ ص١١ و ٢٥٦ و ٢٩٢ وج٨ ص١١٦ و ١١٨ و ١٢٠ و ١٢٦ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٢٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٤٤٠ وج٦ ص٣٧٤ وج١٥ ص٦٤٨ وج١٦ ص٥٦٦ وج٢٠ ص٣٥٤ وج٢١ ص٤٦ وج٢٢ ص١١٩ و ١٢٧ و ١٢٩ وج٢٤ ص٢١٧ وج٣٠ ص٤٠٣.

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص٥٣٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٤٨ وج٩ ص٨٣ والغدير ج١ ص٣٢ والمعجم الكبير ج٥ ص١٧١ وشرح إحقاق الحق=

لعلي «عليه السلام».

أكثر من خطبة:

ويبدو أنه «صلى الله عليه وآله» قد خطب في ذلك المكان أكثر من مرة، فإن النصوص تشير تارة إلى أن ذلك قد كان ظهراً في حر الهاجرة، وبعضها قال: إنه فعل ذلك عشية بعد الصلاة[1].

فإذا لاحظنا اختلاف نص الخطب المنقولة، فسوف يترجح لدينا احتمال تعدد الخطبة في أيام الثلاثة..

وبعض نصوص الغدير تقول: «ينادي رسول الله بأعلى صوته»[2].

الحديث عن الضلال والهدى:

وقد استهل «صلى الله عليه وآله» خطبته يوم الغدير بالحديث عن الضلال والهدى، وكل الناس يحبون ويعتزُّون بأن يعدوا أو أن يوصفوا بالهداية، ويربأون بأنفسهم عن الاتصاف بالضلال والغواية.

= ج٤ ص٤٣٨ وج١٨ ص٢٧١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٤٠.

(١) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٠٩ وشرح إحقاق الحق ج٤ ص٤٣٧ وج٩ ص٣٢١ وج١٨ ص٢٧٢ وج٢١ ص٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص١٥٣ وج٧ ص١٠٥ و ٢٦١ و ٣٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٢٤ والغدير ج١ ص٣١ والإكمال في أسماء الرجال ص١١٩.

(٢) المناقب للخوارزمي ص٩٤ والغدير ج١ ص٢٧٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٥.

وهذا مغروس في طبائعهم، ومستقر في نفوسهم، وكل منهم يحب أن يعرف موقعه بالنسبة لطريقي الهدى والضلال.. ولا سيما إذا جاء هذا من قبل نبي يبلغهم عن الله، ومتصل بالغيب، ومطَّلع عليه.

وقد أظهرت بداية كلامه «صلى الله عليه وآله» أنه يريد أن يبين لهم أمراً يرتبط بهذا الأمر بالذات، الذي يعني كل شخص مباشرة، ولا يستطيع أن يتجاهله، ويمضي عنه.

يوشك أن أدعى فأجيب:

ثم ساق «صلى الله عليه وآله» الكلام في اتجاه مثير لمشاعر الخوف من المجهول، والرهبة من فقدان ما يرون فيه الضمان، ويشعرون معه بالسكينة والأمان، حين قال: يوشك أن أدعى فأجيب، موضحاً لهم: أن هذا الأمر الذي يريد بيانه، يفيد في هدايتهم وحفظهم في خصوص تلك المرحلة المخيفة، وهي مرحلة ما بعد موته «صلى الله عليه وآله».

إني مسؤول، وأنتم مسؤولون:

ثم قد أكد «صلى الله عليه وآله» حساسية هذا الأمر الذي يريد أن يثيره أمامهم حين قال لهم: إني مسؤول، وأنتم مسؤولون.. فما أنتم قائلون؟!

مما يعني: أن تملصهم من المسؤولية في الدنيا لا يجديهم، لأن الحساب سيكون أمامهم في الآخرة، فلا منجا ولا مهرب منه، ولا مفر ولا محيص عنه.

بل قرر أنه هو «صلى الله عليه وآله» أيضاً مسؤول ومحاسب. وسيرى الخلائق في الآخرة كما هو الحال في الدنيا أنه قد أبلغهم ما أمره الله بإبلاغه إياهم على أتم وجه.

ولذلك قالوا: نشهد أنك قد بلغت، ونصحت، وجهدت..

التذكير بالركائز العقائدية:

ثم ذكرهم «صلى الله عليه وآله» بالركائز العقائدية الصحيحة، التي تضع كل إنسان أمام مسؤولياته.. كما أنها تمثل الحافز القوي للالتزام بأوامر الله الواحد الأحد، والإنتهاء بنواهيه المتمثلة بالشريعة والأحكام، والإلتزام بالحقائق الإيمانية، وكل ما جاءهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الله تبارك وتعالى..

ثم بين لهم سبل الرشاد والهداية إلى ذلك كله وهو الالتزام بالثقلين، وهما كتاب الله والعترة.

الأسئلة التقريرية هي الأهم:

ثم تأتي بعد ذلك الأسئلة التقريرية، التي واجههم بها التي فرضت عليهم التنبه التام، وأن تنشد القلوب والعقول إلى النتيجة التي يريد أن ينتهي إليها. وليكون الجميع قد استنفروا كل قواهم لتلقي كل كلمة، واستنطاق كل حرف يتفوه به، لتقوم بذلك الحجة عليهم، وليأخذوا الأمر بجدية تامة، من دون أن يفسح المجال لأي تأويل أو اجتهاد يرمي إلى تمييع القضية، والإنتقاص من حيويتها، ومن الشعور بخطورتها وأهميتها.

أما مضمون الأسئلة فكان هو الأهم، والأجدر بالتأثير، حيث إنه بعد سؤاله عن أولويته بالمؤمنين ـ بما هم جماعة[1] ـ من أنفسهم، سألهم عن

---

(١) وقد قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية ٦ من سورة الأحزاب.

أولويته بكل فرد فرد من نفسه.. فأعطاهم الإنطباع بأن الأمر يعني كل فردٍ فردٍ منهم، بشخصه، وبلحمه ودمه، وكل وجوده.

ثم هو يسألهم عن حدود سلطتهم على أنفسهم، ويريد أن يسمع إقرارهم له بأن سلطته وولايته عليهم، وموقعه منهم فوق سلطة وموقعية وولاية أمهاتهم وآبائهم، وحتى أنفسهم على أنفسهم.

وهذا يؤكد لهم: أن القرار الذي يريد أن يتخذه يعنيهم في صميم وجودهم، وينالهم في أخص شؤونهم وحالاتهم، ولا بد أن يزيد هذا الأمر من اهتمامهم بمعرفة هذا الأمر الخطير، والتعامل معه بإيجابية متناهية.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بسؤالهم عن ذلك لمرة واحدة، بل كرر السؤال عن نفس الأمور الأساسية والحساسة عليهم ثلاث مرات على سبيل التعميم أولاً، ثم على سبيل التحديد والتشخيص بفرد بعينه أخرى، فقد روي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: أيها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين.

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي. **يقول ذلك ثلاث مرات.**

ثم قال في الرابعة، وأخذ بيد علي: اللهم من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ـ **يقولها ثلاث مرات** ـ ألا فليبلغ الشاهد الغائب[1].

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٢٣٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٤ وكشف الغمة ج١ ص٤٩ ـ ٥٠ عن الزهري، وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٢٥٨ وج٧ ص٢٢٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٤ و ٣٠١ وج٢١ ص٩٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١١٨ وسعد السعود لابن=

وفي نص آخر: كرر ذلك أربع مرات[1].

وعن البراء بن عازب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نزل بعد حجته في بعض الطريق، وأمر بالصلاة جامعه، فأخذ بيد علي، فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟!

قالوا: بلى.

قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟!

قالوا: بلى.

قال: فهذا ولي من أنا مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[2].

= طاووس ص٧١ والبحار ج٤٢ ص١٥٦ والغدير ج١ ص١١ و ٣٣ و ١٧٦ وراجع: الإصابة لابن حجر (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٣٤

(١) مشكاة المصابيح ج٣ ص٣٦٠ وتذكرة الخواص ص٢٩ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص٥٨٦ وعن مسند أحمد ج٥ ص٤٩٤ وكفاية الطالب ص٢٨٥ وعن ابن عقدة، والغدير ج١ ص١١.

(٢) الطرائف ص١٤٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٦ والعمدة لابن البطريق ص٩٦ و ١٠٠ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٣٦ والبحار ج٣٧ ص١٥٩ ومسند أحمد ج٤ ص٢٨١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٣ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٤٤٢ وج٢ ص٣٧٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٨٠ و ٨٦ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٤٧ و ٢٩٤ و ٣٠١ و ٣٣٥ وج٨ ص١١٧ و ٢١٨ و ٢٤٧ وج٩ ص٢٦١ والغدير ج١ ص٢٢٠ و ٢٧٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧ و ٢٧٩ ونظم درر السمطين ص١٠٩ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٨٩ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٣٢ وبشارة المصطفى لطبري ص٢٨٤ والمناقب للخوارزمي =

وفي نص آخر عن البراء: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى نزلنا غدير خم، بعث منادياً ينادي. فلما اجتمعنا قال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: ألست أولى بكم من أمهاتكم؟

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: ألست أولى بكم من آبائكم؟

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: ألست؟ ألست؟ ألست؟

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن[1].

= ص١٥٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٢٠ وينابيع المودة ج١ ص١٠٢ وج٢ ص٢٨٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٥ و ٢٣٨ وج١٤ ص٣٤ وج٢٠ ص١٧٣ و ٣٥٧ وج٢١ ص٣٤ و ٣٨ و ٣٩ وج٢٣ ص٣٢٥ و ٥٥٤ وج٣٠ ص٤١٨ و ٤١٩.

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٣٦٨ و ٤٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٩ و ١٤٦ وج٩ ص٩٣ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ =

فليبلغ الشاهد الغائب:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» لم يتكل على ما يعرفه من رغبة الناس بنقل ما يصادفونه في أسفارهم، إلى زوارهم بعد عودتهم، فلعل أحداً يكتفي بذكر ذلك فور عودته، ثم لا يعود لديه دافع إلى ذكره في الفترات اللاحقة، فجاء أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم ليلزمهم بإبلاغ كل من غاب عن هذا المشهد، مهما تطاول الزمن، وجعل ذلك مسؤولية شرعية في أعناقهم.

وبذلك يكون قد سد باب التعلل من أي كان من الناس بادعاء أن أحداً لم يبلغه هذا الأمر، وأنه إنما كان قضية في واقعة، وقد لا ينشط الكثيرون لذكَرها، إن لم يكن ثمة ما يلزمهم بذلك.. ولعلهم قد كانت لديهم اهتمامات أخرى شغلتهم عنها..

العمائم تيجان العرب:

قال الزبيدي: «ومن المجاز: عُمِّمَ ـ بالضم ـ أي سُوِّد، لأن تيجان العرب العمائم، فكلما قيل في العجم: توج، من التاج قيل في العرب: عمم.. وكانوا إذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء، وكانت الفُرْسُ تتوج ملوكها، فيقال له: المتوج..»[1].

= ص٣٦١ و ٣٧٦ والغدير (ط مركز الغدير للدراسات الإسلامية) ج١ ص٥٠ ـ ٥٣ و (ط دار الكتاب العربي) ج١ ص١٩ و ٢٠ متناً وهامشاً عن مصادر كثيرة جداً.

(١) تاج العروس ج٨ ص٤١٠ و (ط دار الفكر) ج١٧ ص٥٠٦ والغدير ج١ ص٢٩٠ وراجع: لسان العرب ج١٧ ص٥٠٦.

وقال: «والعرب تسمي العمائم التاج، وفي الحديث: «العمائم تيجان العرب» جمع تاج، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر، أراد أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك؛ لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس أو بالقلانس، والعمائم فيهم قليلة.. والأكاليل: تيجان ملوك العجم. وتوّجه: أي سوّده، وعممه»[1].

وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «العمائم تيجان العرب»[2].

وعن علي «عليه السلام» قوله: عممني رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم غدير خم بعمامة، فسدلها خلفي (أو فسدل طرفها على منكبي)، ثم قال: «إن الله أمدَّني (أيدني) يوم بدر وحنين بملائكة يعتمّون هذه العمة».

وقال: «إن العمامة حاجزة بين الكفر والإيمان»[3].

---

(١) تاج العروس ج٢ ص١٢ و (ط دار الفكر) ج٣ ص٣٠٥ والغدير ج١ ص٢٩٠ ولسان العرب ج٢ ص٢١٩.

(٢) راجع بالإضافة إلى تاج العروس ج٢ ص١٢: الجامع الصغير ج٢ ص١٩٣ والنهاية في غريب الحديث ج١ ص١٩٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٥٦ و ٥٧ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٣٧٨ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص١١٩ وأدب الإملاء والإستملاء للسمعاني ص٣٩ ومسند الشهاب لابن سلامة ج١ ص٧٥ والغدير ج١ ص٢٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٧٤٦ ونور الأبصار ص٥٨ والفردوس للديلمي ج٣ ص٨٧ حديث رقم ٤٢٤٦.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ص٢٣ وكنز العمال ج١٥ ص٣٠٦ و ٤٨٢ و ٤٨٣ والسمط المجيد ص٩٩ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٢ وفرائد السمطين ج١ ص٧٥ و ٧٦ وعن ابن أبي شيبة، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج١ ص٣٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٤ =

وعن ابن شاذان في مشيخته عن علي «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» عممه بيده، فذنب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثم قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أدبر.

فأدبر.

ثم قال له: أقبل.

فأقبل.

وأقبل على أصحابه، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: هكذا تكون تيجان الملائكة[1].

والعمامة التي عممه بها تسمى السحاب[2].

وقد قال ابن الأثير: «كان اسم عمامة النبي «صلى الله عليه وآله»

= والرياض النضرة ج٣ ص١٧٠ والغدير ج١ ص٢٩١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٢٣٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤١ وعن الصراط السوي.

(١) الغدير ج١ ص٢٩١ وفرائد السمطين ج١ ص٧٦ ونظم درر السمطين ص١١٢ وكنز العمال ج١٥ ص٤٨٤ وراجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٥٦ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٣٧٧ وكشف اللثام (ط.ج) ج٣ ص٢٦٣ والحدائق الناضرة ج٧ ص١٢٧ والكافي ج٦ ص٤٦١ وجواهر الكلام ج٨ ص٢٤٧ وغنائم الأيام ج٢ ص٣٥٣ والبحار ج٤٢ ص٦٩ وج٨٠ ص١٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٦ ص٧٤٧ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص١٢٠ ورياض المسائل ج٣ ص٢١٣.

(٢) الفردوس ج٣ ص٨٧ وفرائد السمطين ج١ ص٧٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٢٣٦ والغدير ج١ ص٢٩٠ و ٢٩١.

السحاب»[1].

قال الملطي: «قولهم ـ يعني الروافض ـ: علي في السحاب. فإنما ذلك قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي: أقبل، وهو معتم بعمامة للنبي «صلى الله عليه وآله» كانت تدعى «السحاب»، فقال «صلى الله عليه وآله»: قد أقبل علي في السحاب، يعني في تلك العمامة التي تسمى «السحاب»، فتأولوه هؤلاء على غير تأويله»[2].

وقال الغزالي والحلبي والشعراني: «وكانت له عمامة تسمى السحاب، فوهبها من علي، فربما طلع علي فيها، فيقول «صلى الله عليه وآله»: طلع علي في السحاب»[3].

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات هي التالية:

---

(١) النهاية في اللغة ج٢ ص٣٤٥ وراجع: البحار ج١٠ ص٥ وج١٦ ص٩٧ و ١٢١ و ١٢٦ وج٣٠ ص٩٤ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص٧١ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٢٧١ ولسان العرب ج١ ص٤٦١ وتاج العروس ج٢ ص٦٨.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص١٩ والغدير ج١ ص٢٩٢.

(٣) إحياء علوم الدين ج٢ ص٣٤٥ والبحر الزخار ج١ ص٢١٥ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤١ والغدير ج١ ص٢٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٥٦٣ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٨٣.

الرمز والشعار:

إننا نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مازج بين واقع ما يجري، وبين الرمز المشير، الذي يجعل الإنسان يعيش الشعور التمثلي الرابط بين الرمز وبين حركة الواقع.

١ ـ فيرى كيف يسبغ النبي «صلى الله عليه وآله» على علي «عليه السلام» مقام الرئاسة والسيادة، وذلك حين يعممه بيده. ولا يأمره بلبس العمامة، وكأنه يريد أن يحسس الناس بأنه يريد أن يجعل من هذه الحركة الرمزية وسيلة لإنشاء مقام الحاكمية له..

٢ ـ ثم إنهَ «صلى الله عليه وآله» يختار أن تكون العمامة التي يتوِّجه بها هي نفس العمامة التي عرف الناس أنها له، حتى بما لها من اسم ومن خصوصية مميزة.. ليشير بذلك إلى أنه إنما يعطيه الموقع الذي هو له، أو انه يريده أن يكون امتداداً له فيما يمثله، وفيما يوكل إليه من مهام..

٣ ـ ثم هو يتجاوز الفعل إلى القول، فيعلن: أنه يقصد بفعله هذا تكريس معنى السيادة والحاكمية فيه من خلال هذا التتويج، ما دام أن العمائم تيجان العرب.

٤ ـ ثم تجاوز ذلك إلى إعطاء هذا التصرف المقصود مضموناً دينياً عميقاً، ومثيراً، حين أعلن أن ما فعله بعلي «عليه السلام» لا يشبه لبس الآخرين من الأسياد والحاكمين لعمائم سيادتهم، بل هي سيادة خاصة تمتد قداستها، بعمقها الروحي، وبمضمونها الإيماني المرتبط بالسماء، ما دام أن الملائكة فقط هم الذين يعتمون هذه العمة.

٥ ـ ولم يكن فعل الملائكة هذا مجرد ممارسة لأمر يخصهم، ولا كان يريد

لعلي «عليه السلام» أن يتشبه بهم فيه، أو أن يكون له شبه بهم.. بل هو فعل له ارتباطاته الواقعية والعملية، بنفس حركة علي «عليه السلام» الجهادية والإيمانية، حيث قرر: أن الملائكة إنما تعتم بهذه العمامة في خصوص بدر وحنين.. وهما الواقعتان المتشابهتان جداً في كثير من خصوصياتهما، والمتميزتان بأن علياً «عليه السلام» جاء بالنصر فيهما، ولم يكن لأي من مناوئي علي «عليه السلام» أي دور أو أثر إلا الفرار من الزحف، وربما الممالأة لأهل الشرك على أهل الإيمان..

في حين أن الإسلام كله كان رهن النصر الذي أحرزه سيف علي «عليه السلام» دون سواه.

٦ ـ ثم جاء التصريح بعد التلميح ليؤكد على أن هذه العمامة بما لها من دلالات وخصوصيات ترمز إلى أمر أهم من ذلك كله، وهو: أنها الحد الفاصل بين الإيمان الخالص وبين دنس الشرك، بمختلف مظاهره وحالاته وحتى لو بمستوى أن يراود خاطر أي من الطامحين والطامعين، أو تلوث وجدانه استجابة لأي طمع بالحياة الدنيا.

٧ ـ أما ما نسبه الملطي للروافض، من أنهم قد تأولوا قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «طلع علي في السحاب»، فلعله لا يقصد بالروافض الإمامية الاثني عشرية أعزهم الله تعالى.. فإننا لا نشعر أن لديهم أي تأويل يعاني من أية شائبة تذكر..

أما غيرهم، فإن كان الملطي صادقاً فيما يقول، فلسنا مسؤولين عن أفعال وأقوال أهل الزيغ، بل سنكون مع من يناوئهم، ويدفع كيدهم، ويسقط أباطيلهم.

نعوذ بالله من شرور أنفسنا:

ثم إن الإنسان قد لا يجد في نفسه دافعاً نحو ارتكاب بعض الأمور إلا إذا كان هناك تزيين شيطاني، ووسوسة، وسعي لقلب الحقائق، وجعل القبيح حسناً، والحسن قبيحاً، ولو بربطه بأمور أخرى تكون ظاهرة الحسن أو القبح، أو الإيهام بأن هذا مصداق لها، وفي جملة منطبقاتها، ولو عن طريق الإدعاء والتخييل.

وهذا ما يعبر عنه بالتزيين الشيطاني الذي يظهر القبح بصورة الحسن، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾[١]. ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[٢]. ﴿زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾[٣]. ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾[٤]. ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾[٥] وآيات كثيرة أخرى.

وهناك أمور لا يحتاج الإنسان للاندفاع إليها إلى تزيين شيطاني، بل تكون هي بنفسها تملك زينة ظاهرة، تلائم نوازع النفس الأمارة، فيتلهى الإنسان بزينتها تلك عن التدبر في واقعها السيء، الذي قد يكون بمثابة السم المهلك.

---

(١) الآية ٣٧ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١٤ من سورة محمد.

(٣) الآية ٨ من سورة فاطر

(٤) الآية ٣٧ من سورة غافر.

(٥) الآية ١٣٧ من سورة الأنعام.

وربما يكون الأمر من قبيل الدواء الذي يشفي المريض، لكن النفس الأمارة حين تتلاءم مع بعض حالات ذلك الدواء، كما لو كان له طعم العسل مثلاً، تخرج فيه عن المقدار المفيد، وتتناوله على غير الوصف الذي حُدِّد له، فيفقد تأثيره من أجل ذلك، أو يصبح مضراً، وربما يؤدي إلى الهلاك في بعض الأحيان..

والإمارة والسلطان هي من الأمور التي تتلاءم في بعض جوانبها مع نوازع النفس الأمارة، فتندفع إليها، ولا تهتم بواقعها السيء، المتمثل في كونها ظلماً وعدواناً على الناس، واغتصاباً لحق الغير.. بل هي حين تفقد شرعيتها تمرد على الله، وتعدٍ على حاكميته المطلقة، وتجاوز لحدوده..

ولأجل ذلك نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بدأ خطبته بالإستعاذة بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، التي هي الأكثر فعالية، والأشد تأثيراً في الإندفاع إلى التعدي على حدود الله، وغصب الحاكمية من صاحبها الشرعي، والتعدي على حقوق الناس وظلمهم.

لا هادي لمن أضل الله:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن استعاذ بالله من شرور الأنفس، وسيئات الأعمال، لكي لا يستسلم الناس لدواعي الغفلة، عرفهم أن الله الذي يعيذهم هو المالك الحقيقي للتصرف، وأن لجوءهم إليه، إذا كانوا صادقين فيه، سوف يجعلهم في حصنٍ حصين، وسيعني هذا اللجوء أنهم يستحقون أن يعود عليهم بالفضل، ويفتح أمامهم أبواب الرحمة.

ولن تستطيع أية قوة أن توصد تلك الأبواب، بل لا بد أن يبقوا في ذلك

الحصن الحصين، والمكان الأمين ما شاؤوا.. وما استقاموا على طريق الحق.

وحين يتسبب العبد بأن توصد أمامه أبواب الرحمة والهداية، فلن يستطيع أحد أن يفتح تلك الأبواب أمامه، إلا إذا أصلح ذلك العبد ما أفسده، واستحق أن يعود الله عليه بالرحمة، فإن الله تعالى وحده دون سواه هو الذي يفتح أمامه تلك الأبواب من جديد، على قاعدة: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[1]. وهذا البيان يفسر لنا قوله «صلى الله عليه وآله»: لا هادي لمن أضل الخ..

الإقرار بالإعتقادات:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بادر إلى الشهادة لله بالوحدانية، والإقرار على نفسه بالعبودية لله، ولها بالرسولية، توطئة لتقرير ذلك الحشد بمثل ذلك، وتسهيلاً للإقرار به عليهم، ورفعاً لاستهجانهم، وإبعاداً لأي ظن أو احتمال قد يراود أذهانهم فيما يرتبط بمستوى الثقة، واليقين بصدق إيمانهم. فإن ذلك أدعى لإلزامهم فيما يلزمون به أنفسهم، وأقوى في تعظيم أمر النكث وتهجينه، واستقباح صدوره منهم، إن لم يكن تديناً وخوفاً من العقوبة في الآخرة، فالتزاماً بالإعتبارات التي ألزموا بها أنفسهم في الحياة الدنيا.

فهو يستعين بكل ما لا مانع شرعاً من الإستعانة به لدفع الفساد، والإفساد، وتضييق الخناق على الباطل، وتأكيد وضوح الحق، فهو نظير

---

(١) الآية ٢ من سورة فاطر.

قول أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه: أما تستحيون؟! أما تغارون؟! نساؤكم يزاحمن العلوج في الأسواق؟!"[1].

فإنه «عليه السلام» يريد أن يحرك فيهم معنى الحياء والغيرة، لكي يبادروا إلى منع ما قد ينشأ عنه الفساد، ولو في أدنى مستوياته.

وهكذا فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإنه ذكرهم بأصل التوحيد، فشهدوا لله تعالى بالوحدانية، وبأصل النبوة، فشهدوا له «صلى الله عليه وآله» بأنه رسول من الله إليهم، مما يعني أن ما يأتيهم به هو من عند الله.

وذكَّرهم بالنار التي يعاقب بها المتمردون على الله، المخالفون لرسوله، وبالجنة التي يثاب بها المطيعون لهما، وبأن الموت حق، والبعث والحساب حق، فلماذا يتعلقون بالدنيا، ويفسدون آخرتهم من أجلها..

ثم ذكَّرهم بالإمامة، وبما يحفظ من الهداية والضلال، وبميزان الأعمال من خلال التأكيد على حديث الثقلين.

كل ذلك توطئة لنصب أمير المؤمنين «عليه الصلاة السلام» ولياً وهادياً، ومرجعاً وإماماً.

---

(١) الكافي ج٥ ص٥٣٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٠ ص٢٣٦ و (ط دار الإسلامية) ج١٤ ص١٧٤ والشرح الكبير لابن قدامه ج٨ ص١٤٤ وكنز العمال ج٣ ص٧٨٠ ومسند أحمد ج١ ص١٣٣ ومشكاة الأنوار ص٤١٧ وراجع: البحار ج٧٦ ص١١٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٢٧١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٩٦ موسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٨ ص٢٤٣ والمغني لابن قدامه ج٨ ص١٣٧ والحدائق الناضرة ج٢٣ ص١٥٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٠ ص٢٧١ وجامع السعادات ج١ ص٢٣٩.

الحساب على الحب والبغض:

وربما يسعى بعض الناس إلى إشاعة المفهوم القائل: إن أمر الحب والبغض ليس اختيارياً، وذلك ليتسنى لهم التملص من تبعات حبهم لمن يبغضهم الله، وبغضهم لمن يحبهم الله تبارك وتعالى.

باعتبار أن الإنسان لا يحاسب على الحب والبغض إلا إذا ظهرت آثارهما في مقام العمل، فالحساب إنما يكون عليه، لا عليهما.

ولكن ما ورد في كلام الرسول «صلى الله عليه وآله» يوم غدير خم يدل على خلاف ذلك، حيث دعى «صلى الله عليه وآله» لمحب علي «عليه السلام»، ودعَا على مبغضه، فقال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه».

ولأجل ذلك، أوجب تعالى حب أهل الإيمان وبغض أهل الضلال والكفر والطغيان. وعاتب وعاقب من يخالف ذلك.. وتجد في الآيات والروايات ما يؤكد هذا الأمر، فراجع.

وأدر الحق معه حيث دار:

وقد ضمَّن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاءه لعلي «عليه السلام» يوم الغدير قوله: «وأدر الحق معه حيث دار»، فدل ذلك على أن المولوية التي جعلها له «عليه السلام» تختزن معنى الحق والمسؤولية عنه، علماً أو عملاً، أو كلاهما. إذ لولا ذلك لم يحتج إلى هذا الدعاء.

حديث الثقلين:

وهذه المسؤولية عن الحق هي التي فرضت أن يقرن «صلى الله عليه وآله» بين القرآن والعترة لحفظ الأمة من الضلال، وجعل استمرار هذا الاقتران بينهما من مسؤولية الأمة أيضاً.

ولا بد أن يكون اقتراناً متناسباً مع شمولية القرآن، ومع ما تضمنه من حقائق، وما يتوخى من موقف للأمة تجاهه.. ومع مسؤولية العترة تجاه القرآن في مجال العلم والعمل، والتربية، وما يترتب على ذلك من لزوم الطاعة والنصرة، وما إلى ذلك.. ولا يكون ذلك إلا بالتمسك به، وبالعترة في العلم وفي العمل والممارسة.. سواء في الأحكام أو في القضاء بين الناس، أو في السياسات، أو في الإعتقادات، أو في الأخلاق، و في كل ما عدا ذلك من حقائق، لهج وصرح بها القرآن الكريم، وهذا يختزن معنى الإمامة بكل أبعادها وشؤونها..

وانصر من نصره:

ويؤكد هذا المعنى، ويزيده رسوخاً قوله «صلى الله عليه وآله»: «وانصر من نصره، واخذل من خذله..»، فإن إيجاب النصر له على الناس، وتحريم الخذلان إنما هو في صورة التعرض للتحدي، والمواجهة بالمكروه، من أي نوع كان، ومن أي جهة صدرت.

وذلك يشير إلى: أنه «عليه السلام» هو المحق في كل نزاع يحاول الآخرون أن يفرضوه عليه، وأن على الأمة نصره، بردع المعتدي، فإن لم تستطع، فلا أقل من أن لا تنصر أعداءه، وأن تعتقد بأن غيره ظالم له، معتد

عليه، مبطل في ما يدَّعيه.

وقد جاءت هذه الإشارات اللائحة، والدلالات الواضحة قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بيسير، وقد واجه علي «عليه السلام» المحنة التي فرضها عليه نفس هؤلاء الذين خاطبهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا الخطاب!! واستنطقهم، وقررهم، وردوا عليه الجواب. وهم الذين هنأوا علياً «عليه السلام»، وبخبخوا له، وبايعوه، حتى قال ابن عباس: وجبت ـ والله ـ في أعناق القوم.

أمهات المؤمنين يهنئن علياً عليه السلام:

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر أمهات المؤمنين بأن يسرن إلى علي «عليه السلام» ويهنئنه، ففعلن، وما ذلك إلا لأنه يريد أن يقطع العذر لمن تريد منهن أن تشن عليه حرباً ضروساً، يقتل فيها المئات والألوف، فلا تدَّعي أنها لم تعرف شيئاً مما جرى في يوم الغدير، لأنها كانت معزولة في خدرها عن الحدث، رهينة الحجاب المفروض عليها.

أو أن تدّعي: أن ما عرفته من أفواه الناس من أقاربها كان لا يقيم حجة، ولا يقطع عذراً، أما النساء فإنهن وإن أبلغنها بشيء مما كان يجري، لكن حالهن حالها، وربما يبلغها ما لا يبلغهن، أو أن ما يبلغها قد يكون أكثر دقة مما يتناهى إلى مسامعهن، بعد أن تعبث به الأهواء، ويختلط مع التفسيرات والتأويلات، والإجتهادات وما إلى ذلك..

وإن نفس الطلب إلى نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يقمن بهذا الأمر، لا بد أن يفسح المجال لسؤالهن عن سبب هذه التهنئة، وعن حقيقة

ما جرى. لا سيما إذا كانت هذه أول مرة يطلب فيها من أمهات المؤمنين أن يشاركن في تهنئة أحد، فإن هذا أمر له ارتباط بالرجال غير رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد جاء الأمر بذلك عاماً وشاملاً لهن من دون استثناء، فلا مجال للتأويل والتحليل، أو لاحتمال أن ذلك كان لخصوصية اقتضت طلب ذلك من امرأة بعينها..

معنى الولاية في حديث الغدير:

قال السيد المرتضى «رحمه الله»: إن أولى بمعنى مولى، كما قاله أئمة اللغة في تفسير الآية[1].

أما سائر معاني كلمة مولى فهي إما بديهية الثبوت لعلي، فيكون ذكرها في يوم الغدير عبثاً.. مثل: «ابن العم، والناصر» التي ذكر أنها من معاني «المولى».

وإما واضحة الإنتفاء، ولا يصح إرادتها. مثل: «معنى المعتِق والمعتَق، فلا يصح إرادتها في مناسبة الغدير، لأن ذلك يستلزم الكذب فيهما.. وذلك لا يصدر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..».

فأجاب الرازي بما ملخصه: إنه لو كان مولى وأولى بمعنى واحد لصح

---

(١) راجع: رسائل المرتضى ج٣ ص٢٥٣ وج٤ ص١٣١ والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج٢ ص٢٦١ وراجع: العمدة لابن البطريق ص١١٦ والبحار ج٣٧ ص٢٣٨ وج٣٧ ص٢٤٠ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٢٥ ونهج الإيمان لابن جبر ص١٢٤ والصراط المستقيم ج١ ص٣٠٨ والرسائل العشر للشيخ الطوسي ص١٣٥ وراجع: كنز الفوائد ص٢٢٩ وقد ذكر العلامة الأميني طائفة كبيرة من أقوال العرب وأهل اللغة، فراجع كتاب الغدير ج١ ص٣٤٥ ـ ٣٤٨.

استعمال كل منهما مكان الآخر، فكان يجب أن يصح أن يقال: هذا مولى من فلان.. ويصح أن يقال: هذا أولى من فلان[1].

وقد أجاب علماؤنا على كلام الرازي بما يلي:

أولاً: إن الترادف إنما يكون في حاصل المعنى، دون الخصوصيات التي تنشأ من اختلاف الصيغ، والإشتقاقات، أو أنحاء الإستعمال.. فكلمة «أفضل» تضاف إلى صيغة التثنيه بدون كلمة «من»، فيقال: زيد أفضل الرجلين، لكن حين تضاف إلى المفرد، فلا بد من كلمة من، فلا يقال: زيد أفضل عمرو، بل يقال: زيد أفضل من عمرو.

ثانياً: لنأخذ معنى الناصر في كلمة «مولى».. فإنه يصح أن يقال: فلان ناصر دين الله، ولكن لا يصح أن يقال: فلان مولى دين الله.

وقال عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ﴾[2]. ولا يقال: من مواليّ إلى الله..

ويقال: الله ولي المؤمنين ومولاهم.. ويقال: فلان ولي الله، ولا يقال: مولى الله، كما ذكره الراغب[3].

ويقال: إنك عالم. ولا يقال: إنَّ أنت عالم.

فالمولى اسم للمتولي، والمالك للأمر، والأولى بالتصرف. وليس صفة ولا هو من صيغ أفعل التفضيل بمنزلة الأولى، لكي يقال: إنه لا يأخذ أحكام كلمة «أولى» التي هي صفة..

---

(١) راجع: التفسير الكبير ج٢٩ ص٢٢٧ والغدير ج١ ص٣٥٠ و ٣٥١ عنه، وعن نهاية العقول، تفسير الآلوسي ج٢٧ ص١٧٨.

(٢) الآية ٥٢ من سورة آل عمران.

(٣) مفردات الراغب ص٥٣٣.

ثالثاً: لو كان المراد بالمولى المحب والناصر، فقوله «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه». إن كان المراد به: الإخبار بوجوب حبه «عليه السلام» على المؤمنين، أو إنشاء وجوب حبه عليهم، فذلك يكون من باب تحصيل الحاصل، لأن كل مؤمن يجب حبه على أخيه المؤمن، فما معنى أن يجمع عشرات الألوف في ذلك المكان؟! ليقول لهم: يجب أن تحبوا أخاكم علياً؟!

ولماذا يكون ذلك موازياً لتبليغ الرسالة ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾؟![1]. ولماذا يكمل به الدين، وتتم به النعمة؟!.

ولماذا يهنئه عمر وأبو بكر بهذا الأمر، ويقولان له: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وكأنه لم يكن كذلك. قبل هذا الوقت باعتقادهما.

ألم يكن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يحب بعضهم بعضاً؟!

ألم يكن الله قد اعتبر المؤمنين بمثابة الإخوة؟!

يضاف إلى ما تقدم: أن وجوب النصرة والمحبة لا يختص بعلي «عليه السلام»، بل يشمل جميع المؤمنين.

وإن كان المقصود هو إيجاب نصرة مخصوصة تزيد على ما أوجبه الله على المؤمنين تجاه بعضهم، فهو المطلوب، لأن هذا هو معنى الإمامة، ولا سيما مع الإستدلال على هذه النصرة الخاصة بمولوية النبي «صلى الله عليه وآله» لهم..

وإن كان المراد الإخبار بأنه يجب على علي «عليه السلام» أن يحبهم وأن

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

ينصرهم.. فلا يحتاج هذا إلى جمع الناس يوم الغدير، ولا إلى نزول الآيات، وما إلى ذلك.. إذ كان يكفي أن يخبر علياً بأنه يجب عليه ذلك..

وعلى كل حال، فإن قوله «صلى الله عليه وآله»: «ألست أولى بكم من أنفسكم» يفيد أنها ولاية نصرة ومحبة ناشئة عن هذه الأولوية منهم بأنفسهم.. كما أن جعل وجوب نصرة علي «عليه السلام» كوجوب نصرة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم يؤكد ذلك..

فإن نصرة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم إنما هي من حيث نبوته، وملكه لأمورهم، وزعامته عليهم.. وليست كوجوب نصرتهم أو محبتهم لبعضهم بعضاً.

وأما القول بأن المراد بالمولى المالك والمعتق، فيرد عليه: أنه لم يكن هناك مالكية حقيقية، ولا عتق، ولا انعتاق.

وإن كان المراد بكلمة مولى: السيد، فهو يقترب من معنى الأولى، لأن السيد هو المتقدم على غيره. وهذا التقدم ليس بالقهر والظلم، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قرن سيادة علي «عليه السلام» بسيادة نفسه، فلا بد أن يكون التقدم بالإستحقاق، من خلال ما يملك من مزايا ترجحه عليهم، وبديهي: أن أية مزية شخصية لا توجب تقدماً، ولا تجعل له حقاً عليهم، يجعله أولى بهم من أنفسهم، إلا إذا كانت هذه المزية قد أوجبت أن يجعل من بيده منح الحق ومنعه لصاحب هذه المزية مقام الأولوية بهذا المستوى الذي هو من شؤون النبوة والإمامة. وليس لأحد الحق في منح هذا المقام إلا الله تبارك وتعالى..

وكذلك الحال لو كان المراد بكلمة المولى، المتصرف والمتولي للأمر، فإن

حق التصرف إنما يثبت له بجعل من له الحق في الجعل، وهو الله سبحانه وفق ما ذكرنا آنفاً..

الجمع بين المعاني:

وقد ذكر العلامة الأميني وغيره: أن الذي يجمع تلك المعاني كلها هو الأولى بالشيء، فإنه مأخوذ من جميع تلك المعاني بنوع من العناية، فـ «المعتِق» أولى. لأن له حقاً على «المعتَق»، وهو أولى به لتفضله عليه.

والمالك أولى بالمملوك، والسيد أولى بمن هم تحت سيادته، والابن أولى بالأب، والأخ أولى بأخيه، والتابع أولى بمتبوعه، والصاحب أولى بصاحبه الخ..

فالمعاني التي تذكر لكلمة مولى ليست معاني لها على سبيل الإشتراك اللفظي، بل هي خصوصيات في موارد استعمال كلمة مولى، وليس لها دخل في معناها وهو «الأولى». وقد اشتبه عندهم المفهوم بخصوصية المصداق.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «ألست أولى بكم من أنفسكم» يدل على ما نقول..

ويدل عليه أيضاً: ما ورد في بعض نصوص الحديث، من أنه «صلى الله عليه وآله» سأل الناس، فقال: فمن وليكم؟!

قالوا: الله ورسوله مولانا.

وقوله «صلى الله عليه وآله» في نص آخر: «تمام نبوتي، وتمام دين الله في ولاية علي بعدي..» فإن ما يتم به الدين هو الولاية بمعنى الإمامة.

وفي بعض النصوص أنه «صلى الله عليه وآله» قال في تلك المناسبة: هنئوني،

هنئوني، إن الله تعالى خصني بالنبوة، وخص أهل بيتي بالإمامة..

يضاف إلى ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي.

ويؤيد ذلك أيضاً، بل يدل عليه: بيعتهم لعلي «عليه السلام» في تلك المناسبة، وقد استمرت ثلاثة أيام.

وكذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: «إني راجعت ربي خشية طعن أهل النفاق ومكذبيهم، فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني» أو ما هو قريب من هذه المعاني، فإن طعن أهل النفاق، وخوف النبي «صلى الله عليه وآله» من الإبلاغ إنما هو لأمر جليل كأمر الإمامة، ولا ينسجم ذلك مع إرادة المحب أو الناصر من كلمة المولى.

يضاف إلى ذلك، التعبير بكلمة: «نصب علياً»، أو «أمر الله تعالى نبيه أن ينصبني»، أو «نصبني» أو نحو ذلك.

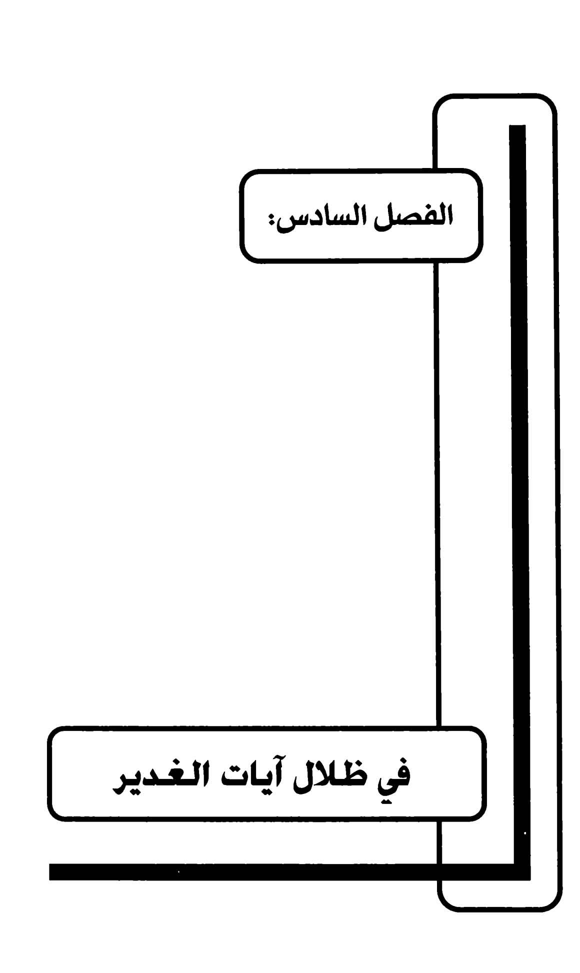
وعبارة ابن عباس: وجبت والله في رقاب (أو في أعناق) القوم.

ونزول قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[1].

وثمة مؤيدات وقرائن أخرى ذكرها كلها العلامة الأميني في كتابه الغدير، فراجع الجزء الأول منه، فصل «القرائن المعيّنة لمعنى الحديث». وراجع الأحاديث الأخرى المفسرة لمعناه أيضاً في كتاب الغدير ج١ ص٣٨٥ ـ ٣٩٠.

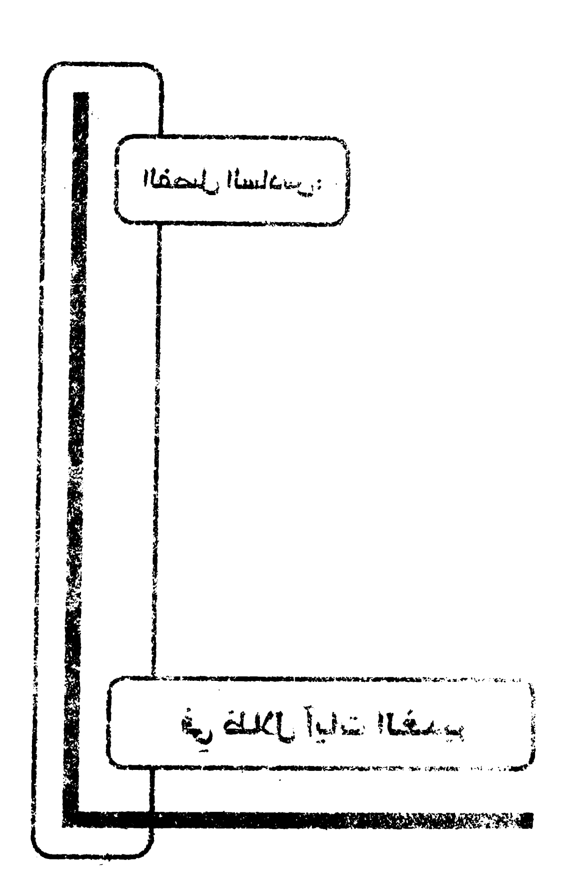
---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.



الفصل السادس:

في ظلال آيات الغدير


الفصل السابع :
في الكلام آيات الغيب

بداية:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلحْمُ الخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ وَالمُنْخَنِقَةُ وَالمَوْقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

إننا من أجل توضيح المراد نحتاج إلى البحث في جهات عدة، نجعلها ضمن العناوين التالية:

قد عرفنا: أن هناك آيتين قد نزلتا في مناسبة الغدير، وهما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

والأخرى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٧ سورة المائدة.

﴿الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[1].

وثمة أمور تحتاج إلى توضيح وبيان، نذكر منها هنا ما يلي:

تأكيد التحريم لا تأسيس!:

بالنسبة لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نقول:

قد ذكرت الآية المباركة بعض ما حرمه الله تعالى من الأطعمة، فيما يرتبط باللحوم. فذكرت حرمة أربعة منها، هي: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به. وهي أمور قد ورد تحريمها في آيات أخرى، في سور أخرى نزلت قبل سورة المائدة، وهي: سورة الأنعام الآية ١٤٥، وسورة النحل الآية ١١٤ و ١١٥ وهما مكيتان، وسورة البقرة الآية ١٧٣ وهي مدنية قد نزلت في أوائل الهجرة.

فتكون آية سورة المائدة قد جاءت لتأكيد التحريم لا للتأسيس.

ثم أضاف تعالى بعض مصاديق الميتة إما واقعاً، أو ما اعتبره الشارع بحكم الميتة، من حيث كونه من مصاديق الفسق المشار إليه بقوله: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾[2]، الذي حرمته الآية ١٤٥ من سورة الأنعام المكية.

فذكر من مصاديق الميتة الواقعية: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، فإن موتها قد استند لغير التذكية.

وذكر أيضاً من مصاديق ما هو بحكم الميتة لكونه من الفسق: ما ذبح على النصب، وهي الأحجار التي كانت تنصب حول الكعبة للذبح عليها،

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

وتقديسها. وكذلك ما أخذ على سبيل المقامرة والإستقسام بالأزلام، حيث كانوا يقسمون السهام إلى عشرة، فيكون لسبعة منها حظوظ، وثلاثة لا حظوظ لها، فمن أصابتهم هذه الثلاثة يغرمون قيمة الجزور، الذي يقسم على خصوص أصحاب السهام السبعة الأخرى.

وما أهل لغير الله به، وهو الذبح باسم أحد المعبودات.

وقد حكم تعالى بأن هذا العمل يوجب حرمة تلك الذبيحة، ويجعلها من مصاديق الفسق، وبحكم الميتة..

ثم ذكر سبحانه: أن من اضطر في مخمصة ـ وهي شدة الجوع ـ للتناول من هذه المحرمات، لأجل حفظ نفسه، ولم يتجاوز الحد، فإن الله غفور رحيم..

وبملاحظة هذا الإستدراك في الآية: رجحنا تخصيص الإستقسام بالأزلام، والإهلال لغير الله به بخصوص الذبائح. ولم نحكم بشموله لكل استقسام بالأزلام، ولو في غير هذا المورد..

الجملة اعتراضية:

ثم إنه لا ريب في أن قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾[1]. جملة اعتراضية وردت في ضمن بيان حرمة الميتة ومحرمات أخرى من اللحوم والذبائح على المختار أولاً.. ثم جواز ذلك للمضطر ثانياً..

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

وقلنا: إن جميع هذه الأحكام قد سبق أن بينها الله تعالى في آيات نزلت قبل سنوات من نزول سورة المائدة. إما بنحو التنصيص والصراحة، أو ببيان حكم العنوان العام الشامل لها. كعنوان الميتة، وعنوان الفسق.

لماذا الجملة الإعتراضية؟!:

ويلاحظ: أن الإتيان بالجملة الإعتراضية بين أمرين ظاهري التلازم، يشير بوضوح إلى أهمية الأمر الذي يراد بيانه في الجملة الإعتراضية، لدلالته على أن هذا الأمر لا مجال لتأجيله، بل هو من الأهمية بحيث جعل المتكلم يبادر إلى قطع كلامه المترابط، ليشير إليه، ثم يعود لإكمال كلامه من حيث قطعه.

فإن أحداً لا يقطع كلامه لأجل بيان أمر تافه، أو عادي، كأن يقول لأحدهم مثلاً: يا فلان، انفض الغبار عن كم قميصك. ثم يعود لمتابعة كلامه الأول. بل هو يقطع كلامه ليقول: احذر من أن يقع ولدك عن السطح، أو في البئر، أو إحذر من الأفعى لا تلدغك، أو نحو ذلك.

لماذا جعلت بين أحكام سبق بيانها؟!:

وإنما أورد تبارك وتعالى هذا الأمر الخطير في ضمن جملة إعتراضية، بين أحكام سبق بيانها أكثر من مرة، وليس فيها ولو حكم تأسيسي واحد، لكي لا يتوهم أحد أن الدين قد كمل بإبلاغ هذا الحكم أو هذه الأحكام الواردة في هذه الآية في هذا اليوم.

كما أنه قد اختار أن يجعل الحديث عن إكمال الدين في سياق التأكيد على أحكام سبق بيانها لأنه يريد أن يقول: إن التأكيد على الأحكام إنما هو بهدف حفظ الأحكام، والإهتمام بإلزام الناس، والتزامهم بها..

كما أن من جملة وظائف الإمام، ومن دواعي نصبه للناس عَلَماً، هو أيضاً الحفاظ على أحكام الدين، وسلامتها من الإهمال، ومن التحريف، وضمان وصحة تطبيقها في حياة الأمة.

فالجملة الإعتراضية جاءت لتأكيد المضمون العام للبيان التأكيدي للأحكام.

لماذا الأحكام الإلزامية تحريمية؟!:

ويلاحظ هنا أيضاً: أن هذا الإعتراض إنما جاء في سياق التأكيد على أحكام إلزامية، تحريمية، لا وجوبية، فهي إلزامية بحيث يكون أي إخلال بها من موجبات الوقوع في الهلكة، والابتلاء بالمأزق الذي يلامس مصير الإنسان نفسه.

وهي تحريمية إذ لو كانت إلزاميّة وجوبية، فقد يتوهم أن المقصود هو جلب المصلحة، وهي قد يتخلى الإنسان عنها لسبب أو لآخر، أما الأحكام التحريمية، فإن مخالفتها تعني الوقوع في الهلكة مباشرة، ولا مجال للتخلي عنها لأي سبب.. إلا إذا كان ذلك رافعاً لحكم التحريم..

وكذا الحال لو جاء بها في سياق بيان بعض المستحبات، أو بعض الضوابط الأخلاقية، أو في سياق بعض السياسات التدبيرية، فسوف لن يكون لها هذا الأثر، ولأمكن التأويل والتهرب من مضمونها الإلزامي.

بل قد نجد من يدَّعي: أن الأمر لا ينحصر بعلي «عليه السلام» ولا بغيره، بل قد يكون غيره قادراً على القيام بنفس الدور، ولا خصوصية لعلي ولا للأئمة من أهل البيت «عليهم السلام»، بل ولا حتى للنبي الأعظم

«صلى الله عليه وآله» في ذلك.

متى يئس الذين كفروا.. وكمل الدين؟!:

وقد اقترن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾. بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]، فدل على: أن اليوم الذي يئس فيه الذين كفروا من الدين هو نفس اليوم الذي أكمل الله تعالى فيه دينه، لكنهم اختلفوا في تحديد هذا اليوم.. فقيل: المراد به: فتح مكة[2].

ويرد عليه: أنه إذا كان كمال الدين لبيان تمام الأحكام، فذلك يعني: أن الدين لم يكمل آنئذٍ، ولم تتم النعمة.. إذ قد استمر تشريع الأحكام بعد يوم الفتح أيضاً، وسورة المائدة نفسها، قد تضمنت شيئاً من ذلك.

وقيل: المراد به: ما بعد تبوك، حيث نزلت سورة براءة، وقد انبسط الإسلام على جزيرة العرب كلها، وعفيت آثار الشرك، وذهبت سنن الجاهلية وزالت[3].

ويرد عليه: نفس ما قلناه آنفاً، فإنه قد نزلت فرائض وأحكام، وأبلغت تشريعات كثيرة بعدئذٍ، كما أن في نفس سورة المائدة أحكاماً كثيرة، وهي قد نزلت بعد سورة براءة.

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) تفسير السمرقندي ج١ ص٣٩٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص٦٠ وفتح القدير ج٢ ص١٠ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٠ وراجع: تفسير الجلالين ص١٣٥.

(٣) تفسير الميزان ج٥ ص١٦٩.

وقيل: المراد به: يوم عرفة، حيث رووا: أن آية إكمال الدين قد نزلت في يوم عرفة، فراجع البخاري ومسلم وسواهما[1].

ويرد عليه: أن يأس الذين كفروا يوم عرفة لا بد له من مبرر، فإن كان المبرر هو: فتح مكة، أو غزوة تبوك، أو نزول سورة براءة، فقد حدث ذلك قبل يوم عرفة في السنة العاشرة بزمان طويل.

وإن كان المبرر هو تمام نزول الأحكام، فيرد عليه: أن بعض الأحكام قد نزل بعد يوم عرفة، مثل آية الكلالة التي في آخر سورة النساء، وآيات الربا، كما قاله عمر بن الخطاب في خطبة له[2].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٢٨٠ وجامع البيان للطبري ج٦ ص١٠٥ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٩٢ و ٤٠٥ وتفسير الثعلبي ج٤ ص١٦ وتفسير ابن زمنين ج٢ ص٨ وتفسير الواحدي ج١ ص٣٠٨ وزاد المسير لابن الجوزي ج٢ ص٢٣٨ عن مجاهد وابن زيد، والتفسير الكبير تفسير للرازي ج٥ ص١٩١ وتفسير العز بن عبد السلام ج١ ص٣٧٠ والتسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص١٦٨ وتيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ص٢٢٠ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٥٨.

(٢) صحيح مسلم ج٢ ص٨١ وج٥ ص٨ والغدير ج٦ ص١٢٧ ونهج السعادة ج٨ ص٤٢٢ ومسند أحمد ج١ ص٢٦ و ٢٨ و ٤٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٥٠ وشرح مسلم للنووي ج٥ ص٥٣ وج١١ ص٥٧ ومسند أبي يعلى ج١ ص١٦٦ وجامع البيان للطبري ج٦ ص٥٩ وتفسير البغوي ج١ ص٤٠٤ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٦٠٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٦٩ و ١٦٨ والدر المنثور ج٢ ص٢٤٩ وفتح القدير ج١ ص٥٤٤ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٤ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص١٩٥ وراجع: مسند أبي يعلى ج٥ ص٧٥.

وروي أيضاً ذلك عن ابن عباس[1].

وإن كان الموجب ليأس الذين كفروا، ولإكمال الدين هو نزول أحكام: الميتة، والدم، ولحم الخنزير في آية سورة المائدة، فهي لا توجب هذا اليأس أيضاً، إذ لا خصوصية لها على ما عداها..

وقد ذكرنا: أن ذكر هذه الأحكام لم يكن للتأسيس، بل هي للتأكيد، لأنها كانت قد نزلت قبل عدة سنوات، حسبما أوضحناه..

وإن كان المبرر هو حضور النبي «صلى الله عليه وآله» في موسم الحج، وتشريع بعض أحكامه، فيرد عليه: أن ذلك لا يوجب يأس الكفار من الدين أيضاً.. إذ لا فرق في التشريع بين ما يرتبط بالحج، وبين غيره..

وبعد ظهور عدم صحة ذلك كله، نقول:

العلة المحدثة والمبقية:

إن إكمال الدين إنما هو بإيجاد علته المبقية، بنصب الحافظ له، والمبين لحقائقه، والعالم بمعاني قرآنه، والعارف بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وبذلك ييأس الذين كفروا من تحريف الدين، والتلاعب بشريعة رب العالمين، فإن الإمام هو الذي يصونه من عبث أهل النفاق، ويحفظ الناس من الوقوع فريسة للشكوك والشبهات..

فإذا كان الذين كفروا يفكرون في أن بإمكانهم النيل من دين الله بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن نصب الولي، والإمام الحافظ

---

(١) راجع: أسباب نزول الآيات ص٩ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٥٦٣ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٥ والبرهان للزركشي ج١ ص٢٠٩.

سوف يبعث اليأس في نفوسهم من أن يتمكنوا من تحريفه، ومن التلاعب بمفاهيمه، وقيمه، والعبث بتعاليمه، وأحكامه..

فظهر أن الدين قد كمل بنصب الإمام، وتكريس مفهوم الإمامة في الإسلام، وسدت بهذا التشريع الرباني الثغرة التي قد يحاول المبطلون النفوذ منها، وأنيط حفظ الدين بهذا القرار الديني والشرعي الملزم للناس، وأصبح هو المعيار الذي يرجعون إليه، بعد أن ثبت وتعزز في وجدان الأمة على النحو الذي سعى إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» طيلة ثلاث وعشرين سنة، توجتها مناسبة يوم الغدير.

وكما أنِ الكافرين سوف ييأسون، فإن المؤمنين سوف يشعرون بكمال دينهم، وبتمام النعمة عليهم، بعد أن وضعت الضمانات المؤثرة في رد كيد الأعداء، ووضح السبيل لفضح خدعهم، وبوار أباطيلهم.

وبذلك رضي الله تعالى الإسلام ديناً باقياً، وأبدياً للبشرية كلها..

فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي:

وقد زالت بذلك موجبات خشية المؤمنين من كيد الذين كفروا، وأصبح الأمر مرهوناً بالمسلمين أنفسهم، بمدى التزامهم بما أخذ عليهم من عهد وميثاق منه تعالى، وخضوعهم للتدبير الرباني، واستجابتهم لما يحييهم، وطاعتهم لمن نصبه الله ورسوله ولياً وحافظاً لهم، ولدينهم.. ولذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[1].

---

(١) الآية ١٥٠ من سورة البقرة.

فالآية تريد أن تحدد المسؤوليات، وتسد أبواب التملصات المقيتة، من قبل من يظهرون الطاعة والإنقياد، ويبطنون الصدود والعناد، ويدبرون في الخفاء للإستئثار بالأمر، وإقصاء صاحبه الشرعي عنه، ولا شيء يدفعهم إلى ذلك سوى حب الدنيا وزينتها، وعدم الإعتداد بشيء آخر سواها..

فعلى الناس أن يحفظوا نعمة الله عليهم، وأن لا يفرطوا فيما حباهم الله به، ولا يخضعوا لأهواء أهل الكفر، ولا يخشوا كيدهم ومؤامراتهم، وإلا فإنهم سيذوقون وبال أمرهم، وستكون أعمالهم هي السبب في سلب هذه النعمة منهم وعنهم.

أكملت.. أتممت:

ويلاحظ: أن الآية قد عبرت بالإكمال بالنسبة للدين، وبالإتمام بالنسبة للنعمة، وربما يكون الفرق بينهما: أن الإكمال هو تتميم خاص، فإنه يستعمل حيث يكون للشيء أجزاء لها أغراض وآثار مستقلة، فكلما حصل جزء، تحقق معه أثره وغرضه، فهو من قبيل العموم الأفرادي، ويمكن أن يمثل له بصيام شهر رمضان، فإن صيام أي يوم منه يوجب تحقيق أثره، ويسقط وجوبه، وتبقى سائر الأيام على حالها..

أما الإتمام، فيستعمل فيما يكون له أجزاء لا يتحقق لها أثر حتى تكتمل، فيكون الأثر لمجموعها، فلو فقد واحد منها لانتفى الأثر المترتب على المجموع. فهو نظير ساعات اليوم الذي يصام فيه، فإنها لا يترتب الأثر على صيامها إلا بعد انضمام أجزائها إلى بعضها، بحيث لا يتخلف جزء منها، فإنه

يوصف بالتمام في هذه الحال، ولذلك قال: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[1]، وكذلك الحال في الصلاة بالنسبة لأجزائها، فإن بطلان أو إسقاط أي جزء منها يوجب سقوط الصلاة نفسها، وبطلانها.

والدين هو مجموعة قضايا ومفاهيم وأحكام، لها آثارها الخاصة بها، ولكل واحد منها طاعته ومعصيته على حدة.. فيصح التعبير عنه بالإكمال.

أما النعمة التي أتمها الله فهي هنا تشريع ما يكون موجباً لحفظ الدين، وهو ولاية أولياء الله تبارك وتعالى، لتقام بهم أركان الدين، وتنشر بهم أعلامه. وبذلك يأمن المؤمنون من أي فتنة أو افتتان.

ويتحققَ بذلك شرط قبول أعمال العباد، فإذا نقض المسلمون عهدهم، ولم يلتزموا بطاعة الإمام، حرموا من بركات وجوده، وعاشوا في المصائب والبلايا في حياتهم الدنيا، ويكونون عرضة للفتن والمحن بما كسبت أيديهم.

الإسلام مرضي لله دائماً:

وقد يتوهم: أن قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[2]، يدل على أن الإسلام لم يكن مرضياً قبل ذلك اليوم أيضاً.

وهو توهم باطل، فإن الإسلام مرضي لله دائماً. والمراد بهذه الكلمة هنا: أن الله تعالى قد رضي لهم الإسلام ديناً مطلقاً وفي كل حين، فلكونه رضيه لهم، قد شرعه، وبلَّغه على لسان أنبيائه ورسله، ووضع الضمانات لبيان حدوده وقواعده، وهيأ الظروف لبقائه واستمراره، من خلال تشريع الولاية، وحمايته

---

(١) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

بها. ووضع أركانها، وتعريف الناس بالأئمة الذين اختارهم الله لحمل هذه الأمانة.

فالآية ليس لها مفهوم. أي أنها لا تريد أن تقول: إنني في هذا اليوم فقط رضيت لكم الإسلام ديناً، بل تريد أن تقول: إن يأس الكفار، وإكمال الدين وإتمام النعمة كان في هذا اليوم، وأن الله سبحانه كان دائماً راضياً بالإسلام التام والشامل ديناً للبشرية..

آية الإكمال نزلت مرتين:

وبعد.. فإنه يبدولنا أن سورة المائدة قد نزلت يوم عرفة دفعة واحدة، فقرأها النبي «صلى الله عليه وآله» على الناس، وسمعوا آية الإكمال، وحاول أن يبلغ أمر الإمامة في عرفة، فمنعته قريش وأعوانها، ثم بدأت الأحداث تتوالى، وتنزل الآيات المرتبطة بكل حدث على حدة. فنزلت بعد ذلك آية: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[1]. وجاءته بالعصمة من ربه، فبادر إلى إعلان إمامة علي «عليه السلام» يوم الغدير، ثم تلا عليهم، أو نزلت عليه آية الإكمال بعد نصبه «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» في ذلك اليوم الأغر، وقبل أن يشرع الناس بالتفرق.

فيكون الحديثان في نزول هذه الآية صحيحين معاً، لكن نزولها يوم عرفة كان في ضمن السورة، التي نزلت دفعة واحدة، ونزولها يوم الغدير كان بصورة منفردة عن بقية آيات السورة، بل ومنفردة عن سائر فقرات

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

الآية التي هي في ضمنها أيضاً، حسبما بيناه..

وقد نقل الرواية بذلك الطبرسي في الإحتجاج ونقله به غيره أيضاً[1]، وفيها: أنه «صلى الله عليه وآله» قرأ عليهم آية إكمال الدين يوم عرفة، حيث أمره الله تعالى بتبليغ ولاية علي «عليه السلام»، ولم تنزل العصمة.

وقد قلنا: إنه «صلى الله عليه وآله» حاول تنفيذ ما طلب منه، فمنع، فنزل قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، ففعل ذلك في يوم الغدير، ولم ينبس أحد منهم ببنت شفة بصورة علنية.

ويؤيد هذ المعنى: ما ذكر في بعض الروايات، من أن يوم الغدير كان يوم الخميس[2].

---

(١) راجع: الإحتجاج (ط النعمان ـ النجف الأشرف) ج١ ص٦٧ فما بعدها، واليقين لابن طاووس ص٣٤٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٥٣.

(٢) المناقب للخوارزمي ص١٣٥ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٣٥٥ والمناقب لابن شهرآشوب ـ ج٢ ص٢٢٧ والبحار ج٣٧ ص١٥٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣١٠ وشرح أصول الكافي ج٥ ص١٩٥ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص١١٨ و ١٣٧ و ٣٦٢ و ٤٣٤ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٤٦٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٣٠٣ وج٨ ص٢٧٨ و ٢٨٠ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٤ و ٣١٥ والغدير ج١ ص٤٢ و ٤٣ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٥ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٩٣ وبشارة المصطفى للطبري ص٣٢٨ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٣٥٥ وج٢٠ ص١٩٨.

وقد روي عن عمر[1]، ومعاوية، وسمرة بن جندب، ونسب إلى علي «عليه السلام» أيضاً أن آية الإكمال نزلت في يوم عرفة[2]، وإنما كان يوم عرفة يوم الإثنين، ويؤيد ذلك أن نزول آية الإكمال يوم الإثنين.

ويدل على ذلك: ما روي عن ابن عباس، من أنه قال: «ولد نبيكم يوم

---

(١) راجع: الدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ عن الحميدي، وعبد بن حميد، وأحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبان، والبيهقي في سننه، وراجع: صحيح البخاري ج٥ ص١٨٦ وج٨ ص١٣٧ و (ط دار المعرفة) ج١ ص١٦ وصحيح مسلم ج٨ ص٢٣٨ و ٢٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٨١ وج٥ ص١١٨ وسنن النسائي ج٨ ص١١٤ ومسند أحمد ج١ ص٢٨ وسنن الترمذي ج٤ ص٣١٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٩ وج٢٥ ص٢٣ ومسند الحميدي ج١ ص١٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٤٢٠ والمعجم الأوسط للطبراني ج١ ص٢٥٣ وج٤ ص١٧٤ ومسند الشاميين ج٢ ص٦٠ وفضائل الأوقات للبيهقي ص٣٥١ وكنز العمال ج٢ ص٣٩٩ وجامع البيان ج٦ ص١٠٩ و ١١١ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٢٦١ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٠ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٢١ وج١١ ص٢٧٨ والمحلى لابن حزم ج ٧ ص ٢٧٢.

(٢) راجع: مجمع الزوائد ج٧ ص١٣ والمعجم الكبير ج٧ ص٢٢٠ وج١٢ ص١٩٨ وج١٩ ص٣٩٢ ومسند الشاميين ج٣ ص٣٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣١٨ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٨ ص٥٠٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥ والكامل لابن عدي ج٥ ص١١ وكنز العمال ج٢ ص٤٠٠ وجامع البيان ج٦ ص١٠٦.

الإثنين، ونبئ يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين»[2].

فظهر أن نزول سورة المائدة يوم الإثنين بما فيها آية الإكمال ـ كما قاله ابن عباس ـ يؤيد ما قلناه. وذلك كان يوم عرفة.

أما ما زعموه: من أن يوم عرفة كان الخميس أو الجمعة، فلا يتلائم مع قولهم: إن يوم الغدير كان في الثامن عشر من ذي الحجة في يوم الخميس أيضاً، حسبما نبه إليه العلامة الأميني في كتابه «الغدير» كما تقدم..

وإلا.. فلو أردنا الحكم بأن الآية لم تنزل يوم الغدير، بل نزلت يوم عرفة فقط، لم يَمكن أن تجد لمضمون الآية مورداً، ومنطبقاً حسبما أوضحناه.

متى نزلت آية الإكمال:

وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما: أن آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قد نزلت يوم عرفة[3].

ولكن العلامة الأميني ردّ ذلك استناداً إلى ما يلي:

أولاً: إنهم يقولون: إن وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» كانت في الثاني من شهر ربيع الأول[4].

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ و٢٥٩ عن ابن جرير وجامع البيان ج٦ ص٥٤ والبداية والنهاية ج٣ ص٢١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٢٣٢.

(٣) الغدير ج١ ص٢٣٠ وراجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة.

(٤) أشار في هامش كتاب الغدير ج١ ص٢٣٠ إلى المصادر التالية: الكامل لابن =

ثم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعمَّر بعد نزول هذه الآية إلا أحداً وثمانين يوماً، أو اثنين وثمانين يوماً[1].

قال العلامة الأميني: وكأن فيه تسامحاً بزيادة يوم واحد على الإثنين وثمانين يوماً، بعد إخراج يومي الغدير والوفاة[2].

ثانياً: إنه لا مجال لتجاهل النصوص التي رويت عن أبي سعيد الخدري، وغيره، كأبي هريرة، وابن عباس، وجابر، وعن الإمامين الباقر والصادق

= الأثير ج٢ ص٩ وإمتاع الأسماع ص٥٤٨ والبداية والنهاية ج٦ ص٣٣٢ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٣٨٢. وراجع: تلخيص الحبير لابن حجر ج٧ ص٣ وتفسير السمعاني ج٢ ص١١.

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٧ والتفسير الكبير ج٧ ص١١٢ وج١١ ص١٣٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤ و ٤١٦ وتفسير الثعالبي ج١ ص٥١ وتفسير البحر المحيط ج٢ ص٣٥٦ وفتح القدير ج٢ ص١٢ وتفسير البيضاوي ج١ ص٥٧٧ والبداية والنهاية ج٥ ص١١٧ وج٦ ص٢٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٩٤ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص٥٨ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ج٣ ص٧ والغدير ج١ ص٢٣٠ و ٢٣٧ وتفسير الرازي ج١١ ص١٣٩ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٢٠١ وج٢ ص٢٢٦ والبحار ج٢٢ ص٤٧١ وج٣٧ ص١٥٦ وفتح الباري ج٨ ص٥٦٤ وعمدة القاري ج١٨ ص١٣٢ و ١٩٩ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٢١٤ وتفسير الثعلبي ج٢ ص٢٩٠ وتفسير البغوي ج١ ص٥٠٤ وج٢ ص١٠ وتفسير الآلوسي ج٣ ص٥٥ وج٦ ص٦٠ وزاد المسير ج١ ص٢٨٩ وج٢ ص٢٣٩.

(٢) الغدير ج١ ص٢٣٠.

«عليها السلام»، وعن مجاهد، الدالة على أن هذه الآية نزلت في غدير خم، ورواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند هؤلاء.

ثالثاً: إننا حتى لو سلمنا بصحة روايتي البخاري ومسلم فمن الممكن أن تكون هذه الآية قد نزلت مرتين..

رابعاً: إن آية ﴿**بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾ إن كانت نزلت في غدير خم لم يجز أن تكون آية الإكمال قد نزلت قبلها في عرفة، لأن مفاد آية التبليغ أنه قد بقي شيء من الدين يوازي الدين كله، وبذلك تنضم الروايات التي صرحت بنزول آية البلاغ في مناسبة الغدير إلى روايات نزول آية الإكمال فيها أيضاً، وتصبح أقوى في معارضة رواية البخاري ومسلم.

خامساً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يبلِّغ شيئاً من الدين في يوم عرفة، لكي تنزل آية الإكمال، وإنما بلَّغ يوم الغدير أمراً عظيماً وهاماً، فنزول آية الإكمال في يوم الغدير يصير هو المتعين، لكي يتوافق مع الوقائع..

أبو طالب عليه السلام وحراسة النبي صلى الله عليه وآله:

وقد رووا عن ابن عباس: أن أبا طالب «عليه السلام» كان يرسل كل يوم رجالاً من بني هاشم، يحرسون النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى نزلت هذه الآية ﴿**وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾، فأراد أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عم: إن الله عصمني من الجن والإنس[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص١٥٨ ولباب النقول في أسباب النزول ص٨٣ عن ابن مردويه، والطبراني، وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٨١ والغدير ج١ ص٢٢٨ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص٩٥ و (ط دار =

ونقول:

أولاً: إن ما ذكرناه آنفاً من الإجماع على نزول سورة المائدة في المدينة، وأنها آخر ما نزل، أو من آخر ما نزل.. ومن الصحابة من يقول: إنها نزلت في حجة الوداع ـ إن ذلك ـ يكفي للرد على هذه المزعمة. فإن أبا طالب قد توفي قبل الهجرة إجماعاً..

ثانياً: لقد كانت هناك حراسات للنبي «صلى الله عليه وآله» تجري في المدينة، وفي المسجد أسطوانة يقال لها: أسطوانة المحرس.. وكان علي «عليه السلام» يبيت عندها يحرس رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإذا كانت الآية المشار إليها قد نزلت في مكة، فترك الحرس منذئذٍ، فلا معنى لتجديد الحراسات عليه في المدينة.

ثالثاً: قد تقدم في هذا الكتاب: أن أبا طالب «عليه السلام» كان في الشعب إذا حلَّ الظلام، وهدأت الأصوات يقيم النبي «صلى الله عليه وآله» من موضعه، وينيم علياً «عليه السلام» مكانه. حتى إذا حدث أمر، فإن علياً يكون هو الفداء للنبي «صلى الله عليه وآله».

فلو صح: أن أبا طالب كان يرسل رجالاً لحراسته «صلى الله عليه وآله» كل يوم، فلا تبقى حاجة لهذا الإجراء، فإن الحرس موجودون، وأي أمر يحدث، فإنهم هم الذين يتصدون له..

= الكتب العلمية) ص٨٣ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٧ وأسباب نزول الآيات ص١٣٥ والمعجم الكبير ج١١ ص٢٠٥ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨.

آية البلاغ في اليهود:

لقد حاولوا: أن يكثروا من الأقاويل حول آية ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾، حتى زعموا: أن الأقوال فيها قد بلغت العشرة.. وقد ذكرها العلامة الأميني فراجع[1].

وذكر: أن الرازي رجَّح أنها تريد أن تؤمِّن النبي «صلى الله عليه وآله» وتعصمه من مكر اليهود والنصارى، فأمره الله تعالى بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، لأن ما قبل الآية وما بعدها كان كلاماً مع اليهود والنصارى[2].

ونقول:

أولاً: إن السياق ليس بحجة، ولا سيما بعد ورود الروايات الموضحة للمقصود عن النبي «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن أمر اليهود كان قد حسم قبل ذلك بعدة سنوات، ولم يعد النبي يخشاهم. ولم يكن للنصارى نفوذ يذكر في الجزيرة العربية، وكان «صلى الله عليه وآله» حين نزول سورة المائدة قد بلغ جميع الأحكام، فلم يبق أي شيء يتوهم أنه «صلى الله عليه وآله» يكتمه مما كان لدى اليهود والنصارى حساسية تجاهه..

ولم يبق مما يخشى أهل النفاق فيه سوى أخذ البيعة للإمام علي «عليه السلام» بالخلافة بعده «صلى الله عليه وآله»، لا سيما إذا كانت سورة المائدة قد

---

(١) راجع: الغدير ج١ ص٢٢٥ و ٢٢٦.

(٢) التفسير الكبير ج١٢ ص ٥٠.

نزلت ـ كما يقول محمد بن كعب ـ في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة[1]. وقد كانت سائر الأمور الحساسة قد حسم الأمر فيها في ذلك الوقت.

وروي عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله في حجة الوداع: «إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً»[2].

وصرحت عدة روايات بنزولها في حجة الوداع. فراجع ما روي عن محمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس[3].

وعن عائشة: إن المائدة آخر سورة نزلت[4].

---

(١) الإتقان في تفسير القرآن ج١ ص٢٠ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد.

(٢) الغدير ج١ ص٢٢٧ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٥ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧ وتفسير أبي السعود ج٣ ص٤ وتفسير الخازن ج١ ص٤٢٩ والجامع لأحكام القرآن، والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد، عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد وابن جرير، وعمدة القاري ج١٨ ص١٩٥ و ١٩٦ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧ والغدير ج٦ ص٢٥٦ وراجع: جامع البيان للطبري ج٦ ص١١٢.

(٤) الغدير ج١ ص٤٢٩ عن تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ عن أحمد، والحاكم، والنسائي، والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أحمد، وأبي عبيد في فضائله، والنحاس في ناسخه، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم وصحح، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، والمحلى لابن حزم ج٧ ص٣٩٠ وج٩ ص٤٠٧ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٨٤ ونيل الأوطار ج٩ ص٢٠٤ ومسند أحمد ج٦ ص١٨٨ ومسند الشاميين ج٣ ص١٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣١ وتفسير السمرقندي ج١ ص٣٨٨ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٦١٥ والفتح =

وعن عبد الله بن عمر: إن آخر سورة أنزلت، سورة المائدة، والفتح[1]، يعني سورة النصر، كما يقول الأميني.

وعن أبي ميسرة: آخر سورة أنزلت سورة المائدة، وإن فيها لسبع عشرة فريضة[2].

ثالثاً: إن الآية قد صرحت: بأن هذا الذي أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بإبلاغه يعدل الدين كله، حيث قالت: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.. مع أنه «صلى الله عليه وآله» قد أبلغ الرسالة كلها، فهذا التعبير يشير إلى أن هذا الأمر له مساس بجميع أحكام الدين وشرائعه وحقائقه..

ولو كان المقصود: أنه لم يبلغ حكماً ما، فقد كان الأولى أن يقول: وإن لم تفعل فالدين يبقى ناقصاً.. لا أن يقول: إنك لم تبلغ شيئاً من الرسالة أصلاً..

= السماوي ج٢ ص٥٥٢ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٧٧ وفتح القدير ج٢ ص٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٥ ص٣٠٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٣٣ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٩٥٦ وعون المعبود ج١٠ ص١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص١٧٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣١١.

(١) الغدير ج٢ ص٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٥٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٣٧٧ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٢٦ وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ عن الترمذي، والدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أحمد، والترمذي وحسّنه، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن سعيد بن منصور، وابن المنذر، وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٠.

موقع آية البلاغ بين الآيات:

وقد حاول البعض أن يقول: إن الآيات التي سبقت آية الإبلاغ ولحقتها تتحدث عن أهل الكتاب. فينبغي أن تكون آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[1]. ناظرة إلى تبليغ ما أنزله الله تبارك وتعالى في أهل الكتاب، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[2]»[3].

وأجيب أولاً: بأن قوله تعالى في الآية: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[4] يدل على أن ثمة خطراً يتهدد النبي «صلى الله عليه وآله»، أو الدين نتيجة لإبلاغ هذا الحكم.. ولم يكن اليهود والنصارى يشكلون أي خطر على النبي «صلى الله عليه وآله» آنئذ، بل كان خطرهم قد انحسر بدرجة كبيرة جداً، ولم يعد هناك ما يبرر إحجامه «صلى الله عليه وآله» عن تبليغ أمر يرتبط بهم، بانتظار أن يمنحه الله العصمة منهم.

ثانياً: ليس في الآية حدة توجب خوفه «صلى الله عليه وآله» من أهل الكتاب، وقد أبلغ «صلى الله عليه وآله» اليهود ما هو أشد منها.. علماً بأن شوكة اليهود وكذلك النصارى كانت قد كسرت حين نزول سورة المائدة،

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٨ من سورة المائدة.

(٣) تفسير الميزان ج٦ ص٤٢ ودلائل الصدق ج٢ ص٥١ و ٥٢ عن الرازي.

(٤) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وقبلوا هم والنصارى بإعطاء الجزية[1].

ثالثاً: إن هذا مجرد اجتهاد من الرازي في مقابل النص الذي يقول: إنها نزلت في مناسبة الغدير.

رابعاً: لو كانت الآية ناظرة لأهل الكتاب، فالمناسب هو أن يقول: «والله يعصمك منهم»، فالتصريح بكلمة «الناس» إنما يشير إلى الناس الذين لم يسبق الحديث عنهم، وهم الذين معه، حيث كان كثير منهم من أهل النفاق. وقد ذكرت هذه الآية بين الآيات التي تتحدث عن أهل الكتاب ربما لتشير إلى أن المنافقين مثلهم في الكفر.

على أي شيء يخاف النبي ﷺ:

إنه لا شك في أن خوف النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن على نفسه، لأنه «صلى الله عليه وآله» لا يضنّ بنفسه ولا بأي شيء يعود إليه، عن أن يبذله في سبيل الله سبحانه وتعالى..

فالأقرب إلى الإعتبار هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخاف من الناس أن يتهموه فيما يبلِّغه بما يبطل أثر تبليغه، ويوجب فساد دعوته، أي أنه يخاف على الرسالة، فهو بصدد تحصينها من أن ينالها المبطلون بسوء.

وبذلك تبطل الروايات التي تدَّعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يحرس فلما نزل قوله تعالى ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2] أوقف الحرس[3]،

---

(١) الميزان (تفسير) ج٦ ص٤٢.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) الميزان ج٦ ص٦١ عن تفسير المنار عن أهل التفسير المأثور، وعن الترمذي، =

أو أن الله أرسله برسالته فضاق بها ذرعاً، وعرف أن الناس سيكذبونه، وإن كان يخشى من العذاب، لو لم يفعل، فنزلت الآية»[1]. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يفعل فعلاً يخاف معه من عذاب الله. إلا إن كان المقصود بهذه الكلمات وأشباهها ما ينسجم مع المعنى الذي أشرنا إليه.

أما ما ورد في رواية أخرى: «أنه لما أمر بتبليغ ما أمر به قال: يا رب إنما أنا واحد، كيف أصنع؟ يجتمع عليَّ الناس، فنزلت: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2]»[3] فهو مما لا مجال لقبوله بما له من معنى ظاهر..

أهمية الحكم المعني بالآية:

وقد أظهر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أن الحكم الذي يراد تبليغه للناس، لم يكن كسائر الأحكام، بل هو يوازي في خطورته وأهميتة الرسالة كلها، بحيث لولاه فإن الشريعة كلها تصبح كالجسد بلا

= وابي الشيخ والحاكم،، وأبي نعيم، والبيهقي، والطبراني، وفتح القدير، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وراجع المصادر في الهوامش السابقة.

(١) الميزان ج٦ ص٦١ عن الدر المنثور وفتح القدير..

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٣) الميزان ج٦ ص٦١ عن الدر المنثور وفتح القدير، عن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. وراجع: مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٣٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٢٥٥ و ٢٧٠ وج٩ ص٢٢٦ والغدير ج١ ص٢٢١ والدر المنثور ج٢ ص٢٩٨ وفتح القدير ج٢ ص٦٠.

روح، وسيترتب على إهماله أثر حقيقي يطال جميع الأحكام، وليس هو إلا أمر الولاية الذي به يكون قبول الأعمال كلها، وبه يكون قوامها..

وقد كان هذا الحكم بالغ الحساسية، شديد الخطورة، عظيم الأثر، لا يتورعون عن فعل أي شيء من أجل إبطاله واستبداله، حتى لو كلفهم ذلك قتل علي والزهراء «عليهما السلام»، وإسقاط جنينها، وإبادة بني هاشم..

وكان «صلى الله عليه وآله» يترقب الفرصة المناسبة لإبلاغ هذا الحكم الخطير.. فوعده الله بالإمداد الغيبي، وبالعصمة من كيد أهل الباطل.

الله يبرئ رسوله ﷺ:

وقد عبرت الآية المباركة عنه «صلى الله عليه وآله» بكلمة «الرسول» لا بكلمة «النبي»، ربما لتشير إلى أن ما يأتيهم به ليس من الأمور التدبيرية التي يكون للنبي «صلى الله عليه وآله» أي دور فيها، كما قد يتوهمون أو قد يشيعون، وإنما هو مجرد رسول، يأتيهم بالقرار الرباني المحض، الذي لا خيار له ولهم فيه.

كما أنه لم يطلب منه أن يبين لهم أمر الولاية مثلاً، بل هو قد أمره بمجرد التبليغ فقال ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[1].

ثم بين لهم الأمر الصادر بصورة صريحة وواضحة، فقال لهم: إنه قد أنزل إليه من ربه..

ثم بين: أن عدم إبلاغ ذلك يساوق عدم تبليغ الرسالة من أساسها،

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وهذا ليس له فيه أي دور.

العصمة من الناس:

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] ليكون تأكيداً على صحة فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسلامة وصدق توقعاته، وأن ما فعله قد كان في محله.. ولا لوم عليه فيه، إذ لولا العصمة الإلهية لم يصح التبليغ، لأنه سيكون بمثابة التفريط بالمهمة، والتقصير في اتخاذ الإحتياطات اللازمة، وعدم توخي الظرف الملائم. والإستعجال وعدم انتظار توفر الشرائط.

فما بلغت رسالته:

وبعد أن عرفنا: أن القضية ليست قضية شخص، وإنما هي قضية الرسالة، أن تكون، أو لا تكون، وهو يساوق القول: بأنها قضية أن يكون هناك إنسان وحياة أو لا يكون. فقد أصبح واضحاً أن المنع من إبلاغ الرسالة والإمامة معناه حرمان الإنسان من الهداية الإلهية، ومن الرعاية الربانية، وليس هناك جريمة أعظم ولا أخطر من ذلك.

ومن هنا، كان لا بد من إلقاء نظرة على ما كانت عليه الحال في زمن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، فيما يرتبط بهذه النقطة بالذات، لنتعرف على أولئك الناس الذين حاولوا منع الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» من إبلاغ أمر الإمامة إلى الناس، وسعوا لزعزعة أركان هذا

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

الأمر الخطير، والعبث بمستقبل الإنسان، وبكل حياته، ووجوده.. وتلك هي الجريمة الأكبر والأضر، والأخطر والأشر.. فكان أن عقدنا فصلاً لنتعرف فيه على بعض ما جرى في هذا الإتجاه.. وهو الذي سيأتي إن شاء الله بعد تمام حديثنا عن الآيات الشريفة، فانتظر..

سورة المعارج مكية:

ثم إنهم قد زعموا: أن سورة المعارج مكية، وهو ما ذكرته الرواية عن ابن عباس [1]، وابن الزبير [2]، فتكون قد نزلت قبل بيعة الغدير بسنوات.

والصحيح: أنها نزلت في المدينة، بعد حادثة الغدير، حيث طار خبر ما جرى في غدير خم في البلاد، فأتى الحارث بن النعمان الفهري أو (جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري).

«**قال الأميني:** لا يبعد صحة ما في هذه الرواية من كونه جابر بن النضر، حيث إن جابراً قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» والده النضر صبراً، بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أسر يوم بدر» [3].

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٢٦٣ عن ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وسعد السعود لابن طاووس ص٢٩١ وراجع: فتح القدير ج٥ ص٢٨٧ وتفسير الميزان ج٦ ص٥٦ وج٢٠ ص١١ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) و (ط دار الكتب العلمية) ص٢٠٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص٣٣٧٢ عن السدي.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص٢٦٣ عن ابن مردويه، وتفسير الميزان ج٦ ص٥٦.

(٣) الغدير ج١ ص٢٣٩ هامش.

فقال: يا محمد، أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك، ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك، ففضلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: والذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله.

فولى جابر، يريد راحلته، وهو يقول: اللهم، إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم.

فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته، وخرج من دبره، وقتله. وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ الآية»[1].

---

(١) الغدير ج١ ص٢٣٩ عن غريب القرآن لأبي عبيد ونقله أيضاً عن كثير من المصادر التالية: شفاء الصدور لأبي بكر النقاش، والكشف والبيان للثعلبي، وتفسير فرات ص١٩٠ و (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م) ص٥٠٥ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٨٨ وكنز الفوائد للكراجكي، وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٨٣ و ٣٨١ ودعاة الهداة للحاكم الحسكاني. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨ ص٢٧٨ وتذكرة الخواص ص٣٠ والإكتفاء للوصابي الشافعي، وفرائد السمطين ج١ ص٨٢ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٥١ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٤٠ والبحار ج٣٧ ص١٣٦ و ١٦٢ و ١٧٦ وكتاب الأربعين لماحوزي ص١٥٤ و ١٦١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٥ ومعارج الوصول للزرندي الحنفي، ونظم درر السمطين ص٩٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤١ وجواهر العقدين للسمهودي الشافعي، وتفسير أبي السعود العمادي ج٩ ص٢٩ والسراج المنير (تفسير) ج٤ ص٣٦٤ =

وقد رد ابن تيمية هذا الحديث، لعدة أدلة أوردها، وتبعه فيها غيره[1].

وأدلته هي التالية:

١ ـ إن قصة الغدير إنما كانت بعد حجة الوداع بالإجماع ـ والروايات تقول: إنه لما شاعت قصة الغدير جاء الحارث وهو بالأبطح، والأبطح بمكة. مع أن اللازم أن يكون مجيئه إلى رسول «صلى الله عليه وآله» في المدينة.

٢ ـ إن سورة المعارج مكية باتفاق أهل العلم..

= للشربيني الشافعي، والأربعين في مناقب أمير المؤمنين لجمال الدين الشيرازي ص٤٠ وينابيع المودة ج٢ ص٣٧٠ وفيض القدير ج٦ ص٢١٨ ومنهاج الكرامة للعلامة الحلي ص١١٧ والعقد النبوي والسر المصطفوي لابن العيدروس، ووسيلة المآل لأحمد بن باكثير الشافعي ص١١٩ و ١٢٠ ونزهة المجالس ج٢ ص٢٠٩ للصفوري الشافعي، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٢ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٧ والصراط السوي في مناقب النبي للقادري المدني، وشرح الجامع الصغير ج٢ ص٣٨٧ للحفني الشافعي، ومعارج العلى في مناقب المرتضى لمحمد صدر العالم، وتفسير شاهي لمحمد محبوب العالم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٧ ص١٣ وذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآلي لعبد القادر الحفظي الشافعي، والروضة الندية لمحمد بن إسماعيل اليماني ص١٥٦ ونور الأبصار ص١٥٩ للشبلنجي الشافعي والمنار (تفسير) لرشيد رضا ج٦ ص٤٦٤ والأربعون حديثاً لابن بابويه ص٨٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٤٢ و ٣٥٧ و ٣٦٢ و ٣٦٨ و ٣٧٠ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٢٧٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٥٢.

(١) راجع: منهاج السنة ج٤ ص١٣ وتفسير المنار لرشيد رضا ج٦ ص٤٦٤ فما بعدها.

٣ ـ إن قوله: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، نزلت عقيب بدر بالاتفاق. وقصة الغدير كانت بعد ذلك بسنين.

٤ ـ إن هذه الآية ـ أعني آية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[1] ـ نزلت

---

(١) الغدير ج١ ص٢٣٩ عن غريب القرآن لأبي عبيد ونقله أيضاً عن كثير من المصادر التالية: شفاء الصدور لأبي بكر النقاش، والكشف والبيان للثعلبي، وتفسير فرات ص١٩٠ وكنز الفوائد للكراجكي وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٨٣ و ٣٨١ ودعاة الهداة للحاكم الحسكاني. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨ ص٢٧٨ وتذكرة الخواص ص٣٠ والإكتفاء للوصابي الشافعي وفرائد السمطين ج١ ص٨٢ ومعارج الوصول للزرندي الحنفي، ونظم درر السمطين ص٩٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٤١ وجواهر العقدين للسمهودي الشافعي وتفسير أبي السعود العمادي ج٩ ص٢٩ والسراج المنير (تفسير) ج٤ ص٣٦٤ للشربيني الشافعي، والأربعين في مناقب أمير المؤمنين لجمال الدين الشيرازي ص٤٠ وفيض القدير ج٦ ص٢١٨ والعقد النبوي والسر المصطفوي لابن العيدروس ووسيلة المآل لأحمد بن باكثير الشافعي ص١١٩ و ١٢٠ ونزهة المجالس ج٢ ص٢٠٩ للصفوري الشافعي وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٢ والصراط السوي في مناقب النبي للقادري المدني وشرح الجامع الصغير ج٢ ص٣٨٧ للحفني الشافعي ومعارج العلى في مناقب المرتضى لمحمد صدر العالم وتفسير شاهي لمحمد محبوب العالم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٧ ص١٣ وذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآلي لعبد القادر الحفظي الشافعي والروضة الندية لمحمد بن إسماعيل اليماني ص١٥٦ ونور الأبصار ص١٥٩ للشبلنجي الشافعي والمنار (تفسير) لرشيد رضا ج٦ ص٤٦٤.

بسبب ما قاله المشركون بمكة، ولم ينزل عليهم العذاب هناك لوجود النبي «صلى الله عليه وآله» لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾.

٥ ـ لو صح ذلك لكانت آية كآية أصحاب الفيل، ومثلها تتوفر الدواعي على نقله، مع أن أكثر المصنفين في العلم وأرباب المسانيد والصحاح، والفضايل والتفسير والسير قد أهملوا هذه القضية، فلا تروى إلا بهذا الإسناد المنكر.

٦ ـ إن الحارث المذكور في الرواية كان مسلماً حسبما ظهر في خطابه المذكور مع النبي«صلى الله عليه وآله»، ومن المعلوم بالضرورة أن أحداً لم يصبه عذاب على عهد النبي«صلى الله عليه وآله».

٧ ـ إن الحارث بن النعمان غير معروف في الصحابة، ولم يذكر في الإستيعاب، ولا ذكره ابن منده، وأبو نعيم وأبو موسى في تآليفهم في أسماء الصحابة.

ونقول:

إن جميع ذلك لا يمكن قبوله.. وسوف نكتفي هنا بتلخيص ما ذكره العلامة الأميني «رحمه الله»، فنقول:

بالنسبة للدليل الأول نقول:

ألف: إن كلمة الأبطح إنما وردت في بعض الروايات دون بعض، فإطلاق الكلام بحيث يظهر منه أن الإشكال يرد على جميعها في غير محله..

وورد في بعض نصوص الرواية: أن مجيء السائل كان إلى المسجد[1].

---

(١) تذكرة الخواص ص٣٠ والغدير ج١ ص٢٤٨ عنه، وعن معارج العلى للشيخ =

وقد نص في السيرة الحلبية: على أن ذلك كان في مسجد المدينة[1].

ب ـ إن كلمة الأبطح لا تختص ببطحاء مكة، بل هي تطلق على كل مسيل فيه دقائق الحصى[2].

وقد ورد في البخاري في صحيحه[3]، أحاديث ترتبط بالبطحاء بذي الحليفة.

وكان «صلى الله عليه وآله» إذا رجع إلى المدينة دخل من معرس الأبطح،

= محمد صدر والعالم، العدد القوية للحلي ص١٨٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٦٨.

(١) الغدير ج١ ص٢٤٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٤ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٧ وشرح إحقاق الحق ج٤ ص٤٤٢.

(٢) راجع: معجم البلدان ج٢ ص٢١٣ و٢١٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١ ص٤٤٦ والغدير ج١ ص٢٥٠ وراجع: عمدة القاري ج١٠ ص١٠١.

(٣) عن صحيح البخاري ج٢ ص٥٥٦ حديث ١٤٥٩ وج١ ص١٨٣ حديث ٤٧٠ و (ط دار الفكر) ج٢ ص١٤٣ و ١٩٧ وراجع: صحيح مسلم (كتاب الحج) ج٣ ص١٥٤ و ١٥٥ و (ط دار الفكر) ج٤ ص١٠٦ والتمهيد لابن عبد البر ج١٥ ص٢٤٣ وج٢٤ ص٤٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص٢٢٦ وسنن النسائي ج٥ ص١٢٧ وسنن أبي داود ج١ ص٤٥٣ وعمدة القاري ج٩ ص١٤٦ وج١٠ ص١٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٤٤ و ٢٤٥ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٤٢٩ و ٤٧٧ والإستذكار لابن عبد البر ج٤ ص٣٣٩ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج٣ ص٥٤٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٢ ص٣٣٠ وكتاب الموطأ لمالك ج١ ص٤٠٥ والغدير ج١ ص٢٤٨ ومسند أحمد ج٢ ص٢٨ و ٨٧ و ١١٢ و ١١٩ و ١٣٨.

فكان في معرسه ببطن الوادي، فقيل له: إنك ببطحاء مباركة[1].

وورد التعبير بذلك أيضاً في كلام عائشة عن موضع قبر النبي «صلى الله عليه وآله»[2].

وثمة أحاديث عن حذيفة بن أسيد، وعامر بن ليلى، تذكر في أحاديث الغدير: أنه حين رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع، لما كان

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص١٢٢ والغدير ج١ ص٢٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٥ وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٩٠ و ١٣٦ وصحيح البخاري ج٢ ص١٤٤وج٣ ص٧١ وج٨ ص١٥٥ وصحيح مسلم ج٤ ص١٠٦ وسنن النسائي ج٥ ص١٢٧ وشرح مسلم للنووي ج٩ ص١١٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٤٥

(٢) كما في مصابيح السنة للبغوي ج١ ص٨٣ وإعانة الطالبين للدمياطي ج٢ ص١٣٥ والمحلى لابن حزم ج٥ ص١٣٤ والجوهر النقي ج٤ ص٣ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٥٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦١٤ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٩٤٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٩٣ والتنبيه والإشراف ص٢٥١ وتهذيب الكمال ج٢٢ ص١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٠٩ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٢٤٢ ونصب الراية ج٢ ص٣٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٤١ وتحفة الأحوذي ج٤ ص١٣٠ وعمدة القاري ج٨ ص٢٢٤ وفتح الباري ج٣ ص٢٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣ والمستدرك للحاكم ج١ ص٣٦٩ وسنن أبي داود ج٢ ص٨٤ ونيل الأوطار ج٤ ص١٢٩ وسبل السلام ج٢ ص١١٠ وتلخيص الحبير ج٥ ص٢٢٥ وفيض القدير ج٤ ص١٥٣.

بالجحفة نهى عن سمرات متقاربات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحد[1].

وثمة حديث عن بطحاء واسط، وبطحاء ذي الحليفة، وبطحاء ابن ازهر، وبطحاء المدينة، وهو أجل من بطحاء مكة[2]، وقد نسب البطحاوي العلوي إلى جده قوله:

وبطحا المدينة لي منزل   فيا حبذا ذاك من منزل..

وفي قول حيص بيص المتوفي سنة ٥٧٤ هـ.

ملكنا فكان العفو منا سجية   فلما ملكتم سال بالدم أبطح[3]

ويوم البطحاء (منسوب إلى بطحاء ذي قار) من أيام العرب المعروفة.

ومن الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»:

أنا ابن المبجل بالأبطحين   وبالبيت من سلفي غالب

قال الميبذي في شرحه: يريد أبطح مكة والمدينة[4].

وأما الجواب عن الدليل الثاني، وهو أن سورة المعارج مكية بالإجماع لا

---

(١) راجع: الغدير ج١ ص١٠ و ٢٦ و ٢٤٩ وفي معجم البلدان ص٢١٣ ـ ٢٢٢ والبلدان لليعقوبي ص٨٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٢٤١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٥٥ و ٢٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٤٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٣٩.

(٢) معجم البلدان ج١ ص٤٤٤.

(٣) راجع: ديوان حيص بيص ج٣ ص٤٠٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٩١ والغدير ج١ ص٢٥٥.

(٤) راجع: شرح ديوان أمير المؤمنين «عليه السلام» ص١٩٧ والبحار ج٣٤ ص٣٩٧ و الغدير ج١ ص٢٥٢.

مدنية، فنقول:

أولاً: إن الإجماع إنما هو على أن مجموع السورة كان مكياً، لا جميع آياتها. فلعل هذه الآية بالخصوص كانت مدنية..

وقد يعترض على ذلك: بأن المتيقن في اعتبار السورة مكية أو مدنية هو تلك التي تكون بداياتها كذلك، أو تكون تلك الآيات التي انتزع اسم السورة منها كذلك..

والجواب عن ذلك..

ألف: إن هناك سوراً كثيرة يقال عنها إنها مكية مثلاً مع أن أوائلها تكون مدنية، وكذلك العكس، وذلك مثل:

سورة العنكبوت.. فإنها مكية إلا عشر آيات من أولها[1].

سورة الكهف.. مكية إلا سبع آيات من أولها[2].

---

(١) راجع: جامع البيان ج٢٠ ص٨٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٢٣ والسراج المنير للشربيني ج٣ ص١٢٣ وسعد السعود لابن طاووس ص٢٨٩ والغدير ج١ ص٢٥٥ والبيان في عد آي القرآن للداني ص٢٠٣ وزاد المسير ج٦ ص١١٩ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للأندلسي ج٤ ص٣٠٥ وتفسير السمعاني ج٤ ص١٦٥ وتفسير ابن زمنين ج٣ ص٣٣٩ والتفسير الكبير للرازي ج٢٥ ص٢٥ وفتح القدير ج٤ ص١٩١ وتفسير الثعالبي ج٤ ص٢٨٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٢٣ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٥٠٤ والتفسير الصافي ج٤ ص١١٠ والتبيان ج٨ ص١٨٥ وعمدة القاري ج١٩ ص١٠٨.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٤٦ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٦و (ط دار الفكر) ج٢ ص١٨٥ والغدير ج١ ص٢٥٦ وتفسير =

سورة المطففين، مكية إلا الآية الأولى، (وفيها اسم السورة)[1].

سورة الليل، مكية إلا أولها، (وفيها اسم السورة أيضاً)[2].

وهناك سور أخرى كثيرة مكية، وفيها آيات مدنية.. مثل سورة هود، ومريم، والرعد، وإبراهيم، والإسراء، والحج، والفرقان، والنحل، والقصص، والمدثر، والقمر، والواقعة، والليل، ويونس[3].

ب ـ وهناك سور مدنية، وفيها آيات مكية، مثل:

سورة المجادلة، فإنها مدنية إلا العشر الأول، (وفيها تسمية السورة)[4].

= الثعالبي ج٣ ص٥٠٥ وراجع: عمدة القاري ج١٩ ص٣٦ والتبيان ج٧ ص٣ وتفسير شبر ص٢٨٩ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢٧٨ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٢٣٧ وتفسير أبي السعود ج٥ ص٢٠٢ وفتح القدير ج٣ ص٢٦٨ وج٩ ص٣٧ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص١٩٩.

(١) راجع: جامع البيان ج٣٠ ص٥٨ والغدير ج١ ص٢٥٧ وراجع: التفسير الصافي ج٥ ص٢٩٨ وج٧ ص٤٢١ وتفسير العز بن عبد السلام ج٣ ص٤٢٩ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٧ و (ط دار الفكر) ص٥٥ وفتح القدير ج٥ ص٣٩٧ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٢٨٩ والبحار ج٦٦ ص١١٦.

(٢) راجع: الإتقان في علوم القرآن (ط دار الفكر) ص٥٤ والغدير ج١ ص٢٥٧.

(٣) راجع في ذلك كله: الغدير ج١ ص٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٤) راجع: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج٨ ص٢١٥ والسراج المنير ج٤ ص٢١٩ والغدير ج١ ص٢٥٧ وراجع: تفسير مجمع البيان ج٩ ص٤٠٧ والتفسير الصافي ج٥ ص١٤٢ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٢٧٢ وتفسير الآلوسي ج٢٨ ص٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٧ ص٢٦٩ وتفسير العز بن عبد السلام ج٣ ص٢٩١.

سورة البلد، وهي مدنية إلا الآية الأولى، (وفيها اسم السورة). وحتى الرابعة[1]، وغير ذلك.

ثانياً: لو سلمنا أن هذه السورة مكية، فإن ذلك لا يبطل الرواية التي تنص على نزولها في مناسبة الغدير، لإمكان أن تكون قد نزلت مرتين، فهناك آيات كثيرة نص العلماء على نزولها مرة بعد أخرى، عظة وتذكيراً، أو اهتماماً بشأنها، أو اقتضاء موردين لنزولها، نظير: البسملة، وأول سورة الروم، وآية الروح.

وقوله: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ..**﴾.

وقوله: ﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ**﴾.

وقوله: ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾.

وسورة الفاتحة، فإنها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة، ولتثنية نزولها سميت بالمثاني[2].

وعن الدليل الثالث أجاب:

أن نزول آية سورة الأنفال قبل سنوات، لا يمنع من أن يتفوه بها هذا

---

(١) راجع: الإتقان ج١ ص١٧ و (ط دار الفكر) ص٥٥ وتفسير الآلوسي ج٣٠ ص١٣٣ والغدير ج١ ص٢٥٧.

(٢) راجع: الغدير ج١ ص٢٥٧ وتفسير مجمع البيان ج١ ص٤٧ والتفسير الصافي ج١ ص٨٠ والبحار ج٨٤ ص٧٩ والتفسير الكبير للرازي ج١٩ ص٢٠٧ والبرهان للزركشي ج١ ص٢٩ وتفسير الآلوسي ج١٤ ص٧٩ وتفسير الميزان ج١٢ ص١٩١ والسيرة الحلبية ج١ ص٣٩٦ والإتقان ج١ ص٦٠ و (ط دار الفكر) ص١٠٥ وفيه موارد أخرى أيضاً.

المعترض على الله ورسوله، ويظهر كفره بها. ولعله قد سمعها من قبل، فآثر أن يستخدمها في دعائه، لإظهار شدة عناده وجحوده أخزاه الله.

وعن الدليل الرابع أجاب:

ألف: إنه قد لا ينزل العذاب على المشركين لبعض الأسباب المانعة من نزوله، مثل إسلام جماعة منهم، أو ممن هم في أصلابهم، ولكنه ينزل على هذا الرجل الواحد المعاند في المدينة لارتفاع المانع من نزوله.. ولا سيما مع طلبه من الله أن ينزل عليه العذاب.

ب: قد يقال: إن المنفي في آية ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ هو عذاب الاستئصال للجميع، ولا يريد أن ينفي نزول العذاب على بعض الأفراد..

ج: قد دلت الروايات على نزول العذاب على قريش، وذلك حين دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم بأن يجعل سنيهم كسني يوسف «عليه السلام» فارتفع المطر، وأجدبت الأرض، وأصابتهم المجاعة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف[1]..

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٥ ص٣٤٢ ح٣٩ (كتاب صفة القيامة والجنة والنار) و (ط دار الفكر) ج٨ ص١٣١ وسنن الترمذي ج٥ ص٥٦ والبخاري ج٢ ص١٢٥ و (ط دار الفكر) ج٢ ص١٥ وج٥ ص٢١٧وج٦ ص١٩ و ٣٢ و ٤٠ و ٤١ ومسند أحمد ج١ ص٤٣١ و ٤٤١ والتفسير الكبير للرازي ج٢٧ ص٢٤٢ والنهاية في اللغة ج٣ ص٢٩٣ و ج٥ ص٢٠٠ والخصائص الكبرى للسيوطي ج١ ص٢٤٦ وعمدة القاري ج٧ ص٢٧ و ٢٨ وج١٩ ص١٤٠ ودلائل النبوة ج٢ ص٣٢٤ والسنن الكبرى لبيهقي ج٣ ص٣٥٣ ودلائل =

د ـ إنه قد نزل العذاب أيضاً على بعض الأفراد بدعاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما جرى لأبي زمعة، الأسود بن المطلب، حيث كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فدعا عليه النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعمى، ويثكل ولده، فأصابه ذلك[1].

ودعا على مالك بن الطلاطله، فأشار جبريل إلى رأسه، فامتلأ قيحاً فمات[2].

ثم ما جرى للحكم بن أبي العاص حيث كان يحكي مشية النبي «صلى الله عليه وآله»، فرآه «صلى الله عليه وآله»، فقال: كن كذلك، فكان الحكم مختلجاً يرتعش منذئذٍ[3].

= النبوة لأبي نعيم ص٥٧٥ ح٣٦٩ والغدير ج١ ص٢٥٩ والغدير ج١ ص٢٥٩ والبحار ج١٦ ص٤١١ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص١٨٩ والبداية والنهاية ج٦ ص١٠١ وراجع: تفسير السمعاني ج٢ ص٣٥٩.

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧ و (ط دار صادر) ج٢ ص٧٤ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٣٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٤٦١ والغدير ج١ ص٢٥٩ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٥١٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٨٠.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧ و (ط دار صادر) ج٢ ص٧٥ والغدير ج١ ص٢٥٩ وراجع: البحار ج١٨ ص٤٩ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٢٠ وتفسير مجمع البيان ج٦ ص١٣٣ وجامع البيان ج١٤ ص٩٥ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٨٠ وسيرة ابن إسحاق ج٥ ص٢٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٧٨.

(٣) راجع الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٢١٨ و (ط دار الجيل) ج١ ص٣٥٩ والنهاية في اللغة ج٢ ص٦٠ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص١٠١ وشرح =

وما جرى لجمرة بنت الحارث، فقد خطبها النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال أبوها: إن بها سوءاً، ولم تكن كذلك، فرجع إليها، فوجدها قد برصت[1].

وما جرى لذلك الرجل الذي كذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وما جرى لابن بن أبي لهب، فإنه سب النبي «صلى الله عليه وآله»، فدعا الله أن يسلط عليه كلبه، فافترسه الأسد[3].

= النهج للمعتزلي ج٦ ص١٥٠ والإصابة ج١ ص٣٤٥ و ٣٤٦ والبحار ج٣١ ص١٧٣ والخصائص الكبرى ج٢ ص١٣٢ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٢١٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص٢٣٩ و ٢٤٠ والغدير ج١ ص٢٦٠ وج٨ ص٢٤٤.

(١) راجع الإصابة ج١ ص٢٧٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٦٦٣ والخصائص الكبرى ج١ ص١٣٣ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٩٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤١٨ والغدير ج١ ص٢٦٠ الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٦٩.

(٢) راجع: الخصائص الكبرى ج١ ص٢٤٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص٢٤٥ والغدير ج١ ص٢٦٠ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٨٤.

(٣) الغدير ج١ ص٢٦١ وجامع البيان للطبري ج٢٧ ص٥٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٢٥٠ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٩٤ والدر المنثور ج٦ ص١٢١ والخصائص الكبرى ج١ ص١٤٧ و ٢٤٤ والنهاية في اللغة ج٣ ص٩١. ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٣٣٨ و ٣٣٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٥٨٨ و ٥٨٥ و ٥٨٦ حديث رقم ٣٨٣ و ٣٨١ و ٣٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٦٥.

هـ ـ قد هدد الله قريشاً بقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1].. فإن كان مناط الحكم في هذه الآية هو إعراض الجميع، فإن الصاعقة لم تأتهم لأن بعضهم قد آمن. ولو أنهم استمروا جميعاً على الضلال لأتاهم ما هددهم به. ولو كان وجود النبي «صلى الله عليه وآله» مانعاً من جميع أقسام العذاب، لم يصح هذا التهديد.. ولم يصح أن يصيب الحكم بن أبي العاص، وغيره ممن تقدمت أسماؤهم شيء من الأذى..

وعن الدليل الخامس أجاب «رحمه الله»:

إن حادثة الفيل استهدفت تدمير أعظم رمز مقدس لأمة بأسرها، فالدواعي متوفرة على نقلها.. أما قصة هذا الرجل الذي واجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قضية الغدير، فالدواعي لنقلها أقل بكثير، وهي ككثير من معجزات الرسول «صلى الله عليه وآله» التي نقلت عن طريق الآحاد، وبعضها قد قبله المسلمون من دون نظر في سنده..

بل الدواعي متوفرة على طمس هذه القضية، وذلك إمعاناً في إضعاف واقعة الغدير، وإبعادها عن أذهان الناس، وإنساء الناس لها، لأنها تمثل إدانة خطيرة لفريق تقدسه طائفة كبيرة من الناس..

وأما دعواهم: أن المصنفين قد أهملوا هذه القضية، فهي مجازفة ظاهرة، إذ قد تقدم أن كثيرين منهم قد رووها..

وعن الدليل السادس أجاب «رحمه الله»:

بأن الحديث كما أثبت إسلام الحارث، فإنه قد أثبت ردته.. والعذاب

---

(١) الآية ١٣ من سورة فصلت.

نزل عليه، بعد ردته لا حين إسلامه، فلا يصح قوله: إنه لم يصب العذاب أحداً من المسلمين في عهد النبي «صلى الله عليه وآله».

ثم ذكر شواهد عن عذاب لحق بعض المسلمين في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كقصة جمرة بنت الحارث، وغيرها.

وقصة ذلك الذي أكل عند النبي «صلى الله عليه وآله» بشماله، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: كل بيمينك.

فقال: لا أستطيع.

قال: لا استطعت. فما رفعها إلى فيه بعد[1]. وقد رواها مسلم في صحيحه.

وقصة الأعرابي الذي عاده رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأنه حين قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا بأس، طهور إن شاء الله.

قال: قلت طهور؟ كلا بل حمى تفور (أو تثور)، على شيخ كبير، تزيره القبور.

قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: فنعم إذا.

فما أمسى من الغد إلا ميتاً[2].

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص٢٥٩ ح١٠٧ والغدير ج١ ص٢٦٤ وفتح الباري ج٩ ص٤٥٦ وعمدة القاري ج٢١ ص٢٩ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٤٢٢ وعون المعبود ج١٠ ص١٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٦٧.

(٢) راجع: صحيح البخاري ج٣ ص١٣٢٤ ح٣٤٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٨٣ والمصنف للصنعاني ج١١ ص١٩٧ وكنز العمال ج٩ ص٢١١ وصحيح ابن حبان ج٧ ص٢٢٥ وراجع: الجوهر النقي للمارديني ج٣ ص٣٨٢.

وكذا بالنسبة لمن نقى شعره في الصلاة، فقال له «صلى الله عليه وآله»: قبح الله شعرك، فصلع مكانه[1].

وأجاب عن الوجه السابع:

بأن معاجم الصحابة لم تستوف ذكر جميعهم، وقد استدرك المؤلفون على من سبقهم أسماء لم يذكروها.

وقد أوضح العسقلاني ذلك في مستهل كتابه «الإصابة» فراجع..

وقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» توفي وكان عدد من رآه وسمع منه زيادة على مئة ألف إنسان..

أضف إلى ذلك: أنه قد يكون إهمال ذكر هذا الرجل في معاجم الصحابة لأجل ردته..

سورة والعصر نزلت في علي عليه السلام:

وقد يتساءل البعض عن المقصود بقوله «صلى الله عليه وآله» في خطبة يوم الغدير: «في علي نزلت سورة ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾.

ويمكن أن يجاب: بأن الأحاديث الشريفة قد صرحت: بأن المراد بالإنسان الذي في خسر، هم أعداؤهم «عليهم السلام»، ثم استثنى أهل صفوته من خلقه، حيث قال: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾[2] يقول: آمنوا بولاية أمير المؤمنين ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**﴾

---

(١) راجع: أعلام النبوة للماوردي ص١٣٤ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٧٢ والغدير ج١ ص٢٦٤.

(٢) الآيتان ٢ و ٣ من سورة العصر.

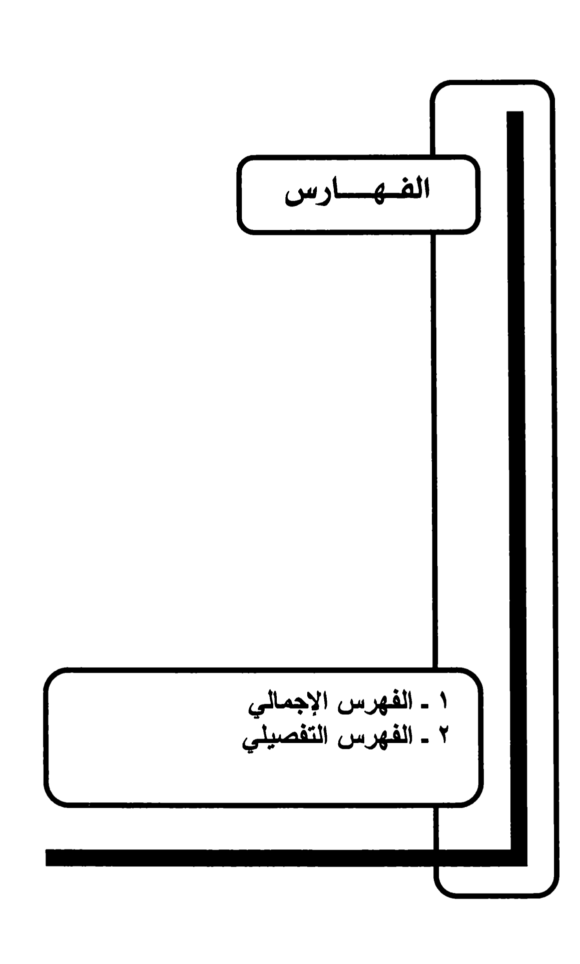
ذرياتهم ومن خلقوا بالولاية وتواصوا بها، وصبروا عليها»[1].

وفي نص: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يعني الإمامة و ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعني بالعترة[2].

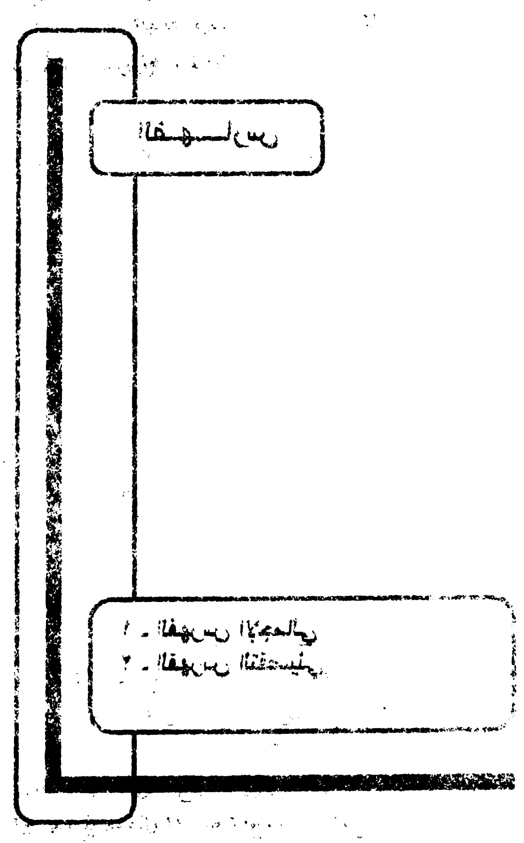
---

(١) البرهان (تفسير) ج٤ ص٥٠٤ و ٥٠٥ ونور الثقلين ج٥ ص٦٦٦ و ٦٦٧ والبحار ج٢٤ ص٢١٥ و ج٣٦ ص١٨٣ وج٦٤ ص٥٩ وتفسير القمي ج٢ ص٤٤١ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٧٢.

(٢) البرهان (تفسير) ج٤ ص٥٠٤ و ٥٠٥ ونور الثقلين ج٥ ص٦٦٦ و ٦٦٧ إكمال الدين ص٦٥٦ والبحار ج٦٤ ص٥٩ وج٦٦ ص٢٧٠ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٧٤.



الفهـــارس



الفهارس

١ - الفهرس الأبجدي
٢ - الفهرس التفصيلي

١ ـ الفهرس الإجمالي

[illegible]

الباب [illegible]

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الثالث: حج النبي صلى الله عليه وآله برواية الإمام الصادق عليه السلام

الفصل الرابع: قبل أن يسير صلى الله عليه وآله إلى عرفات (بروايتهم)

الفصل الخامس: حج النبي ﷺ برواية أهل السنة

الباب الحادي عشر: الغدير في الحديث والتاريخ

الفصل الأول: الغدير والمعارضون

الفصل الثاني: الموقف ـ الفضيحة

الفصل الثالث: في حدود الزمان والمكان

الفصل الرابع: حديث الغدير وأسانيده

الفصل الخامس: في ظلال حديث الغدير

الفصل السادس: في ظلال آيات الغدير

الفهارس: